



مركز تحقيقات كويت ودراسات إسلامية

تورات العالميين
واثرها في نشوء المذاهب الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تَوَلَّى الْعَالَمِينَ

وَأَثَرَهَا فِي نَشْوَءِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تأليف

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِّمِ

مَوْسِسَاتُ الْإِسْلَامِ

جمع‌داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۸۹۸۹

ش. - اموال:

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



مركز تحقيقات كويت للطباعة والنشر

مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع



المكتب بنتر العبد سنتر الإنماء ١ - ط ٣ - المستودع ، صفيح - جانب قرن الأمراء
ص.ب. ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ٠٢٢٥٠٠٧٠١١٠٧ - هاتف ، ٠٣/٥١٤٩٠٥٠ - فاكس ، ٠١/٥٥٢١١٩ - لبنان
التوزيع في سوريا ، دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار العسنيين (ع) - هاتف ، ٦٤٧٠٦٥٤

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۴۷۶۹۴

تاریخ ثبت:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم
النبیین، وعلى آله الطيبين الطاهرين، منار الهدى، وسفن النجاة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المقدمة

يشكل العلويين ظاهرة فريدة في تاريخ الإسلام على امتداد عصوره، لقد تولى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الخلافة مع بداية نشوء الدولة المترفة في الإسلام. ففرس مع نشوء هذه الدولة بذور الثورة عليها، لقد نشأ الإمام علي كما يحدثنا التاريخ في كنف الرسول الكريم، وفي رعايته واهتمامه، فأنشأه (صلى الله عليه وآله) نشأة خاصة، بنيت على الالتزام بالحق المطلق في العقيدة والسلوك، دون النظر في العواقب، فلم يعرف عنه (عليه السلام) طول مسيرته انه حاول أو اضطر تحت وطأة أي من الظروف التي إعتورته أن يتنكب عن طريقه المرسوم.

قلت: شكل العلويين ظاهرة فريدة في التاريخ الإسلامي، فمنذ نشأة الدولة المترفة في الإسلام، ارتبط تاريخهم بحركات دموية عنيفة وقاسية، وبالرغم من قسوة وفداحة الأحداث، فإنهم لم يرضخوا للخسف، ولم يستكينوا عن النضال، ولعل من الأسباب التي رسخت عندهم هذا الثبات العجيب لكل ما حدث هو نسبهم العلوي الذي يحمل دلالة تتجاوز الدلالة الاعتيادية للأنساب، لقد كان اسم العلويين يعني في بعض جوانبه النضال لاسترداد حق مضاع، دفع عنه أبوهم علي. وتجرد لإعادته ووضع في نصابه، ورفض أن يداهن فيه، يدفعه لذلك خلق راسخ، يأبى إلا الإصرار والنبات^(١). وورثوا منه ذلك الثبات على الكفاح، إضافة لخلائق شتى، مع عقيدة راسخة اعتقدوها واعتقدوها معهم ناس

(١). يقول الامام علي: لنا حق فإن اعطيناه، والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السري (نهج البلاغة شرح صبحي الصالح، ص ٤٢٧)

كثيرون، يدفعوهم للكفاح، ويفروهم به، وتحمل العسف والتنكيل، وكانت السلطات تعرف تلك الخليفة فيهم، كما يعرفها الناس، فكانوا لا يألون جهداً للتنكيل بهم إذ لا يرون العلوي إلا ثائراً أو متحفزاً للثورة وكذلك كانوا ينظرون إلى أتباعهم، لا ينظرون إليهم إلا خارجين، أو متحينين فرصة الوثوب. وبالرغم من التقاء العلويين مع قوى أخرى تدعوا إلى القضاء على الملك الدنيوي الذي نشأ منذ مقتل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والعودة إلى الإمامة الدينية، فقد كان هناك اختلاف في الدوافع وربما في الأهداف سيشير إليها هذا الكتاب من قريب أو بعيد، ولئن صح ما أزعّم فيه أو لم يصح فإننا يجب أن لا ننكر أن لثورات العلويين آثار مباشرة وعميقة في التاريخ الإسلامي وفي نشوء المذاهب الإسلامية، تدلُّ عليها تلك الأحداث التي تخلف كل ثورة، وتلك المذاهب والفرق الدينية التي كان لتلك الحركات تأثير غير قليل في منحها بعض السمات. وسنلاحظ أن حركات العلويين منحت قوى المعارضة الكثير الأوفر من أسباب الثبات في الصراع والاصرار على الكفاح.

لقد كان تاريخ العلويين كما قلت ممزوجاً بالدماء، مما أضفى على مركزهم الروحي الذي أمدهم به انتسابهم إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ضلالاً أخرى جعلت الناس ينظرون إليهم بعواطف شتى يختلط فيها الإكبار بالرحمة والاحترام، بل وانتفاء الشعور بالرغبة والرهبة في بعض الأحيان، وحتى المتحاملين عليهم كانوا يعتبرون قتالهم من أكبر الخدمات التي يقدمونها إلى السلطان، والتاريخ يحدثنا إن قاتل الحسين قدم برأسه على أميره وهو يقول:

أوقر ركايبى فضةً أو ذهباً
إنسى قتلتي السيد المحجّباً
قتلت خير الناس أمّاً وأباً.

وفي روح المذاهب (1/ 236) أن المنصور قال يوماً لجلسائه بعد قتل محمد

وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن : والله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان .

فقام المسيب بن زهير الضبيّ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سبقنا الحجاج بأمرٍ تخلّفنا عنه ، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبينا (صلى الله عليه وآله) ، وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك ، فهل نصحنك أم لا ؟ وبعد ، فإني كتبت هذه الدراسة منذ أكثر من ربع قرن ، ولم أكن قد تجاوزت عهد الصبا إلى عمر الشباب إلا قليلاً ، وتركتها بانتظار أن تسمح الظروف بطبعها ، واليوم إذ أقدمها للطبع فإني لم أضف إليها إلا قليلاً ، ولم أغير منها بإضافة أو حذف إلا يسيراً . وآخر دعوانا ، الحمد لله رب العالمين .

المسيب ٢٤ / ٤ / ١٩٩٩ .



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسدي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب والعلوم
السعودية

الفصل الأول

تمهيد الأحداث



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

حين بشر محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) بعدالة السماء في الأرض، وجد أهل النفوذ في مكة أن تلك الدعوة لو كتب لها النجاح ستأتي على ما في أيديهم، وسيجدون من أولئك المستضعفين الذين استهوتهم إنسانية الدعوة قوة تهدد مراكزهم، وتندر تعاليهم بالهبوط. ومكة لم تخل يوما من تنافس يشتد أحيانا فيبلغ حد المنافرة والخصومة بين أحيائها، وفيها بيت الله عنوان السيادة، ومهوى أفئدة القبائل. ولقد أثار إسلام بعض الأغنياء وذوي النفوذ، أمثال أبي بكر الصديق وعثمان خيفة لدى قريش وشعورا صريحا بأن بني هاشم اختطوا منهجا آخر لانتزاع السيادة والتفرد بالنفوذ والنبى ليس داعيا لدين جديد فحسب، بل رجل دولة يريد أن يحيى نزاعا قديما على السلطة بين الهاشميين والأمويين، خسرت فيه هاشم وريحت أمية وأحلافها، وبدا أن محمدا يسترجع السلطة الضائعة للهاشميين وراء الدعوة لدينه الجديد^(١).

لقد كانت بطون قريش تقسم السلطة في مكة^(٢)، وبالرغم ما أن القبائل كلها تمثلت في حكم مكة غير أن الحقيقة أن كبار رجال المال هم دعامة هذا الحكم باعتبارهم وهذا وليس باعتبارهم ممثلين لقبائلهم. غير أن اقتسام السلطة هذا لم يأت إلا بعد صراع عنيف استمر زمنا وتمخض عن محالفات أشهرها حلف المطيبين الذي تطور إلى حلف الفضول، ذلك الحلف الذي شهده النبي الأكرم وباركه فيما بعد^(٣).

(١). اليمين واليسار في الإسلام، أحمد عباس صالح ص ٣١.
(٢). كان الهاشم سقاية الحجيج، وأممية القيادة الحربية، ولنوفل الرفادة، ولعبة الدار سدانة الكعبة، ولأسد (المشورة) ولتيم الأشناق وهي تقدير الدبات والمفارم، ولخزوم قيادة الخيل في الحرب، ولعدي السفارة، والحجيج الايسار والأزلام، ولسهم الحكومة ويرى محمد عمارة أن بني هاشم في هذا البناء لم يكن يمسك بمسؤولية من المسؤوليات المهمة ماديا واقتصاديا وحربيا، وخلص إلى ذلك بشكل خلضية الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب (انظر: علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة ص ٤٤.٥).
(٣). انظر: طبقات ابن سعد ٨٢/١.

ولم يجار النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بدعوته في مكة حتى جبهته قريش بعنف وعناد، ولأن استطاع محمد (صلى الله عليه وآله) بفضل هيبته عمه أبي طالب أن ينهه عنه صولة القريشيين وتجار مكة^(١) فإنه وجد نفسه في موقف حرج لا تثبت عليه قدماء بعد وفاة ذلك العم الكريم^(٢) مما دعاه إلى البحث عن منجاة له ولأصحابه المستضعفين، ولم يلبث (صلى الله عليه وآله) حتى وجد ضالته في أهل يثرب من الأوس والخزرج^(٣). ولكن أبا سفيان الذي وصل الذروة في الثراء والنفوذ والذي ألف مع أحلافه الجبهة المقابلة لحلف الفضول من قبل، لم يرتح إلى موضع محمد في يثرب، تلك المدينة التي يسرت للدعوة الإسلامية الانتشار والذيع وكونت لها نواة عسكرية بدأت سراياها تعترض قوافل قريش التجارية^(٤). . . . لقد هال أبا سفيان أن يرى أمر محمد يقوى ويشتد، وأن الإسلام يستهوي القلوب إليه، لقد كان الإسلام ثورة إنسانية كبرى، جاءت لتقضي على المظالم واستبداد الإنسان بأخيه الإنسان، كما كان رؤية جديدة للعالم ستتولد على أساسها حضارة جديدة سوف لا تبقي ولا تذر من ركامات عهود الجهل والظلام لتسير بالعالم من ثم على طريق أكثر اتساعاً، وأبعد نظراً، وأعمق تفكيراً. . . . والإسلام لم يكن ثورة اجتماعية صرفة (بل اشتمل على نظرية جديدة للكون ولعلاقة الإنسان بالعالم، ولعلاقة البشر بعضهم مع البعض الآخر، فللاسلام رأيه فيما وراء الطبيعة، وللإسلام رأيه في التاريخ)^(٥)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) حين اصطدم بقوى الظلام بمكة ذلك لأنه بدأ منها، فلم

(١). البدء والتاريخ ٤/٤٨.

(٢). طبقات ابن سعد ١/٧٩ وفيه: أن المشركين ما زالوا كافين عنه. يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مات أبو طالب.

(٣). البدء والتاريخ ٤/١٦٧.

(٤). انساب الأشراف ١/٢٨٧ وما بعدها.

(٥). اليمين واليسار ص ٤٥.

تكن وحدها هدف ثورته ، تلك الثورة التي جاءت لتختصر الحضارات وتبني على أنقاضها حضارة تولد من جديد ، ومهما يفسر المؤرخون انتصارات الإسلام المذهلة ، فإننا نذهب إلى أن هذا الانتصار كان مولداً مخاضه عوامل كثيرة تداخلت وتشابكت حتى خرجت منه رؤية الإسلام الجديدة التي كان مددها نزوع الإنسانية إلى التسامي وحل مشكلات الغموض الذي اكتنف كل شيء في الكون والإنسان .

والذي هال تجار مكة من ثورة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) سيرها الحثيث لاقتلاع جذور سيطرة طبقة المترفين على طبقات المعوزين ، وتحطيم ذلك النفوذ الذي لم ترضه من قبل عشيرة محمد (صلى الله عليه وآله) لخصومها الأمويين . والتاريخ يحدثنا بأن الهاشميين في صراعهم مع خصومهم لزموا الجانب الخلفي السمع (فحيث كان غيرهم يجدون في المجاعات التي تحدث طريقاً لكسب المال الوفير ، كان هاشم ورهطه يجدون فيها سبباً لكسب الحمد والثناء ، وحيث كانت الأزمات تظهر أبا سفيان والكثير من أغنياء مكة بمظهر الجشع والاستغلال . كانت تمنح هاشماً سمة الكرم والعطف والرحمة . ولم يحدثنا أحد من المؤرخين أن بني هاشم كانوا من الأغنياء وأهل الثروة والمال ما خلا العباس بن عبد المطلب ، مما مهد لطغيان أبي سفيان أن يمتد حتى يشمل كل أحياء مكة وشعابها ، وجعله يشعر بأن أي ثورة تحدث ما هي إلا محاولة للحد من سلطانه ، ومن هنا بدأ يقود قريش لحرب محمد وواد الإسلام في مهده ، على أن الذي حدث هو أن أبا سفيان لم يلق إلا الفشل ، وإن مصارع ذويه لم تكن إلا بأيد هاشمية ، فقد أبرزت معارك الإسلام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب كأعظم المحاربين جراً وثباتاً ونكاية بالأعداء والخصوم ، وعلى أيديهم كانت مصارع الكثير من القرشيين والأمويين

خاصة^(١) تمارس العدا، وأثار الحفيظة ولكن زحف الإسلام الحثيث والمستمر رغم بعض النكسات وضع قريشاً في موقف حرج دفعهم إلى الدخول في هذا الدين في محاولة لرد النفوذ (عندما رأوا في انتشار الإسلام وسيلة لرفع شأنهم وإعلاء مكانتهم، أما حقدهم على صحابة النبي البسطاء الزاهدين فقد كان يتآكل صدورهم)^(٢)، بيد أن ذلك لا يمنع من القول بأن فيهم من دفعهم نزوع طيب للدخول في الإسلام، ولكن ذلك النزوع لم يغير شيئاً من نظرتهم الاجتماعية. ومفهوم العدل الاجتماعي رغم إخلاصهم للإسلام وجهادهم الصريح في سبيله.

وسرعان ما وجد هؤلاء (الدخلاء في الإسلام) المجال أمامهم واسعاً بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبالرغم من محاولة الكتاب المسلمين أن يضيفوا على النزاع بعد النبي مسحة مثالية، أو أن يضعوا ذلك النزاع في غير مجاله بتأثير من نزعة مذهبية ضيقة، أو لخطأ في التصور واستقراء الأحداث. فإنا سنجد نزوعاً واضحاً للأعراف القبلية، وتطلعاً صريحاً إلى مراكز النفوذ التي كانت لهم من قبل، ويجب أن نؤكد بأن المسلمين لم يتخلصوا تماماً من تلك النزعات الجاهلية حتى في حياة الرسول الكريم، والتاريخ يحدثنا أن أشرف قريش ثاروا محتجين حين تخطاهم سلمان الفارسي إلى جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٣)

بيد أن المستضعفين والعييد كانوا ينظرون إلى الإسلام كثورة اجتماعية نشبت

(١). يقول الإمام علي (عليه السلام) من رسالة إلى معاوية بن أبي سفيان: فأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شديداً يوم بدر (نهج البلاغة ص ٣٧٠ ويقول في رسالة أخرى: وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وقد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت واقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك (وماهي من الظالمين ببيعد) نهج البلاغة ٣٨٩.

(٢). انظر: سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب.

(٣). في انساب الأشراف ٤٨٨/١ أن أبا بكر غضب عندما عرض بعض هؤلاء بابي سفيان.

لتضعهم حيث يجب أن يكونوا كبشر، لذلك كانوا يعتبرونه ثورتهم، مما دفعهم للانضمام تحت لواءه والجهاد في سبيل مبادئه وتعاليمه بحماس وثبات، حتى أننا لنجد أكثر جند الرسول المخلصين ومواضع ثقته من هذه الطبقات، ولكن هؤلاء بدأوا بعد وفاة الرسول الكريم يشعرون أنهم فقدوا الركن الذي يستندون عليه، ولعل الذي ولد فيهم هذا الشعور الغامض موافقة أشرف قريش ومكة على بيعة أبي بكر بل وتأييدها بحماس، وقد دفعهم هذا الشعور إلى الالتفاف حول علي بن أبي طالب الذي رفض البيعة التي وصلته أنباؤها وهو مشغول بتجهيز الرسول الكريم إلى مشواه الأخير، ويبدو أن اندفاع ممثلي قريش السريع إلى الإمساك بزمام المبادرة وأخذه من أيدي الأنصار الذين اجتمعوا ليعينوا خليفة منهم، كان محاولة لنزع الأمر من علي بن أبي طالب أيضاً، وأما علي فقد اعتبر اجتماع السقيفة (الذي تمت فيه البيعة) تآمراً ضده، لذلك عارض نتائج هذا الاجتماع كما عارضها رهطه وأكثرهم من المستضعفين.

على أن قريش التي رأت في بيعة أبي بكر انتصاراً لها على علي الذي يرى فيه عدد من الصحابة، أو من فقراء الصحابة إذا شئنا الدقة، الضمانة الأساسية لاستمرار المنهج الاجتماعي الذي شهدته شبه الجزيرة على يد دعاة الإسلام، وأيضاً الضمانة الأساسية كي لا يعود ملأ قريش وأغنياؤها... للإمساك بالسلطة والسلطان من جديد تحت رايات الدين الجديد وأعلامه^(١).

رأت قريش أيضاً أنه انتصار على منافسيهم من القبائل الأخرى في المدينة، وخاصة الأنصار من الأوس والخزرج، ويرسم لنا صاحب الأخبار المفضليات^(٢) صورة واضحة لنشوة قريش بانتصارها على الأنصار هذه المرة. ومن حسن الحظ

(١). انظر: محمد عمارة في: علي بن أبي طالب، نظرة عصرية جديدة ص ١٢.

(٢). هو الزبير بن بكار، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ألفه للموفق بالله، وحققه د. سامي ماي العاني، ونشره ببغداد سنة ١٩٧٢، وقد استرد بعض ما ضاع منه من شرح النهج وغيره وضمة إلى ما وجده منه مخطوطاً.

أن ابن أبي الحديد قد حفظ بعض هذه النصوص في شرح نهج البلاغة، إذ ضاعت فيما ضاع من كتاب الأخبار المفضليات .

قال: لما بويع أبو بكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه وأنه في داره لم يخرج إليهم . وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام . وكان أشد قريش على الأنصار نفرٌ فيهم، وهم سهيل بن عمرو وأحد بني عامر بن لؤي، والحادث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان . وهؤلاء أشرف قريش الذين حاربوا النبي (صلى الله عليه وآله) ثم دخلوا في الإسلام، وكلهم موتور قد وتره الأنصار . . . وفي أنفسهم ذلك، فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء، فقام سهيل بن عمرو فقال: يا معشر قريش، إن هؤلاء القوم قد سمّاهم الله الأنصار، وأثنى عليهم القرآن فلهم بذلك حظ عظيم وشأن غالب، وقد دعوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعلي في بيته لو شاء يردّهم، فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إنني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم .

ثم قام الحارث بن هشام فقال: إن يكن الأنصار تبوّأت الدار والايّمان من قبل . . . فإنهم قد لهجوا بأمر، أن ثبتوا عليه، فإنهم قد خرجوا مما وُسموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف، وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأوّلَى بهم، والمظنون معهم .

ثم قام عكرمة بن أبي جهل، فقال: . . . وإن الذي فيه من فلتات الأمور ونزغات الشيطان، وما لا يبلغه المنى ولا يحمله الأمل . اعذروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم، فوالله ولو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه . قال: وحضر أبو سفيان بن حرب فقال:

يا معشر قريش، إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقرّوا بفضلنا

عليهم ، فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها ، وإلا فحسبهم حيث انتهى بهم ،
وأيم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة ، لنضربهم على الإسلام كما ضربوا
عليه ، فأما علي بن أبي طالب فأهل - والله - أن يسود على قريش وتطيعه
الأنصار^(١) .

إلى كلام كثير ، والملاحظ أن أبا سفيان لم يعرض بعلي كما فعل غيره ، لأنه
يجتمع معه في عبد مناف الذي هتف به أبو سفيان بعيد وفاة الرسول حتى أرضي
بشيء سنأتي على ذكره بعد حين .

وقد أورد الزبير بن بكار كلاماً كثيراً كهذا قاله عمرو بن العاص ورجال من
سفهاء قريش ومثيري الفتن منهم ، مثل الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، قال : وكان
يغض الأنصار ، لأنهم أسروا أباه يوم بدر ، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله ،
فقام يشتم الأنصار ، ويذكرهم بالهجر .

والغريب أنه لم يذكر لأبي بكر وهو في السلطة الآن تجاه هؤلاء القرشيين
موقفاً ، إلا أنه ذكر أن علياً وبني هاشم ، وبعض القرشيين ممن انحاز إليه وهم من
السابقين إلى الإسلام ، وقفوا إلى جانب الأنصار وشتموا عمراً وغيره وأن قريشاً
مشت إلى عمرو بن العاص ، فقالوا : أما إذ غضب علي فاكفف^(٢) المؤرخون ،
حاولوا أن يجعلوا من الرهط الذي التف حول الإمام علي نواة للشيعه الذين
حملوا لواء المعارضة بعنف ضد الحاكمين فيما بعد . . . فمهما يكن فإن هؤلاء لم
يحاولوا أن يكونوا لهم حزباً له تنظيم خاص ، وأهداف محددة ومبادئ تهدف إلى
خدمة طموحاتهم السياسية ، بل كانوا ينظرون إلى الإسلام بوضوح أكثر ،
ويركزون في نظرتهم على جانب العدل الاجتماعي فيه ، تلك النظرة التي
جعلتهم يتوجسون خيفة من عودة ذوي النفوذ الذين لم يألوا جهداً للعودة إلى ما

(١) . انظر شرح نهج البلاغة ٢/٢٧٥ والأخبار المفضليات ص ٥٨٣ .

(٢) . شرح نهج البلاغة ٢/٢٨٢ ، والأخبار المفضليات ص ٥٩٦ .

كانوا عليه من سطوة ونفوذ. على أن أبا بكر الصديق لم يذهب مع (الكبار) بعيداً، وإن كان تسلمه السلطة يشعرهم بالارتياح والاطمئنان بيد أن الصديق حاول وبحرص شديد على أن يكون عمر بن الخطاب خليفةً على المسلمين، ولعله لم يرد بذلك أن يحارب دعاة العدل الاجتماعي في الإسلام، أو ما يسميه أحمد عباس صالح^(١) باليسار، أو ليعده عن الحكم. ولكنه كان يرى أن الصراع المتوقع ينبغي أن يؤجل حتى تثبت دعائم الإسلام. . ولعله أيضاً كان يرى في اليسار طرفاً لا يحتمله التجار والكبار الذين كان له فضل دخولهم في الإسلام^(٢) على أن عمر بن الخطاب كان شخصية فذة ومن طراز فريد، وعلى جانب عظيم من النزاهة والقدرة والشعور بالعدل، وكان جريئاً، وحينما يقدم على ما يشاء تتولد عنده الفكرة والعمل في آن واحد والحظة واحدة، إلا أنه عمل جاهداً على أن لا تكون خلافة النبي (صلى الله عليه وآله) في بني هاشم فتجتمع فيهم النبوة والخلافة، ولو حدث ذلك لما خرجت منهم، ولما تداولتها قريش^(٣)، وهو بذلك إضافة إلى اتباعه سياسة مالية مختلفة، وتقسيم الناس إلى طبقات ويرفعها القدم في الإسلام إضافة إلى مفاهيم قبلية رأها^(٤)، لهذا وذلك لم يخل من نقد علي ورهطه الذي التفّ حوله. إن عمر حين حرّم علياً من قيادات الجيوش رغم قدرته الحربية حرّم أيضاً هؤلاء الكبار من أن يكونوا في مراكز قوة ونفوذ، بل أنه ضيق على كبار الصحابة حتى منعهم من مبارحة المدينة^(٥) واستطاع بفضل قوته وصرامته وتشدّده في الحق والعدل أن يضمن طاعة هؤلاء فضلاً عن ارتياح العامة واطمئنانهم، بل أنه حاول أن يذهب معهم إلى مدى أبعد، فقد قال في أواخر

(١). في كتابه: اليمين واليسار في الإسلام.

(٢). انظر: اليمين واليسار ص ٦١.

(٣). انظر حوار الخليفة مع عبد الله بن عباس في تاريخ الطبري ٢٢٢/٤ وغيره.

(٤). طبقات ابن سعد ح ٣ ق ١ ص ٢١٢.

(٥). شرح نهج البلاغة ١٢/١٢.

عهده : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم ورددتها إلى الفقراء^(١) ، وكان هذا الاتجاه مثيراً وشديداً ولا ريب على أولئك الذين ملأت الفتوحات أيديهم بالأموال ، ولكنه لم يلبث أن قتل بطريقة تثير الشكوك ، وتجعلنا نعتقد مع أحمد عباس صالح أنه رضي الله عنه ذهب ضحية مؤامرة حيكت في المدينة من أولئك الذين أُرهبهم نداء العدل^(٢) والذي يقرب هذا الشك إلى اليقين : الاتجاه إلى عثمان مباشرة ، ثم ذلك التحول المثير في عهده إلى صالح أهل الثراء والنفوذ .

على أننا سنجد في الأحداث التي رافقت بيعة عثمان بالخلافة مظاهرة صريحة بالعودة إلى أعراف قبلية ، ونزعات لم يكن لها في ساحة الإسلام موضع قدم ، وإن هذه الظاهرة وذلك النزوع لم ينته بأحداث البيعة ، بل رافق خلافة عثمان واستمر إلى ما بعدها ، حتى بدأت تتعاضم من جديد خلافات الهاشميين والأمويين بشكل يكاد يكون قريباً عما كان عليه أيام الجاهلية ، وعمر بن الخطاب حين فوض أمر الانتخاب إلى ستة (إنما اقتصرت هفوة مهتد السبيل إلى مؤامرات الأمويين الذين شرعوا الآن في تكوين حزب قوي في المدينة)^(٣) ويبدو أن عليا والهاشميين شعروا بأن تلك التظاهرة ضدهم ، وتوقعوها بعد إعلان أسماء الستة المرشحين للخلافة ، فهؤلاء كانوا يمثلون نزعات تكاد تكون متشابهة تجاه نزعة علي ورهطه ، حتى أن العباس بن عبد المطلب ، قال : عندما عرف أسماء المرشحين : عدلت عنّا^(٤) ، يريد الخلافة ، بل أنهم كانوا يعرفون أنها لا تعدل عنهم إلا إلى عثمان لقربه من قلوب القرشيين فقد قال العباس لعلي : احذر هؤلاء الرهط ، فإنهم لا يرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا ، وأيم الله

(١). انظر: طبقات ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢١٧.

(٢). انظر تفاصيل هذه الشكوك في كتابه اليمين واليسار ص ٦٩ وما بعدها.

(٣). مختصر تاريخ العرب ص ٥٢.

(٤). تاريخ الطبري ٤/٢٢٩.

لا تناله إلا بشرٌ لا ينفَع معه خير^(١)، ولقد كانت نبوءة العباس صادقة وأكيدة ولم يقلها عبثاً، فلقد عرف النتائج لأنه كان يعرف المقدمات، ولقد كان شعور علي قريباً كل القرب من شعور عمّة العباس وتصوّره لما سيحدث يدلّ على أن النيات لم تكن سرّاً تتضمنه الصدور، فقد أجاب عمّة: أما والله لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى، ولئن مات ليتداولنها بينهم. ولئن فعلوا ليجدني ما يكرهون^(٢)، وبذلك نرى علياً (عليه السلام) يتهيأ منذ البداية لحمل لواء المعارضة، وأحداث بيعة عثمان - كما قلت - أظهرت نزوعاً واضحاً إلى الأعراف القبلية والعصبيات الجاهلية مما جعل دعواتها يردّون على أولئك الذين التفّوا حول علي رداً عنيفاً وبغير رفق، وبكلام يستهجن أحسابهم، فحين دعا عمار بن ياسر إلى إمامة علي أجيب: لقد عدّوتَ طورك بآبن سمية، ما أنت وتأمير قريش لأنفسها^(٣) وهنا يجب أن نذكر أن سميّة أمة عذبتها قريش حتى الموت حين أسلمت فكانت وزوجها ياسر أول شهداء الدعوة الإسلامية^(٤).

لقد كانت أحداث بيعة عثمان نقطة تحوّل في تفكير المسلمين، بدأ معها الاتجاه الحثيث من الدولة الدينية إلى الملك الدنيوي، فحين كنا نرى ذوي الرأي والمشورة من أهل الخدمات الجليلة في الإسلام، والجنود المخلصين له، بدأنا نسمع أصواتاً لم يكن لأصحابها سابق خدمة، ولا قديم بلاء، سوى ما لهم من مركز نفوذ في قريش قبل الإسلام.

إن الخلافة لم تكن حكراً على قريش فقط، بل أصبح الرأي في اختيار من يروه لها حكراً عليهم أيضاً، ولئن حاول أحد من المسلمين إبداء رأي أو التصويت لأحد حتى وإن كان من قريش، فإن ذلك في عرفهم تجاوز للقدر، وخروج علي

(١). تاريخ الطبري ٤/٢٣٠.

(٢). تاريخ الطبري ٤/٢٣٠.

(٣). تاريخ الطبري ٤/٣٣.

(٤). البداية والنهاية ٣/٥٩.

المسموح به .

لقد ردّ ابن أبي السرح على عمار ، ما ذكرته آنفاً ، وعمار ذو سابقة وجهاد
وقدم راسخ في الإسلام ، بينما لم يكن ابن أبي السرح غير مرتدّ أباح النبي (صلى
الله عليه وآله) دمه ، واستثناء من العفو العام الذي أعطاه لأهل مكة يوم الفتح .

وفي العقد الفريد^(١) خبر له دلالة ، مفاده أن عبد الرحمن ابن عوف الذي
خوّل باختيار أحد المرشحين من أهل الشورى بقي ثلاثة أيام يشاور شيوخ قريش
فيمن يختار ، ونحن نعرف أن شيوخ قريش لم يكونوا إلا الطلقاء الذين لم يسلموا
إلا مضطرين ، ولكنهم شيوخ قريش .

وخبر آخر يؤكد هذه النزعة ، وهو أن المقدار بن عمرو قام أيام الشورى
فقال :

ما رأيت مثل ما أؤدي به أهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال له عبد الرحمن بن
عوف : ما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟

فقال المقداد : إني والله لأحبهم بحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)
اياهم ، وإن الحق معهم وفيهم ، يا عبد الرحمن ، أعجب من قريش . وإنما تطولهم
على الناس بفضل أهل هذا البيت . قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (صلى
الله عليه وآله) بعده من أيديهم ، أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش
أنصاراً لقاتلهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر^(٢) .

وانتهت تلك الأيام التي اضطرب فيها الناس بين علي وعثمان بالبيعة
لعثمان ، ذلك الشيخ الوديع الذي أحبته قريش لسماحته ولينه وحنوه عليهم ،
ولكونه أيضاً واحداً من ذوي النفوذ والثراء العريض فيهم ، بيد أنا سوف لن نجد
فيه معهم مثل سماحة أبي بكر التي رافقها الحزم والعزم والاقدام ، بل سنجد

(١). العقد الفريد، الجزء الثالث ص.

(٢). انظر: مروج الذهب ١/٥٥١.

ضعفاً استغله الأقبون، أو قل شاء هو ذلك لهم فصرفوا كما شاءت لهم الأهواء والميول، لقد استنام عثمان لأقربائه الأمويين، ووضع بأيديهم زمام الأمور في كل الامصار الإسلامية^(١) ليتصرفوا بها حسبما يشاؤون، ولم يكن هؤلاء من ذوي البلاء أو القدم في الدين، بل إن أكثرهم حارب الإسلام حتى لم يجد موضع قدم للحرب، ولم يصرفوا الأمور كما تتطلب مصالح البلاد، وأمور الناس، بل حيث تبدأ الرغبة في تقوية مراكزهم وطغيان نفوذهم، ولربما كان لولاة عمر بن الخطاب في الأمصار أثر لحدّ هذا الطغيان المتزايد لولا أنهم عزلوا الواحد تلو الآخر، ولم يكن البديل عن أيّ منهم سوى أفراد البيت الأموي، وأكثرهم شبان غارون، واستطاع عثمان أن يضمن لنفسه تغاضي كبار الصحابة من أهل النفوذ بما وهب من أموال حتى تجمّع لسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وغيرهم ما لم نشهد له مثيلاً عند أحد من قريش قبل عثمان^(٢) ولقد بدأت مظاهر الترف تبدّي على المجاهدين الأوّلين، تلك المظاهر التي كان يخشاها عمر بن الخطاب، ويمنع أيدي المسلمين من أن تنالها^(٣) . . . والحق أننا لا نجد مطعناً في إسلام هؤلاء، فأكثرهم من أهل البلاء في الإسلام، ولكن وضعهم الاجتماعي، والشعور بتفاوت الأعراق الذي أكدته خلافة عثمان جعلتهم ينظرون إلى مثالية الإسلام بمفهوم يختلف عما يدعو إليه الإمام علي والذين التقوا حوله. على أن هؤلاء كانوا بموقف صعب وعسير، إذ وجدوا أن اخوانهم من الصحابة (الكبار) قد أكذت ظاهرة النزوع إلى الأعراف القبلية نظرتهم إلى مفهوم العدل الاجتماعي في

(١). كانت ولاية الشام كلها لمعاوية، ومصر لعبد الدين سعد ابن أبي السرح، والكوفة للوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم لسعيد بن العاص، والبصرة لعبد الله بن أبي عامر.

(٢). انظر شرح البلاغة ١٩٩/١ ومروج الذهب ٥٤٤/١ ولأمر قارن المسعودي بين ما كان أيام عمر وما صار إليه الأمر أيام عثمان، قال: ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب، بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة.

(٣). انظر شرح نهج البلاغة ١٧٣/١.

الإسلام، ذلك المفهوم الذي لم يتفق بأيّ من مناحيه مع ما يدعون إليه .
كان عبد الله بن مسعود، وهو صحابي جليل من البدرين وأهل بيعة
الرضوان، صاحب بيت المال في الكوفة، قال له عثمان: إنما أنت خازن بيت
مالنا، فطرح عليه المفاتيح إذ كان يظن أنه خازن بيت مال المسلمين، بيد أن عبد
الله بن مسعود ضرب وأهين، وقطع عنه العطاء حتى مات فقيراً لا يملك شيئاً^(١).
أما عثمان، فلم يقف عند حدّ في إهانة هؤلاء المعارضين الذين لم يجدوا
مسوّغاً لبذل الأموال على فئة محدودة، فقد أهان عمار بن ياسر بقسوة^(٢)،
وكذلك فعل مع أبي ذر الغفاريّ ذلك الشيخ الجليل الذي كان صوته متميزاً في
المعارضة ودعوة الفقراء لتناول حقهم من جيوب الأغنياء بالسيوف إن لم تصل
إليها أيديهم ولم يزل دأبه كذلك حتى مات في منفاه بصحراء الربذة من الجوع
والألم، ولقد أثار موته سخطاً وأماً في المدينة حيث شاع أنه مات تاركاً أرملته التي
لم تكن تملك ما تكفن به شيخها الشهيد^(٣)، لقد كان الوضع يشير إلى أن في
الطريق ثورة أكيدة الوقوع، وسوف لا يقف دونها شيء، وأحسب أن ما فعله
عثمان في المدينة لم يكن الدافع الرئيس لها، بل كانت في الأمصار دعوة عنيفة
ومتصلة للتوجه إلى المدينة المنورة حيث يكون (الجهاد الأكبر)^(٤) وكان مشير هذه
الثورة (فتيان من فتيان قريش، كان لها فيما انتهت إليه هذه السياسة من الثورة أثر
أيّ أثر، وهما محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر^(٥) وفي الكوفة كان الاشر
النخعي، أكثر الرجال شعبيةً وأعظمهم قوة وثبات^(٦) وقد مهدّ ولاية عثمان -الذين

(١). انظر: أنساب الأشراف ٢٦/٥.

(٢). أنساب الأشراف ٤٨/٥.

(٣). أنساب الأشراف ٥٢/٥ وتاريخ اليعقوبي ١٦٢/٢.

(٤). انظر: طه حسين، الفتنة الكبرى. عثمان.

(٥). انظر: الفتنة الكبرى. عثمان ص ١٢٦.

(٦). انظر: مروج الذهب ٥٤٧/١.

- الذين لم ينظر الناس إليهم باحترام - للثورة بسيرتهم التي أنكرتها الامصار، فالوليد بن عقبة بن أبي معيط، رجل مشكوك باسلامه، وفيه نزل قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن جاعكم فاسقٌ نبياً فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين))^(١) بيد أن عثمان وجد فيه مصدر قلق واضطراب فاستبدله بسعيد بن العاص الذي أجاج ثورة العراقيين بقولته الشهيرة: (إنما السواد بستان لقريش)^(٢) تلك الكلمة الذي دعمت الثورة وجعلتها وشيكة الوقوع، وفي مصر كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي يتذكر الناس سخريته برسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أهدر دمه لولا وساطة عثمان^(٣). كما أن سياسة ولاية عثمان ولدت في الامصار لدى القبائل نزوعاً كاد الإسلام أن يقضي عليه (وذلك أن القبائل العربية المفطورة على النزوع إلى الحرية والسأم من القانون قد أخضعتها شخصية النبي وأبقى حزم أبي بكر وعمر الضباطها وانصياعها للنظام، أما الآن فقد بدأت هذه القبائل تتبرم بسيطرة قريش ونزوع بذور التمرد في الأنحاء القصية كما شرع ينمو من جديد ذلك التحاسد العنصري القديم بين المضربين والحميرين الذي كان قد خبت ناره، وعاد الآن يتهدد الإسلام بأوخم العواقب)^(٤) ولم يلبث هؤلاء الناقمون الذين هالهم أن تكون ديارهم بستاناً لقريش حتى توجهوا إلى المدينة، وكانهم على موعد مع المصريين والبصريين، ولم يسفر نقاشهم مع عثمان على اتفاق، ولكن الشوار يتوا أمراً واتفقوا على تنفيذه، فلم يطل بهم المقام حتى عدو على عثمان وقتلوه في بيته دون أن ينتصر له أهل المدينة رغم رفضهم أن يكون القتل طريقة منه وكذلك لم ينصره معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام بل بقي ينظر إلى الأحداث. وينتظر النتائج. ويبدو أن الشوار والمعارضين من

(١). شرح نهج البلاغة ٢٣٨/١٧.

(٢). تاريخ الطبري ٢٨١/٤ و ٣٢٣.

(٣). انساب الأشراف ٣٥٨/١.

(٤). مختصر تاريخ العرب ص ٥٣.

أهل المدينة كانوا متفقين على خلع عثمان من الخلافة بيد أنه رفض أن ينزع (قميصاً كساه الله إياه) مستنداً إلى نظرية التفويض الالهي التي ترفض نظام الشورى الذي التزم المسلمون ببعض جوانبه ، كما كان مستنداً فيها بيدو على القوة التي سينجده بها معاوية وابن أبي السرح ، ويبدو أن الثوار حاولوا أن يتجنبوا أي صدام مع أي قوة تحاول الدفاع عن الخليفة المحصور ، على أن الخلية تُرك وحده ولم يحاول أحد أن يحل بينه وبين قاتليه سوى نفر يسير لم يستطع أن يفعل شيئاً . . . فعلي كلن يترقب النتائج ويحاول تهدئة الثائرين ، ولم يكن له أن يدفعهم بقتال وهو يحمل ما يحملون من معارضة وسخط ، لقد (كان يريد الثورة ولكنه يريد لها خلع عثمان بعد أن فقد الثقة في إصلاح الأمر على يديه ، إنه لم يكن يريد أن تتطور الأمور إلى سفك الدماء ، وكان يكره أن تكون سابقة في الإسلام لها ما يليها من آثار)^(١) ولقد لخص الإمام علي رأيه فيما شجر بين عثمان والثوار بقوله الموجز :

(لقد استأثر فأساء الإثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع)^(٢) .

علي خليفة:


على أن الخلافة التي تحولت إلى مؤسسة قريشية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاول مؤسسوها أن يجعلوها متداولة بين بطون قريش ، إلا أنهم استثنوا هاشماً من هذه الشركة ، إذ أن كون النبوة فيهم سيجعل لهم امتيازاً على كل قريش لو صارت الإمامة إليهم أيضاً^(٣) .
ويبدو من محاكمة النصوص القليلة التي تداولتها كتب التاريخ في أحداث

(١). اليمين واليسار ص ٨٦ .

(٢). نهج البلاغة ٧٣ .

(٣). تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٢ .

تلك الفترة الحاسمة ، إن علياً كانت له نظرة تختلف عما اتفقت عليه قريش ،
وعما حاولوا أن يرسخوه بين الناس كعقيدة لا مفر من اعتقادها والإقرار بها ، إلا
أننا يجب أن نعترف أن تلك الفترة حوصرت بما يسميه المعاصرون بتعميم
إعلامي ، فضاع على المؤرخ المباحث كثير من المعلومات التي تضيء له الطريق ،
وتكشف عن الأحداث ما تراكم عليها من ظلم وظلمات .

احتجّت قريش على الأنصار بأنها قبيلة النبي (صلى الله عليه وآله) وإنها .
لذلك - أولى بإرثه وأحقّ بسلطانه ، وهي حجة اعتمدها علي في نزاعه مع قريش ،
فهو أقرب القرشيين إلى رسول الله نسباً ، إلا أننا نراه اتخذ مع مؤيديه طريقاً آخرأ
لا يعتمد القبيلة ولا يستند عليها . أراد أن يكون الدافع لنصرته وتأييده عقيدةً
دينية ، لا مكان للعصية أو الكفاءة العائلية فيها ، ولعلنا نستطيع أن نرى هذه
الحقيقة بوضوح لو تابعنا علياً في نزاعه مع قريش  غيب وفاة النبي الأكرم (صلى
الله عليه وآله) .

كما يجب أن نؤكد هنا أن التفاف قريش حول خلافة أبي بكر لم يكن حركة
عفوية أملاها الفراغ الذي أحدثه غياب النبي الأعظم ، كان عملية محسوبة وخطة
متفق عليها منذ مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أحس بما تدبره
قريش وتخطط له ، ولعلّ في بعث أسامة إلى مشارف الشام ، ذلك البعث الذي
أوعب فيه النبي كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وإلحاحه الشديد على
انفاذه رغم مرضه ، ثم عناد هؤلاء ، وطعنهم في اِمارة أسامة لصغر سنّه ، ثم
تلكؤهم في انفاذ البعث انتظاراً لما سيسفر عنه مرض الرسول الكريم ، وحديث
الكتف والدواة ، حيث طلبهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبيل وفاته ،
فأثيرت ضجة يبدو أنها مفتعلة ، حالت بين رسول الله وبين ما أراد كتابته^(١) كل
تلك الأحداث تؤكد ذلك ولا أرى حاجة في سرد التفاصيل .

(١) . انظر صحيح البخاري ١١/٦ وانساب الأشراف ٥٦٢/١ .

وحيث أن تلك الأحداث يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر، أحب أن أضيف أن موقف الخليفة عمر إزاء الاعلان عن وفاة رسول الله، وتهديده لمن قال ذلك أو ادعاه، حتى مجيء أبي بكر^(١) فذهابهما إلى سقيفة بني ساعدة كان مرتبطاً بما سبق من أحداث وبما سيحدث على حد سواء، يبدو لي أن تلك الأحداث واضحة الدلالة رغم ما تراكم عليها مما وضعه الرواة لتبرير موقف أو للتغطية على آخر.

أستطيع أن أخلص من كل ذلك إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحسن أن قريشاً تدبراً أمراً بعد وفاته، فأراد أن يفرغ المدينة لعلي بن أبي طالب فأعلن عن بعث أسامة، وطالب بإنفاذه فوراً، إلا أن كبار الصحابة تريثوا في إنفاذه، ولم يفد معهم إلحاح النبي الكريم، فما أن يستقروا في معسكرهم بظاهر المدينة حتى ينحدروا إليها يتنسمون الأخبار، وما آل إليه مرض النبي الكريم، حتى انتقل (صلى الله عليه وآله) إلى جوار ربه، وقف عمر مهدداً كل من صدق بوفاته، لعله أراد بذلك إلا يسبقه أحد إلى عمل شيء، حتى إذا قدم أبو بكر، سلم بما أنكره أولاً، فذهبا إلى سقيفة الأنصار، الذين اجتمعوا ليتداولوا في أمرهم وما سيؤول إليه بعد وفاة النبي الكريم، ويبدوا أنهم لم يكونوا قد قرروا شيئاً، مما سهّل على المهاجرين الإدلاء بحجتهم، ولم يعدوا مؤيدين من الأنصار الذين دفعهم كما يؤكد المؤرخون الحسد وكوامن الخلاف القديم بين الأوس والخزرج، فقبلوا بأبي بكر خليفة^(٢).

إلا أن قريش اعتبرت فوز أبي بكر بالخلافة انتصاراً لها على الأنصار الذين تمهد للإسلام طريقه بسيوفهم، وكان شعار المهاجرين (نحن الأمراء وأنتم الوزراء) قد أفرغ من مضمونه بعد بيعة أبي بكر، فلم نجد أحداً من الأنصار وزيراً

(١). انظر شرح النهج ٢/٢.

(٢). انظر شرح النهج ٢/٢.

أو مشيراً، وحتى أولئك الذين وقفوا مع ممثلي قريش حسداً لسعد بن عبادة الخزرجي، لم يستوزر أحد منهم، ولم يتسمنم أياً من المناصب الكبرى التي كانت حكراً على سروات قريش.

قلت: إن علياً أراد من مؤيديه أن يقفوا معه بدافع عقيدة دينية وليس لشيء آخر، ودليلنا على ذلك: أنه وقد انتهت قريش من إقرار المسلمين بأن خلافة رسول الله يجب أن تكون فيها، اندفع إلى بيعة علي (عليه السلام) اثنان يمثلان أقوى بطون قريش، هما العباس بن عبد المطلب شيخ بني هاشم، وأبو سفيان شيخ بني أمية، ويجمع الطرفان عبد مناف، إلا أن دافع العباس والهاشميين للوقوف إلى جانب علي كان العصبية لبني هاشم، واندفاع أبي سفيان إليه كان للعصبية المنافية، فقد هاله أن يلي أمرهم بنو تيم أضعف بطون قريش، وفي رواية الطبري:

أن أبا سفيان أقبل وهو يقول: (والله إنني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، يا آل عبد مناف، فيما أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان، أين الأذلان علي والعباس؟ وقال: أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك، فأبي علي (عليه السلام)، وكان حرياً ببناء أبي سفيان: يا آل عبد مناف أن يغير مجرى الأحداث لولا إباء علي^(١).

ولم يكن أبو سفيان وحده من الأمويين الذين أرادوا بيعة علي والانتصار له، فقد كان خالد بن سعيد الأموي وهو من السابقين إلى الإسلام وأخوه أبان من الذين رفضوا بيعة أبي بكر وأرادوا لعلي^(٢) إلا أن الرواة أضافوا لهذا الحادث ما وصم أبا سفيان بالفتنة على لسان علي نفسه، قالوا:

أن علياً عندما قال أبو سفيان: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش،

(١). تاريخ الطبري ٢/٣٠٩، وانظر كذلك: أنساب الأشراف ١/٥٨٨.

(٢). أنساب الأشراف ١/٥٨٨ وتهذيب ابن عساکر ٥/٤٨.

والله لئن شئت لأملأنها خيلاً ورجالاً، قال: يا أبا سفيان، طالما عادت الإسلام وأهله، فلم تضره بذلك شيئاً. إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً^(١) ولا نعلم لم لم يقل له أبو سفيان، فلم لا تبايعه إن كنت قد وجدته لها أهلاً!

والغريب أن علياً الذي رفض بيعة أبا سفيان والعباس، ومن ورائهما من بني عبد مناف، راح يطالب الأنصار وغير الأنصار بنصرته، قالوا، أنه حمل فاطمة (عليها السلام) على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصره، وتسالهم فاطمة الانتصار له، فيقولون، يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدنا به، فيقول علي: أفكنت أترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ميتاً في بيته لم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه، وتقول فاطمة (عليها السلام): ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيهم عليه^(٢) ترى لماذا صرف علي وجهه عن نصره عشيرته، وفيهم الشوكة والقوة والعدد، وطلبها من القصي البعيد. لقد كانت بنو عبد مناف يبطونها الكثيرة (أمة ونوفل وعبد شمس وهاشم والمطلب وما يلحقها من بيوت) تمثل صميم قريش من قصي، وساداتها وقاداتها وقد اقترح أبو سفيان أن يبايعه ويبايعه العباس فلا يختلف عليه اثنان من قريش، وكان أبو سفيان يطوف بأزقة المدينة ويقول:

أبا حسن فاشدد بها كف حازم
وإن امرءاً يرمي قصي وراءه
فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
عزيز الحمى والناس من غالب قصي^(٣)

غير أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يرفض أن ترمي قصي وراءه. وتحصن بيت فاطمة بأنصار قليلين، وأكثرهم مستضعفون لا شوكة لهم ولا

(١). انساب الأشراف ١/٥٨٨.

(٢). انظر: رواية أبي الحسن الجوهري في شرح نهج البلاغة ٦/٢٨، والإمامة والسياسة ١/١٢.

(٣). انظر: تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٥.

عشيرة ترمي من ورائهم ، مثل أبي ذر وعمار ، لقد استنصر قوماً لا شوكة لهم ولا قبيلة تنصرهم ، ولكن يحدوهم إيمان ومبدأ وعقيدة إلى نصرته والوقوف إلى جانبه ، وهذا يفسر لنا قوله لأبي سفيان (لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهظتهم) .
لقد كان أبو سفيان صادقاً في تعصبه لعلي كما تحدثنا طبيعة الأحداث وطبيعة العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر ولربما في عصور أخرى ، لذلك رفض علي بيعة تأتي بدافع العصبية ، لأن في ذلك إحياءً للجاهلية ، وإماتةً لروح الإسلام وتعاليمه وأحكامه . فلم يكن يطلب الخلافة لأنه من قبيل قوي ، ساد في جاهلية أو في اسلام ، يقول للمهاجرين : لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ، والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى ، فتزدادوا من الحق بعداً^(١) .

غير أن سرعة تحرك القرشيين وأخذهم البيعة بالطريقة التي تحدث عنها المؤرخون وضع الآخرين أمام أمر واقع . أما هذا الطارئ الذي بدأ يلوح بعجاجة لا يطفئها إلا دم . فقد اعتوره موقفان ، موقف علي الذي رفض أن تكون بيعته لعصبية جاهلية ، وموقف الفائزين بها الذين بدأوا يرون في دعوته خطراً يهدد ما تحقق لهم بأوخم العواقب ، فرأوا أن يتألفوه ، ليأمنوا شره وليضمنوا انجيازه لهم بعد أن يكون له في الأمر شيء ، ما دام هدفه الأمرة ، فتركوا ما في يده من صدقات نجران ، وكان رسول الله قد بعثه إليها مصداقاً ، فعاد بها بعد وفاته^(٢) ثم ولّوا ابنه يزيداً إمرة أحد الجيوش المتوجهة إلى الشام^(٣) ، ثم ولاية دمشق ، ويحدث بعض المؤرخين أن يزيداً لما حضرته الوفاة أوصى أن يكون خلفه معاوية^(٤) ، وتلك ظاهرة غريبة ، إذ لم يحدث لأحد من الأمراء أن أوصى لغيره

(١) . شرح نهج البلاغة ٢٨٥/٦ والإمامة والسياسة ١٢/١ .

(٢) . العقد الفريد ٦٢/٣ وانساب الأشراف ٥٨٩/١ .

(٣) . تاريخ الطبري ٢٠٩/٣ .

(٤) . تاريخ خليفة بن خياط ١/١ .

من بعده ، إنما ذلك من تدبير الخليفة ورأيه .

ولعل في ذلك سند للرأي القائل : إنهم أعطوا دمشق الشام طعمة تكون لهم مقابل التخلي عن بني عمومتهم ، والانحياز إلى صفهم ، وهو رأي لم يذكره المؤرخون ، ولكنهم ذكروا ما يؤكد ، فقد ذكروا أنهم عرضوا على العباس ولاية تكون له ولأعقابه وراثته^(١) .

كان تحرك قريش اتجاه موقف علي والهاشميين يأخذ في جانبين ، أولهما اتباع الشدة مع علي ورهطه واجباره على البيعة فاقترحوا عليه بيته وهددوه بالحرق رغم وجود فاطمة بنت رسول الله فيه^(٢) والثاني قطع جانبه بضم مؤيديه لهم ، فعلوا ذلك مع أبي سفيان ، وأرادوا أن يفعلوا ذلك مع العباس بن عبد المطلب الذي رفض أن يكون له بعض الأمر وليس كله ، غير أن الأمويين وقد اطمأنوا إلى أن الشام المستثناة من تغيير الولاية ، أصبحت قاعدتهم ، بدأوا بتأسيس حزب لهم ، يرب ويقوى كلما كثرت حولهم القبائل التي استطاعوا اصطناعها وضمها ولائها فيما إذا حزب أمر . وكانت خلافة عثمان ذروة الانتصار ففي عهده ضمت كل الشام إلى معاوية . تلك الولاية الضخمة التي استطاع معاوية أن يحصنها مما استجد من أفكار (هدامة) وكان في مقابل ذلك حزب علي الذي لم يحاول أن ينظم نفسه . ويضمن له قاعدة تستند على تنظيم ، بل اكتفى بإبداء النصيح ، واستتكار أي تصرف مخالف لأحكام الدين ، حتى إذا قتل عثمان ، واندحرت قريش في المدينة أمام شوكة المعارضين ، تحرك الأنصار ، ورأوا أن يكون لهم هذه المرة رأي فيمن يستخلف من قريش^(٣) ، وتحرك غيرهم ممن لم يكن له ما لقريش في معالجة مسألة الخلافة . وتدافع الناس إلى علي يبايعونه ، وهو يمسك يده^(٤) لأنه يرى أن المهمة

(١) . تاريخ اليعقوبي ١١٤/٢ ورواية الجوهري في شرح النهج ١٣/٢ .

(٢) . انظر: أنساب الأشراف ٥٨٦/١ والامامة والسياسة ١٣/١ وكنز العمال ١٤٠/٣ .

(٣) . انظر: تاريخ اليعقوبي ١٦٦/٢ .

(٤) . الطبري ٤٢٨/٤ وانظر: علي ونبوه ص ١٩ .

أصبحت الآن (بشرّاً لا ينفع معه خيراً) كما قال العباس بن عبد المطلب من قبل ، إذ أن مقتل عثمان (لم ينه الفتنة التي هي في جوهرها صراع بين الارستقراطية القريشية وبنو أمية - في تحويل الإسلام إلى وسيلة لتحقيق مطالبها المادية وبين مبادئ الإسلام الأصلية)^(١) ولم يكن للإمام إلا أن يمدّ يده للناس الذين انشأوا عليه . ليسير بهم من ثمّ على طريق طالما دعا إليه ، ولكن طريقه اليوم تعتوره شتى المصاعب ، وتكتنفه شتى الاتجاهات والميول ، فالصحابة (الكبار) لم ترق لهم نظرية المساواة التي حمل لواءها الإمام علي ، وقد أوجسوا خيفةً من صرامة علي في تطبيق ذلك ، فاعتزلوه ورفضوا بيعته^(٢) ، ومنهم من بايع بانتظار أن يكون شريكاً في السيادة والنفوذ طلحة والزبير^(٣) وهناك الثوار الذين استمروا طعم القوة والمطالبة العنيفة ، ولم يستسيغوا بعد ذلك الثراء العريض لكبار قريش من الصحابة وغيرهم ، وبجانب آخر كان معاوية بن أبي سفيان الذي مهدّ لنفسه في الشام منذ عشرين سنة ، بانتظار مثل هذا الظرف ، وحوله الأمويون والمرزقة ، منبئين هنا وهناك وعدّتهم المكر والدهاء ، وتجاه كل أولئك كان علي بن أبي طالب الذي يأبى إلا أن يسير بطريق واضح وسليم من أية عقدة أو التواء واضعاً أمامه مثاليته التي لا يلويه عنها شيء ، في حين أن ظروفه لا تتطلب إلا المكر والدهاء إذ إن (روح الإسلام المتمسك بها خليفة المسلمين أصبحت بعيدة عن روح العصر^(٤)) وذلك مما زاد من متاعبه وهمومه في إعادة روح المسلم إلى قلب كل رجل .

لقد كانت مثالية علي ومفهوم الإسلام عنده تهديد مباشر لأصحاب المراكز الاقتصادية الممتازة^(٥) ، ذلك المفهوم الذي عرفوه جيداً عندما كان يضعه أمام

(١) . موجز تاريخ العرب والإسلام، للدكتور قاسم عزيز ص ١٦٠ .

(٢) . شرح نهج البلاغة ٣٨/٧ .

(٣) . شرح نهج البلاغة ٤٢/٧ .

(٤) . موجز تاريخ العرب والإسلام ص ١٦٧ .

(٥) . علي وبنوه ص ٢١ .

عثمان دائماً، ويدعو إليه ويبشر به أبو ذر وعمار ورهطهما، وقد بدأ هو (عليه السلام) يشرح سياسته المالية، بل بدأ بتطبيق سياسته في القطاعات والأموال الذي ذهبت في غير حقها، قال:

والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددته. فإن في الحق سعة، ومن ضاق عليه الحق، فالجور عليه أضيّق^(١) ولم يكن هؤلاء في حاجة إلى أن يعلن عليّ عن منهجه أو يرسم لهم طريقه، ولم ينتظر هؤلاء حتى جمعوا لأنفسهم القوة التي يحسبون أنها سترفعهم إلى المراكز التي يبتغون، فقد ثار طلحة والزبير اللذان ناصبا عثمان العدا من قبل وأثار عليه السخط، ولا أحسب أن موقفهما تجاه عثمان يختلف عنه تجاه علي، بالرغم من مطالبتهما عليا بدمه، وقد وجدا بمكة من يساندهما ويؤيدهما، ولم يلبثا حتى وجدا سنداً آخرأ قوياً هو السيدة عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاجتمعوا للطلب بدم عثمان، وتوجهوا إلى البصرة حيث قابلهم عاملها عثمان بن حنيف الأنصاري، يجادلهم فيما يريدون حتى انتهى الأمر بهدنة بينهم، وسمح لهم بالبقاء انتظاراً لعلي الذي بدأ يتحرك من المدينة^(٢) إلا أنهم سرعان ما غدروا بعامل البصرة فهاجموه بليل، وقتلوا العشرات من أصحابه وهو يصلي بهم العشاء، ثم أطلقوه بعد ما مثلوا به^(٣)... والملاحظ أن عليا قابل تلك الغدره بصبرٍ وهدوء، ولم يحاول الانتقام، بل بدأ يبعث الرسل يجادلونهم بالحسنى، ويبصرونهم محجة الحق والصواب^(٤) ولكن نفوس هؤلاء، قد انطوت على شيء لا ينفع معه الكلام، ولا تدحضه الحجة والاقناع، ولم تلبث الأحداث حتى تجلت عن تصاف الفريقين استعداد لصراع عنيف، وحتى في تلك اللحظة، لم تخلُ نفس علي من

(١). نهج البلاغة شرح صبحي الصالح ٩/٣٢٠.

(٢). شرح نهج البلاغة ٩/٣٢٠.

(٣). تاريخ الطبري ٤/٢٦٧.

(٤). الكامل في التاريخ ٣/١٢٠.

أمل في حمل هؤلاء إلى موطن لا يكون فيه السيف حكماً، فأمر فتى بحمل مصحفاً يدعو إليه الثائرين ولم يكذ الفتى يمضي بمصحفه حتى رشقوه بالسهام، فخرّ صريعاً^(١) وهكذا بدأت الحرب التي اشتهرت باسم حرب الجمل، حيث وضعت زوج الرسول في هودج على جمل أحاط به المقاتلون، ولم تستمر الحرب أكثر من نهار حتى انهزم الثائرون، وقتل طلحة والزبير، وردت زوج الرسول إلى بيتها باحترام^(٢) ووقف علي يتأمل القتلى بألم يعتصر قلبه، وأسف على تلك المثل التي بدأت الفتنة تعصف بها، لم يكن يطلب نصراً كهذا، كان يريد الناس أن ينتصروا على شوائب النفوس التي تنكبت بهم عن النهج الصحيح (كان الانتصار الذي ينشده علي، هو سمو الإنسانية واتصالها بالمبادئ الإسلامية اتصالاً أصيلاً كأنه غريزة أو فطرة، ولهذا كان انتصاره في موقعة الجمل هزيمة لتلك المبادئ كلها، كان فشلاً في رسالته تلك أن يخلق الشخصية الإسلامية في قلب كل رجل)^(٣) ولم يشأ (عليه السلام) أن يعامل المنهزمين بروح المنتصر، فلم يجعل الحرب مغنماً لمحارب غالب، وأمر أن يرد للمتمردين ما أخذ منهم رغم احتجاج أولئك الذين تساءلوا: كيف تحلّ لهم الدماء ولا تحلّ لهم الأموال^(٤) وهكذا انتهت هذه الحرب، وانجلى عن آلاف القتلى اللذين ذهبوا ضحيةً لمطامع لم تكن من روح الإسلام في شيء، ولم ينتصر بها سوى ذلك المتربص في الشام.

ولم يشأ الإمام علي (عليه السلام) أن يعود إلى المدينة، حيث لم يجد فيها ما ينتصر به على خصمه الممتنع في دمشق، فاتجه إلى الكوفة ليجعلها مستقراً له، وعاصمةً للدولة الإسلامية، ولم يكن له أن يأمن جانب القرشيين وهو يرى أنهم استجابوا لمحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليجعلوا من اسمه ذريعة لرئاسة

(١). تاريخ الطبري ٥١١/٤.

(٢). مروج الذهب ٥٧٣/١.

(٣). اليمين واليسار ص ١٢٣.

(٤). شرح نهج البلاغة ٢٥٠/١.

يلونها^(١) ولم يكن له أن يأمن جانبهم وهو يرى أنهم عجزوا أن ينفذوا ما أضمروا لرسول الله من ضروب الشر والعدوان، فتوجهوا الآن إليه، يقول:

اللهم إني استعديك على قريش، فإنهم أضمروا لرسولك (صلى الله عليه وآله) ضروباً من الشر والغدر فعجزوا عنها، وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة علي^(٢) وكلام الإمام هذا يعطينا بُعد الهوة السحيقة بينه وبين قريش، التي سيزيد تألبها عليه صرامته في تطبيق مثالية الإسلام، يقول (عليه السلام) في عداء قريش له:

اللهم أنك تعلم إني لم أرد الامرة، ولا علو الملك والرئاسة، وإنما أردت القيام بحدودك، والأدلاء لشرعتك ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وارشاد الضال إلى أنوار هدايتك^(٣) لقد دفعه ثبات الكوفيين على نصرته تجاه موقف قريش هذا إلى الاستقرار بالكوفة، التي بدأ منها بإرسال النذر والوفود إلى معاوية قبل أن يتحرك بهم إليه، غير أن معاوية لم يكن ليعير هذه المراسلات أذنًا ويتخلى عن أمر كان يهد له منذ زمن طويل، لقد كان معاوية رجلاً فريداً، جمع له القدر كل مقومات الرجل الذي لا تقف دون مراميه أي قيم، ولا يعترض طموحاته أي منحي من مناحي النفس الإنسانية النبيلة، والقدر الغشوم الذي كان يرسم له الطريق، وضعه أمام رجل لا يستطيع القدر أن يتكّب به عن متاليتة التي جُبِلَ عليها مهما أوتيت أعاصيره من قوة وأنواء. لقد ربي معاوية في حجر هند التي لاكت كبد الحمرة الشهيد تشفياً وغيظاً، وتحت ظل أبي سفيان، ونشأ علي في كنف الرسول الكريم، مستلهماً منه كل ما تحمله رسالته من تضحية وطلاب للخير والحق المطلق، وحين كانت

(١). شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٩٨.

(٢). شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٩٨.

(٣). شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٩٩.

رسائل معاوية إلى علي تتصف بالبذاءة والسباب الدنيء ، كانت رسائل علي هادئة كل الهدوء ، تغترف من نبع صاف اندمجت نفس علي عليه ، ولم يكن ابن أبي طالب يرى في معاوية نظيراً له ، فما إن بدأ يتناول بفخر ويدلي باعتزاز حتى ابتدر له بهدوئه المعتاد ، ليضعه ضئيلاً تجاه طوده الشامخ الموروث منه والمكتسب ، كتب إليه :

فيا عجباً للدهر إذ صرت يُقرن بي من لم يسع بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي التي لا يُدلي أحدٌ بمثلها ، إلا إن يدعي مدح ما لا أعرفه^(١) .
ومن رسائله إليه :

فأنا أبو الحسن ، قاتل جدك وخالك وأخيك شذخاً يوم بدر ، وذلك السيف معي ، وبذلك القلب ألقى عدوي ، ما استبدلت ديناً ، ولا استحدثت نبياً ، وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مكرهين^(٢) .
ومما كتب إليه :

وأما قولك إنا بنو عبد مناف ، فكذلك نحن ، ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ، والمحمل كالبطل ، ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم . . . وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ، ونعشنا بها الدليل^(٣) .

يبد أن الفريقين يسيران إلى الحرب سيراً حثيثاً ، فقد تجهز معاوية وسار ليلتقي بجيش علي في صفين ، ولكن معاوية سبق إلى موقع الماء ليمنع جيش الإمام منه^(٤) ويطلبه الإمام بجعل الماء مشاعاً بين الفريقين ، فيأبى ، وينهد إليه الإمام

(١) . نهج البلاغة ، محمد عبده : ١٠/٣ .

(٢) . نهج البلاغة ، محمد عبده : ٢/٣ .

(٣) . نهج البلاغة ، محمد عبده : ١٣/٣ .

(٤) . انظر ورقة صفين ص ١٥٧ . ١٦٠ .

بفرق من جيشه ويجليه عن الماء، ولكنه لم يحل بينه وبين جيش الشام^(١) ولو فعل لضمن لنفسه النصر بدون عناء كثير، فنجد في المؤرخين من ينحي علي بن أبي الملامة لكرمه هذا، ولكن هؤلاء كما قيل يريدونه أن يكون معاوية بن أبي سفيان، ويأبى هو إلا أن يكون علي بن أبي طالب، ولم يطل بالغريقين الانتظار حتى بدأت حرب ضروس جلى فيها الصحابة الأولون من المهاجرين والأنصار، كما جلى من العراقيين مالك بن الحارث الأشتر^(٢) وبدأت تباشير النصر تلوح في الأفق بعد أن قدم أجلاء الصحابة أنفسهم ضحايا له، فقد قتل عمار بن ياسر، وقتل ابنا بديل وهاشم المرقال وخزيمة

بن ثابت ذو الشهادتين، وغيرهم كثيرون^(٣)، ولكن الشاميين رفعوا المضاحف على رؤوس الرماح يدعون للاحتكام إليها^(٤) وقبل العراقيون تلك الخدعة التي ابتدعها عمرو بن العاص بعد أن عمل الضجر من القتال عمله في النفوس، كما عملت رسائل معاوية إلى ضعاف النفوس عملها، ولم يلبث جيش علي حتى انشق على نفسه، علي وقليلون يرفضون الخدعة، والكثرة يدعونه ومن التف حوله إلى قبول التحكيم، ووجد علي (عليه السلام) نفسه مضطراً للرضوخ، فبعث إلى الأشتر الذي ما يزال يقاتل بضراوة وإصرار أن يكف عن القتال، وهكذا وضعت الحرب أوزارها، وانتهت بمهزلة التحكيم المثيرة للسخرية والسخط في آن واحد.

وعلي الذي جُبِل على الاصرار بدأ يتجهز لقتال معاوية ثانية ولكن جيشه شعر بأنه خدع بقبول التحكيم، فأعلن بعضه أنه أخطأ وكفر، ودعا عليا للاعتراف بالخطيئة والكفر وإعلان التوبة، ويأبى علي تلك الدعوة الغريبة، ويحاول أن

(١). وقعة صفين ص ١٦١.

(٢). وقعة صفين ص ١٦٤.

(٣). انظر تفاصيل ذلك في وقعة صفين.

(٤). انظر تفاصيل ذلك في وقعة صفين والمصادر الأخرى التي أرختها.

يقنعهم بخطر ما يرون، فأبوا إلا الخروج عليه حتى وجد نفسه مضطراً لحربهم والقضاء عليهم^(١) ليفرغ ثانية إلى خصمه الذي بدأ جنده يعيشون بأطراف البلاد^(٢) ولكن علياً لم يبق من جيشه غير الخذلان حتى امتلاً حنقاً وغيظاً، لقد بدأ العراقيون متواكلين متخاذلين، ومختلفين في كل ما يدعو إليه، فانتشر الجدل العقيم بينهم مقابل التفاف أهل الشام حول معاوية في كل ما يدعو إليه، وقد حاول المؤرخون التحري عن أسباب تلك الظاهرة التي تبدو غريبة في كلا الجيشين، يقول كارل بروكلمان: (وإذا كانت الكثرة المطلقة من السكان العرب في العراق لم تخرج من الصحراء إلى مواطنها الجديدة إلا نتيجة لحروب الفتح، فقد كان معظم السوريين العرب يعيشون في بلاد الشام منذ قرون متطاولة، وإذا احتك هؤلاء السوريون دهرأ صالحاً بالكنيسة المسيحية وبالامبراطورية الرومانية، فقد تعودوا الخضوع للنظام الديني الذي يقتضيه نظام الدولة)^(٣).

على أن علياً استطاع أخيراً أن يلهم شمل العراقيين ويضرب لهم موعداً ليعسكروا في النخيلة، وما أن اقترب الموعد حتى اغتيل في المسجد في رمضان سنة ٤١ هـ، نتيجة مؤامرة حيكمت ضده ودرج المؤرخون على نسبتها إلى الخوارج، وهكذا ذهب علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لم يجد التاريخ له نظيراً في أي من مناحي النفس الإنسانية المجبولة على الخير، من شهامة ورحمة وسماحة ومروءة، وشجاعة لم تعرف لها ساحات القتال مثيلاً، وهكذا ذهب ابن أبي طالب شهيد مبدأ لم يشأ أن يحيد عنه رغم كل العواصف التي كانت تجتاح كل شيء، فخلت بموته الساحة للأمويين ليشيدوا الدولة المترفة في الإسلام، بيد أن علياً كان قد وضع معالم الطريق للثورة عليها.

(١). وقعة صفين ص ٥١٧.

(٢). الكامل في التاريخ ٣/١٨٨، وكتاب الغارات الذي روي أكثره في شرح النهج.

(٣). تاريخ الشعوب الإسلامية ١/١٤٨.

وأحسب أن من المناسب أن أقف عند حديث المؤرخين على الفتن التي اجتاحت العالم الإسلامي منذ خلافة عثمان وتمخضها عن تأسيس الدولة الأموية، أن أقف على ناحيتين كثر الحديث عنهما قديماً وحديثاً.

الأولى: قضية عبد الله بن سبأ الذي نسبت إليه الفتن التي عصفت بعثمان، كما نسبت إليه المبادئ الغربية التي ذاعت بين المسلمين وكادت أن تعصف بالإسلام، ومنها الغلوفني شخصية الإمام علي وقدسيتها، وأحسب أن من السخف أن ننسب كل تلك الأحداث إلى رجل مغمور يتنقل من اليمن إلى الحجاز، وإلى الشام والعراق ومصر، ليشعل فتيل الاضطراب أينما حلّ، على أن في المعاصرين من كفانا شأن ابن سبأ واسطوره، لقد أكد سيرة ابن سبأ وأثره في التاريخ العربي والمذاهب الإسلامية أولئك (الكتاب الذين لا يعنيه من التاريخ واقع، ولا من الحياة حال أو ظرف، فإذا بهم يعللون ثورة المظلومين على أيام عثمان، ويحصرون أحداث عصر بل عصور بإرادة فرد يطوف في الأمصار والأقطار، ويؤلب الناس على خليفة ودولة)^(١) ولعل الدكتور طه حسين أول من ألقى ظلالاً من الشك على شخصية ابن سبأ، يقول:

(ويخيل إليّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً، وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصّت أمر الخلفاء على عثمان)^(٢).

ثم يقول:

(فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرج والاحتياط ونكبر المسلمين في صدر الإسلام عن أن يبعث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء، وكان أبوه يهودياً وكانت أمه سوداء، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً

(١). جورج جرداق: علي وعصره ص ٨٥٤.

(٢). الفتنة الكبرى، عثمان ص ١٣٤.

ولا رهباً، ولكن مكرأوكيداً وخداعاً، ثم أتيح له من النجاح ما كان يتبغي، فحرّض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه، وفرقتهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعاً وأحزاباً^(١).

ويقول:

(هذه أمور كلها لا تستقيم للعقل، ولا تثبت للنقد، ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ)^(٢).

ولكن السيد مرتضى العسكري تجرّد لموضوع ابن سبأ فأفرد له كتاباً ولم يتركه إلا أسطورة يأبى قبولها العقل والتاريخ^(٣).

والناحية الثانية: انتقاد سياسة الإمام علي ووصفه بعدم مجابهة الأحداث بما يلائمها، ويبدو أن ذلك الانتقاد بدأ قديماً ومنذ عصر الإمام نفسه، ويبدو أيضاً أنه وصله شيء مما وجه إليه. فقال في معرض خطاب يورّخ فيه أصحابه على التباطؤ والخذلان (لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش أن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّها مراساً وأحدٌ فيها مقاماً مني، لقد نهضتُ فيها، وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرّفت علي السنين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع)^(٤)، وقال أحد معاصري الإمام علي (عليه السلام): أن آل علي ليس لديهم إبالة للملك ولا جمعاً للمال ولا خديعة في الحرب^(٥).

(١). الفتنة الكبرى، عثمان ص ١٧٤.

(٢). الفتنة الكبرى، عثمان ص ١٣٤.

(٣). انظر: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكري.

(٤). نهج البلاغة، محمد عبده ٧٠/١.

(٥). عيون الأخبار ٢١١/١.

وأخذ عليه المحدثون مأخذ أخرى منها عدم إطاعته رأى ناصحيه في إبقاء معاوية على الشام ثم عزله بعد التمكن منه^(١) وعدم تلبية رغبات طلحة والزبير في تسنم المناصب دفعا لشرهما وحيازة لرضائهما، كما انتقدوه في عزل قيس بن سعد الأنصاري من ولاية مصر واستبداله بمحمد بن أبي بكر^(٢) وحاول أحدهم أن يعزوا الإمام إلى عدم ادراكه الرغبات النفسية وطبائع معاصريه، وعدم اشباع رغباتهم وخاصة الأشراف بالمنح والأموال^(٣) وأغرب ما سمعنا مذهب الخضري في سبب فشله، حيث يرى الخضري هذا أن صفات عليّ العالية دفعته إلى أن يرى نفسه التفوق ومزية الفضل، وإنما يقرب إلى قلوب الناس من يقول: وليت عليكم ولست بخيركم^(٤).

وأزعم أن كل أولئك لم يعرفوا علي بن أبي طالب كما هو، ولم يعرفوا العصر الذي ثار فيه الكفاح بين علي وخصومه، يعيب عليه هؤلاء المنتقدون الصراحة في حين أنه جاء ثورة علي المكر والرياء، وليس من اليسير عليه أن يتكّب الطريق الذي وضع هو معالمة، أو يغضي عن الشعار الذي طالما دعا إليه منذ أن خالطت النفوس تلك النوازع التي دحضها الإسلام وعادت الآن تظهر من جديد، ولا شك في أن الآخذين عليه هذه المآخذ لا يقيسون أعماله (الإجماع) انحدرت إليه المقاييس التي تنفي الإمامة والصدق وعمل الوجدان من حساب السياسة ومن أصولها)^(٥) وكذلك فإن هؤلاء لم يعرفوا فيما يبدو معاوية ولا العصر الذي دار فيه الكفاح بين علي ومعاوية (ان الكفاح بين علي ومعاوية، لم يكن كفاحاً بين رجلين أو بين عقليتين وجبلتين... ولكنه كان على الحقيقة كفاحاً

(١). شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٧ و٢٤٨.

(٢). شرح نهج البلاغة ٩/٢٤٧ و٢٤٨.

(٣). انظر: شفيق جبيري، العناصر النفسية في سياسة العرب، ص ٣٦ وما بعدها.

(٤). تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ١/٨٣.

(٥). علي وعصره ص ٩٨٣.

بين الإمامة الدينية والدولة الدنيوية ، وإن الأيام كانت أيام دولة دنيوية فغلب الداعون إلى هذه الدولة من حزب معاوية ، ولم يغلب الداعون إلى الإمامة من حزب الإمام^(١) و(لقد كان علي يدبّر خلافة وكان معاوية يدبّر ملكاً ، وكان عصر الخلافة قد انقضى وعصر الملك قد أظلم)^(٢) على أن سيرة الإمام علي لم تنته بموته ، فقد ألفت عليه ظلالاً بقيت ذكراها عالقة بقلوب المعارضين ، وصورة للمثالية المطلقة التي طالما رفعها الثائرون ، وشتان بين دولة جعلت المال أداة تستميل بها قوماً وتعاقب آخرين ، وبين دولة علي التي جسّد مثلها بنفسه ، ووضع معالمها بمثل قوله :

أفقع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسلّة شغلّها تقمّمها ، تكثرش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها^(٣) .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

العلويون:

قلت : أن علياً أوقد مع ميلاد الدولة المترفة في الإسلام فتيل الثورة عليها ، يقول الدكتور علي الوردي : (شاء الله أن يظهر في الإسلام جدّان مختلفان ، هما معاوية وعلي ، أحدهما أسس الدولة المترفة في الإسلام ، والآخر بذر بذور الثورة عليها)^(٤) ولم يكن وقود تلك الثورة المستمرة غير أبناء علي الذين غرس فيهم روحاً لا تنزع إلا إلى الثورة ، وجعل في روعهم أنهم خلّقوا وليس لهم في دولة

(١). العقاد: أبو الشهداء ص ١٤ وانظر: عبقرية الإمام علي.

(٢). علي وبنوه ص ١٦٥.

(٣). نهج البلاغة، ٧٢/٣.

(٤). مهزلة العقل البشري ص ١٠.

الإسلام غير طموحات الشهداء والمضحين . . لقد درج العلويون على اقتحام الغمرات وهم يرون أن هذا الدين بني بجهود أوائلهم ، فلا بد أن يقوموا الأود الذي اعتراه ، ويعدلون العوج الذي أصابه . وكان علي نفسه يرى ذلك ويقوله ويدلي به (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا احمر البأس ، وأحجم الناس ، قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والاسنة)^(١) . . . كما يرى (عليه السلام) أن أهل البيت (هم دعائم الإسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه من منبته)^(٢) وأحسب أن أبناء علي حرصوا كل الحرص على أن يكونوا مثلما وصفهم أبوهم الإمام ، فمن لم يحمل السيف للذب عن حياض الدين ، اتجه إلى أصول الدين وعلومه ، يتعلمها بجد وصبر ويذيع بين العالمين ما ورث منها وما اكتسب ، يقول الحسين بن علي (عليه السلام) : إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ولعلهم ورثوا من علي ما ورثوا منه ، اعتقاده الراسخ بأنه ما زال مدفوعاً عن حقه في الإمامة ومغلوباً عليه ، كما ورثوا منه إصراره على الطلب ولكن دون أن يشوب طلابه مكر أو دهاء ، يقول : (لناحق فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الأبل وإن طال السرى)^(٣) وعقيدة العلويين هذه كانت تدفع الحاكمين دائماً للتكيل بهم والحذر منهم ، فالسياسي لا يراهم إلا طالبين أو متوثبين للطلب . . وسنرى أن السلطة تُحادل جاهدة أن تثير كل من تشيم فيه مخابيل الطموح والطلاب ، لترى ما عنده ، وتكشف ما تنطوي عليه نفسه ، يثرونه ويلحون عليه في الإثارة حتى لم يجد لنفسه ظلاً غير سيفه فيخرج غير آبه بما ستجني عليه الغمرات ، ولأمر عُدَّتْ أكثر ثورات العلويين انتفاضات إباء ، لا تملك من مقومات الدعاة والطموحين غير

(١). نهج البلاغة ٩/٢ .

(٢). نهج البلاغة ٢/٢٣٢ .

(٣). نهج البلاغة ٣/١٤٢ .

إنصلاحة الإقدام وانطلاقة الموتورين ، وهكذا نجده ثائراً وربما لم تكن الثورة من رأيه ، ولكن خلقاً ورثه يابى عليه احتمال الحيف وموقف الأذلاء ، وفي صحائف التاريخ أن أحدهم خرج وهو يقول :

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صال^(١)

إنه خلّق موروث ، رسّخه فيهم تراث ضخم ، كما رسّخته فيهم عقائد اعتقدها الناس فيهم ، ولا شك أن علياً كان المعين الذي اغترفوا منه خصال الثبات ، وأخلاق الآباء يقول العقاد (وانك لتتحدّر مع أعقاب الذرية في الطالبين أبناء - علي وفاطمة - مائة سنة وأربعمئة سنة ، ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل اليك إن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات ، كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين ، ولا تلبث أن تهتف عجباً أن هذه لصفات علوية لا شك فيها)^(٢) وهكذا على مرّ التاريخ نجد لعليّ بن أبي طالب صورة تكرر في أبنائه ، تحمل كل ما يحمل من اصرار على النضال وثبات في الطلاب (ولولا خصال فيهم تعين على هذا النضال لما لبثوا عليه هذا الثبات ، ولا استطاعوا أن يصمدوا للعسف والعنت من بني أمية ثم من بني العباس ، ومعهم في المشرق والمغرب أعوان وأتباع ، وقد جدّوا غاية الجدّ في نكالهم بأبناء علي وفاطمة ، وصنعوا بهم ما كان خليقاً أن يستأصلهم أو يرغمهم على اليأس والاستسلام ، ولكنهم نجوا من الاستئصال بقضاء لا حيلة فيه للحاكمين والمسيطرين ، وخطر لهم كل خاطر إلا أن يستكينوا للرغم ويسلموا للسيف)^(٣) .

حين هبّ أبناء عليّ ثائرين بوجه السلطة الأموية كان شعارهم طلب

(١) . مقاتل الطالبين ص ٣٥٩ .

(٢) . أبو الشهداء ص ٤٦ .

(٣) . العقاد : فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٥٠ .

الاصلاح في أمة جدّهم الرسول، ولقد استهوى هذا الشعار فثأراً شتّى من
 الناس. استهوى أهل الورع والتقوى الذين هالهم عبث الأمويين وولاتهم في
 الأمصار، كما استهوى المستضعفين الذين ما زالوا ينظرون إلى سيرة الإمام علي
 (عليه السلام) مثلاً أعلى لمثالية الإسلام وعدله الاجتماعي، ولأسباب سنها
 استهوت العراقيين خاصة، وآخرين غير التقات وغير المستضعفين جمعهم اسم
 التشيع لآل علي صادقين فيه وغير صادقين. إذ (كان التشيع الراية التي التفّ
 حولها المقهورون من كل لون، فقد طاف بها أكثر الفرس واليمانية والمحرومون من
 أسباب العدل الاجتماعي)^(١) على أننا سنجد شعارهم تجاه بني العباس أبان
 دولتهم يكاد يغير ما درجوا عليه من قبل، بل أو شك إلا يتعدى نسبهم لعلي
 وفاطمة اللذين ورثا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، ولعل ذلك كان رداً
 على دعوى العباسيين بإرث الرسول من قبل أبيهم العباس عم النبي، الذي كان
 فيما يرون أحق بالارث من ابن عمه وبني بيته، يقول شاعرهم:
 أنتى يكون وليس ذاك بكائن
 وسنجد أن جدلاً عنيفاً شبّ بين الفريقين - ولكل أنصار مريدون - وكل يدعي
 أنه أحق بإرث الرسول من خصمه حتى أصبحت مسألة الخلافة وكأنها اسلاباً
 يتوارثها الابناء، على أننا لا نعدم أن نسمع دعوى العدل وشعار الاصلاح وإعطاء
 المحروم، ذلك الشعار الذي كادت خصومات الوراثة أن تعصف به وتطفى عليه،
 بل نسمع أن أحدهم رأى عجوزاً تتبع أحمال الرطب فتلتقط ما يساقط منه لتقوته
 ولدها، فهتف:
 أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي^(٣) وهكذا سنجد أبناء

(١). عبد الكريم الدجيلي: دعبل بن علي الخزاعي ص ٢٠٣.

(٢). روان بن أبي حفصه وشعره ص ٢٧٩.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٣٤٦.

علي ثواراً وشهداءً على مرّ أجيال طويلة ، تدفعهم للشورة شتى النوازع من إباء
وأنفه وطلب لاصلاح ، أو لحق غلبوا عليه ، حتى شكلوا ظاهرة فريدة ربما في
التاريخ الإنساني كلّه ، يقول ابن الرومي :

اكل أوان للنبي محمد قتل زكي بالدماء مضرّج^(١).

على أننا سنجد أن الكوفة والعراق بصورة عامة كانا مثار العلويين في أغلب
الأحيان ، كما كانا ميداناً لمصارعهم المتكررة والكثيرة . لقد جاء الإمام علي إلى
الخلافة بعد ثورة شارك فيها العراقيون ، مشاركة فعّالة ، ولقد رأى بعد انتصاره في
وقعة الجمل على خصومه أن يجعل من الكوفة مقراً له ، ومركزاً للدولة الإسلامية
عدا الشام التي تمنع بها معاوية . غير لأن العراقيين لم يستطيعوا أن يزيحوا سلطان
معاوية من الشام رغم الحرب المريرة التي خاضوها ضده . إذ وقف أهل الشام معه
بثبات عجيب تجاه موقف العراقيين مع الإمام علي ، ذلك الموقف الذي بدأ يقسم
بالخذلان والنكوص منذ نهاية حرب صفين . ويعزو المؤرخون سبب ثبات أهل
الشام مع معاوية وعدم التخلي عنه إلى (تقاليد غير التي كانت لأهل الكوفة
والبصرة ، وكانوا منذ زمن طويل واقعين تحت التأثير اليوناني والروماني وكانوا
قبل الإسلام تابعين لدولة هي دولة الغساسنة ، ولذلك كانوا متعودين على النظام
والطاعة بعض التعود)^(٢) وإزاء ذلك فقد بدأت كفة معاوية بالرجحان ، ولعل أكبر
نجاح ناله هو الاستيلاء على مصر وضمها إلى ملكه سنة ٣٨هـ^(٣) ومن ثم بدأ
يقلق العراق بفرق من جنده تغير مسرعة حتى تقترب من الكوفة^(٤) ، على أن علياً
استطاع بعد لأي أن يجمع هم العراقيين للمسير إلى الشام حتى إذا كان على أهبة

(١). ديوان ابن الرومي، محمد شريف سليم ٤٦/٢.

(٢). فلهوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٥٤.

(٣). تاريخ الطبري ١٠٤/٥.

(٤). انظر أخبار تلك القارات فيما نقل ابن أبي بكر الحديث من كتاب القارات للهلال: وإن
باشراف ٤٤١/٢.

المسير اغتيل بمسجد الكوفة وبويع للحسن بن علي (عليه السلام). الذي كان وهو بين جند مفكك أضعف من أن يواجه دهاء معاوية المدعم بجند متماسك مطيع، وإذ بدأ دهاء معاوية يفعل فعله في نفوس العراقيين ورؤساء الجند منهم خاصة، فقد بدأ ميل الحسن إلى الصلح، بل أن الزهري كان يقول: (إنه لا يرى الحرب)، ولكنه يريد أن ياخذ لنفسه وللبقية المخلصة التي استهدفت التضحية ما استطاع من معاوية.

لا شك أن الإمام احسن أصيب بخيبة أمل مريرة إزاء خذلان العراقيين ومهما يكن فقد نزل المدائن بعدما بويع له، وبعث قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية من الشام حتى نزل مسكن، ولكن معاوية أدخل في روع العراقيين أن الحسن يرأسه، ويسأله الصلح، مما دفع أحد قادة جيشه وهو ابن عمه عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب إلى الكتابة إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط عليه أموالاً^(١) كما أن بعض جند الكوفة نهبوا سرداق الحسن بل وتجراً أحدهم قطعنه (فلما رأى الحسن تفرق الأمر عند بعث إلى معاوية يطلب الصلح)^(٢) فدخل معاوية الكوفة سنة احدى وأربعين^(٣) ولكن صلح الحسن أصاب البقية المخلصة من أنصار الإمام علي بخيبة أم مريرة، تلك البقية التي استهدفت التضحية والثبات حتى النهاية، أمثال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، الذي لم يسلم لمعاوية إلا وفق شروط ترضي إياه^(٤) وعدي بن حاتم وحجر بن عدي الكندي وسليمان بن صرد والمسيب بن نجبة الفزاري، كما أن ناساً لقوا الحسن بالقادسية حين تحمل إلى المدينة فقالوا له (يا مذل العرب) وكذلك يبدو من بعض النصوص أن الحسين بن علي لم يكن راضياً عن صلح أخيه

(١). تاريخ الطبري ١٥٨/٥ وأنساب الأشراف ٣٨/٢.

(٢). تاريخ الطبري ١٥٩/٥/٥.

(٣). تاريخ الطبري ١٦٣/٥ والأخبار الطوال ص ٢٢٠.

(٤). تاريخ الطبري ١٦٤/٥.

الحسن^(١).

غير أننا يجب أن نؤكد حقيقة واقعة - يبدو واضحاً من أجوبة الحسن لبعض أصحابه الرافضين للصلح - إنه كان يتوخاها^(٢)، وهي انه (عليه السلام) استطاع بصلحه أن يحفظ للحزب الشيعي نواته المخلصة، إذ أن الحرب الخاسرة مقدماً كانت حرية بالقضاء على تلك النواة واقتلاعها من الجذور، بيد أن بقاءها في العراق بظل شروط تعفيهم من المطاردة والتضييق ضمن لهذا الحزب البقاء والانتشار.

لقد انتهت هزيمة العراقيين بانتقال مركز الخلافة إلى دمشق . (وكان لهذا وقع أليم في نفوس أهل العراق، بعد أن كان قد سبق السيف العَدَل^(٣) وشعروا بعد أن فقدوا الجولة بما كان لهم من ميزات في عهد الإمام علي الذي أصبح منذ الآن رمزاً لسيادتهم، وأصبح من العسير عليهم أن يقنعوا بما يقع عليهم من أعطيات السادة (فلا عجب أنهم كانوا يرون في سيادة السام نيراً قاسياً)^(٤) وإذ استطاعت السلطة الأموية أن تأمن جانب المدينة التي فقدت هي الأخرى مركزها السياسي بما وفرت فيها من أموال ووسائل لهو ألهمت أبناء الصحابة الذين يستشعرون المجد ويتطلعون إلى مراكز النفوذ والسلطة، فإنها لم تستطع أن تأمن جانب الكوفة وأهل العراق الذين (بدأوا يجعلون قضيتهم قضية الإسلام نفسه، وجندوا الدين ومبدأ الحق والعدل في محاربتهم القوة الغاشمة)^(٥) وكان لا بد للعراقيين أن يتجهوا الآن على رمز سيادتهم، على أننا يجب أن لا ننسى أن في الكوفة بقية من أنصار علي المخلصين، ومن أهل الورع والتقوى، وقد هالهم أن يسمعوا شتم

(١). تاريخ الطبري ١٦٥/٥.

(٢). انظر: انساب الأشراف ٤٥/٣.

(٣). تاريخ الدولة العربية ص ٥٨.

(٤). تاريخ الدولة العربية ص ٥٧.

(٥). تاريخ الدولة العربية ص ٥٨.

علي علي المنابر .

لقد اعتور الحكومة الأموية سخطاً عام لم يكن مبعثه سبب واحد أو فريق خاص ، فبالإضافة إلى المعارضة الدينية وسخط التقاة والقراء ، والولايات التي فقدت مراكزها الممتازة ، ومعارضة الخوارج الأشداء ، كان هناك تنافس القبائل العربية الذي زادته السلطة حدة وخطورة . فقد دأبت الحكومة الأموية على التزام جانب قبيلة علي أخرى^(١) كما دأب الولاة على الظهور بقبائلهم ، أو ضرب القبائل ببعضها لضعافها والتمكن منها^(٢) وكان نتيجة ذلك إذ (شمخت العنصرية العائلية والقبلية والقومية على نحو لا يريده الإسلام) .

ولعل الأمويين أول من مثل هذه الظاهرة ، بل انهم لم يعملوا إلا بدافع منها وفي مسيرتهم وما ظهر منهم يجعل المؤرخ في غير حاجة للبحث عن دليل ، يقول أحد الخلفاء الأمويين . وهو الوليد بن يزيد . مفتخراً :

فدع عنك ادكارك آل سعدي فنحن الأكثرون حصي ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً ~~نسيروهم المذلة والنكالا~~
وتوردهم حياض الحسف ذلاً ~~وما نألوهم إلا خبالاً~~^(٣)
وهناك قوة أخرى مهدت لها السياسات والأحداث ، وبدأت بالظهور في العراق وأطراف أخرى من البلاد الإسلامية ، تلك هي قوة الموالي ، المسلمين من غير العرب الذين وضعتهم السيادة في ظل حكم بني أمية في موضع واطيء ونظرت إليهم كطبقة ضئيلة القدر ، إلا أن حركة المختار الثقفي (جعلت لهم شأنًا سياسياً حين اتخذهم المختار جيشاً له)^(٤) وولد فيهم طموحاً حيث وضعهم بموطن

(١) . مختصر تاريخ العرب ص ٨٤ .

(٢) . تاريخ الدولة العربية ص ٦٥ .

(٣) . الأخبار الطوال ص ٦٤ .

(٤) . الدولة العربية ص ٦٤ .

غير الذي كانوا عليه . لقد دخل هؤلاء الإسلام ولكن السلطة الأموية لم تعاملهم بالطريقة التي شرعها الإسلام في المساوات والعدل . تلك الطريقة التي سار عليها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وعاد إليها المختار فيما بعد ، مما جعل للإمام صورة مثالية في نفوسهم دفعتهم للالتفاف حول الحركات الماوية والمنضوية تحت لواء التشيع لعلي وبنيه .

على أن التشيع نشأ عربياً بحثاً أول الأمر ، ولعل أول من حمل لواء المعارضة الشيعية ضد الأمويين حجر بن عدي الكندي ، أحد أنصار الإمام علي المخلصين ، وقد أنكر على والي الكوفة شتم علي على المنبر ، وطالبه بأن يأمر لهم بأرزاقهم وأعطياتهم ، ووجد في ذلك المؤيدين والأنصار ، بيد أن والي الكوفة المغيرة بن شعبة كان يحب العافية ويميل إلى السلم وهو في آخر أيامه^(١) ، ولم يلبث المغيرة أن مات سنة إحدى وخمسين ، وضمت الكوفة لزياد بن أبيه أمير البصرة^(٢) الذي كان أحد أنصار الإمام علي ، ثم استدرجه معاوية وألحق نسيبه بأبي سفيان^(٣) ، وعلم زياد أن حجر بن عدي تجتمع إليه الشيعة ، وتظهر الخلاف لمعاوية والبراءة منه ، حتى بلغ بهم أنهم حصبوا نائبه على الكوفة ، فشخص إلى الكوفة ، وقبض على حجر ونفر من أصحابه وبعثهم إلى معاوية ، فقتلهم صبرا سنة إحدى وخمسين^(٤) (ولكن قتل هؤلاء إهاج النفوس إهاجة عميقة ، واعتبر الشيعة حجرا وأصحابه في المحنة شهداء)^(٥) ومن ثم مضى زياد قدما في سياسة الشدة تجاه المعارضين ، وتوعد بأخذ العربي بالمولى ، والمقيم بالضامن والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي والصحيح في جسمه بالسقيم^(٦) .

(١). تاريخ الطبري، ٢٥٤/٥ وما بعدها.

(٢). تاريخ الطبري ٢٥٥/٥ .

(٣). تاريخ الطبري ٢١٤/٥ ومروج الذهب ٥/٢ .

(٤). تاريخ الطبري ٢٥٦/٥ والأخبار الطوال ص ٢٢٣ .

(٥). تاريخ الدولة العربية ص ١١٩ .

(٦). محاضرات الخصري ١٠٧/١ وما بعدها .



مركز بحوث الحاسوب

الفصل الثاني

ثورة الحسين بن علي

بن أبي طالب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لقد كان معاوية جاداً كل الجد في أن يستوسق الناس لأمره، وكان لا شك ينوي أن يجعلها دولة أموية متعاقبة في ذريته من بعده^(١) وعمل منذ أن انتهت إليه الخلافة على التصدي للخصوم والمنافسين وذوي المطالب والطموح، وقد كفل له دهاؤه المعهود إزالة هؤلاء من طريقه، كما كفلت له ذلك سطوته التي لا تعرف الأريحية عندما يكون الصراع لحيازة المنفعة، وحول السلطة والنفوذ، ولا شك فإن الحجاز والمدينة المنورة خاصة ستكون أول الأهداف، حيث يحل بقية الأصحاب من المهاجرين والأنصار، وأبناءؤهم الذين يستشعرون المجد ويتطلعون إليه، ولكن هؤلاء ومنذ انتقال مركز الخلافة إلى دمشق (احسوا بشيء من اليأس والحزن غير قليل) . . . ولم تكن بلاد الحجاز خاضعة لليأس وحده، وإنما خضعت لشيء آخر يناقض اليأس أشد المناقضة، أو قل يلائم اليأس أشد الملائمة، أريد به الثراء ووفرة المال . . . إذ كان الخلفاء يصانعونهم وإن كانوا يعاملونهم معاملة قاسية، كانوا يكرمونهم إكراماً مادياً، كانوا يدرّون عليهم الأموال، ويوسعون عليهم في العطاء، مراعاة لمكانتهم واصطناعاً لهم^(٢) وهكذا رافق يأس الطموحين من الصحابة وأبنائهم ثراء وترف يأخذان لا ريب بأيديهم إلى دعة العيش وإلى طلب اللهو وأسبابه، ونحن نشك في أن معاوية هو الذي سنَّ للسلطة الأموية هذه السياسة في كبح طموح الحجازيين، وبالرغم من ذلك فإن علاقة معاوية بآل الصحابة الأولين وبالأنصار أيضاً كانت (علاقة ريبة وعداوة)^(٣) ولا نعدم من هؤلاء من يأبى عليه طلابه إلا أن يثير بتحركاته وتطلعاته الريبة والشك في نفوس الحاكمين، ويجب ألا ننسى خصومة الأمويين مع بطون قريش في الجاهلية، وخاصة قبيلة مخزوم^(٤) التي تمثلت بقيتها بعبد الرحمن بن

(١). أبو الشهداء ص ٣٠.

(٢). حديث الأربعاء ١٣١/١.

(٣). تاريخ الدولة العربية ص ١٣١.

(٤). تاريخ الدولة العربية ص ١٣٠.

خالد بن الوليد ذي الشأن العظيم والمكانة الكبيرة، وقد كان عاملاً على حمص،
 وذا نفوذ لم يحتمله معاوية، فُدس إليه السمّ وقتله سنة سبع وأربعين^(١) ويبدو أن
 معاوية وجدّ في السم المداف بالعسل سلاحاً ماضياً استعمله في القضاء على
 الأقوياء من خصومه، فقبل ابن خالد قتل بن مالك بن الحارث الأشتر^(٢) أعظم
 أنصار الإمام علي ومن الأبطال الكبار وسيد قومه وفارسهم، لقد وجد معاوية
 بالعسل المداف بالسم سلاحاً سهل الاستعمال، وكان يقول: (إن لله جنوداً من
 عسل)^(٣) وبه استطاع أن يقضي على حياة الحسن بن علي (عليه السلام)، أعظم
 العقبات في طريقه وأصعبها، وقد كان من شروط الحسن أن يكون له الأمر بعد
 معاوية، أو أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين إلا أنه لم يمهل حتى اغتاله بالسم
 سنة تسع وأربعين^(٤) ويبدو أن وفاة الحسن كانت نتيجة لمحاولات عديدة استهدفت
 حياته، وقد أفضى إلى أخيه الحسين بذلك، فقال له وهو يحتضر: (إن هذه آخر
 ثلاث مرات سقيت فيها السم، ولم أسقهُ مثل مرّتي هذه)^(٥) ولم يبق أمام معاوية
 بعد الحسن إلا أن يبدأ بما مهد له، وقد لبّاه أهل الشام إلى البيعة لابنه يزيد، فكتب
 إلى الآفاق، ولكن أمر الحجاز كان أصعب من أن ينقاد له بغير جهد يختلط فيه
 الدهاء والشدة والأموال أيضاً، وكان قد كتب إلى عامله على المدينة مروان بن
 الحكم أن يأخذ ليزيد بيعة أهل الحجاز، ولكن هذا أبى ذلك وأغرى رؤوس قريش
 بالإباء، لأنه كان يتطلع إليها ويعدّ نفسه بها^(٦)، فاستبدله بسعيد بن العاص،
 الذي لم يُجبه أحد لما أراد، فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس، وعبد الله بن
 الزبير وعبد الله بن جعفر، والحسين بن علي وأمر عامله سعيداً أن يوصل إليهم

(١). انظر: تاريخ الطبري ٢٢٩/٥.

(٢). العبر في خبر من غير ٤٥/١.

(٣). وجدان الحاسة، شرح التبريزي ٤٠/١.

(٤). وفي مقاتل الطالبين ص ٣١ سنة ٥٠هـ، وفي هذه السنة اغتيل سعد بن أبي وقاص بنض
 الطريقة انظر: انساب الأشراف ٤٠٤/١.

(٥). تاريخ يعقوبي 2/404.

(٦). مروج الذهب ٢١/٢ والإمامة والياسة ١٧٥/١.

كتبه ، ويبعث له بجواباتها ، وكتب له :

فهمت ما ذكرت من إبطاء الناس ، وقد كتبت إلى رؤسائهم كتباً فسلمها إليهم ، ولتشدّ عن يمينك ، وتحسن نيتك ، وعليك بالرفق ، وانظر حسيناً خاصة ، فلا يناله منك مكروه ، فإن له قرابة ، وحقاً عظيماً لا ينكره مسلم ولا مسلمة ، وهو ليث عرين . ولست آمنك إن ساورته إلا تقوى عليه^(١) وعبثاً حاول سعيد أن يقنع هؤلاء الرهط ، وخفّ معاوية إلى الحجاز ليحاول ما عجز عامله عن إنجازهِ ، ولكنه لم يستطع اقناعهم بكل ما لوّح لهم به^(٢) غير أنه استطاع أن يضمن سكوتهم عند دعوته الناس للبيعة ، بعد أن قال لهم متوعداً : إني قائم بمقالة . . فأقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجل إلا على نفسه^(٣) ثم أقام على رأس كل رجل منهم رجلين بيد كل منهم سيف وأمرهم إن ذهب رجل منهم يردّ عليه كلمة تصديق أو تكذيب ، فليضرباه بسيفهما^(٤) ثم خرج بهم إلى المسجد وخطب في الناس :

هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يبرم أمر دونهم ، ولا يقضى إلا على مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوه على اسم الله^(٥) .
فبايع الناس .

ولكن أتى لبيعة كهذه أن تؤمن عقباها؟ ولم تكن عواقبها لتخفى على معاوية الذي أفضى لولده : (أنه لا يخاف إلا هؤلاء من قريش الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير)^(٦) .

(١) . الإمامة والسياسة ١٧٩/٢ .

(٢) . الكامل في التاريخ ٢٥٢/٣ .

(٣) . الكامل في التاريخ ٢٥٢/٣ .

(٤) . الكامل في التاريخ ٢٥٢/٣ .

(٥) . الكامل في التاريخ ٢٥٢/٣ .

(٦) . تاريخ الطبري ٣٢٣/٥ .

وآل الأمر إلى يزيد سنة ستين للهجرة^(١) ولكن الروايات لم تجمع على شيء
 كأجماعها على إدمانه الخمر، وشغفه بالملذات، وتوانيه عن العظام^(٢) وخلائق
 كهذه لا يستسيغها ناس العصر الإسلامي الأول رغم التحول الخلقى المثير الذي
 طرأ، ومهما يكن ليزيد من أداة ترغيب وترهيب فإن حس الرفض لا يوشك إلا أن
 ينفجر، ولا شك في أن ذلك الحس كان تورثه نوازع شتى. ربما ستختفي في أكثر
 نواحيها تحت دعوى عدم صلاحية مثل يزيد لرئاسة الدولة الإسلامية، ومهما
 يكن فإن العرب رأوا في خلافة يزيد نهجا لم يتعودوه وطالما نعتوه بالهرقليه
 والكسروية، وقد صور أحد الشعراء روح السخط والإنكار بأبيات حفظها التاريخ
 كما حفظتها كتب الأدب:

فإن تأتوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مؤمنينا
 إذا مات كسرى قام كسرى نعد ثلاثة متنا سقينا
 فيالهفالو أن لنا أنوفيا ولكن لا نعود كما عيننا
 إذن لضربتم حتى تعودوا بمكة تلعقون بها السخينا
 حشينا الغيظ حتى لو شربنا دماء بني أمية ما روينا
 لقد ضاقت رعيكم وأنتم تصيدون الأرناب غافلينا^(٣)

كانت القلة التي استهدفت التضحية والثبات حتى النهاية، والتي لم ترض
 صلح الحسن (عليه السلام) قد اتجهت بأنظارها إلى الحسين بن علي، وعرضت
 عليه أن يدع الحسن على عهده مع معاوية وينهض بهم لمناجرة جند الشام
 المطمانين إلى الصلح والأمين من المجابهة، إلا أنه (عليه السلام) أبى إلا أن يمض
 عهد أخيه^(٤) وكان هؤلاء قد عرفوا في الحسين عزم أبيه المعهود، فتجددت آمالهم

(١). تاريخ الطبري ٣٢٦/٥.

(٢). أبو الشهداء ص ٩٧.

(٣). مروج الذهب ٢١/٢.

(٤). الإمامة والسياسة ١٦٥/١ والأخبار الطوال ص ٢٢٠ وأنساب الأشراف ٣/١٥٠.

بعد وفاة الحسن سنة ٤٩ هـ . وتحدث بعض المصادر أنهم لما بلغهم وفاة الحسن، اجتمعوا وكتبوا إلى الحسين (عليه السلام) يعزونه، ويعرضون عليه استعدادهم لمناجزة معاوية لو قدم عليهم الكوفة ونظمهم لذلك. قالوا: كتب جعدة^(١) بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وكان أمحضهم حباً ومودة: أما بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلعة أنفسهم إليك. لا يعدلون بك أحداً. وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأولائك، والغلظة على أعدائك، والشدة في أمر الله، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطننا أنفسنا على الموت معك^(٢).

فكتب إليهم (عليه السلام):

أما أخي، فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً، فإن يحدث الله حدثاً، وأنا حي، كتبت برأيي والسلام^(٣).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

غير أنهم اعتبروا قتل حجر بن عدي الكندي نقضاً للعهد الذي ضمن ألا يلاحق أحد من أنصار علي وشيعته، فتوافدوا على الحسين في المدينة، ويبدو أن ذلك أثار شكوك أمير المدينة الأموي، فكتب إليه معاوية يتهدده، فردّ (عليه السلام) ردّاً غليظاً، برسالة طويلة عدّد فيها عليه ما فعله في أمر زياد، وفي قتل حجر بن عدي وأصحابه، إلا أنه برغم الغيظ الشديد الذي تفجّر في هذه الرسالة، وعدّ معاوية بعدم الخروج عليه^(٤)، كما حاول أن يطمئن من جموح هؤلاء الذين يطالبون بنقض البيعة وإعلان العصيان. غير أن وفاة معاوية سنة

(١). أمة أم هاني بنت أبي طالب.

(٢). الأخبار الطوال ص ٢٢١.

(٣). الأخبار الطوال ص ٢٢٢ وانظر كذلك: انساب الأشراف ١٥٢/٣، وتاريخ اليعقوبي ٢١٥/٢.

(٤). انظر: انساب الأشراف ١٥٢/٣.

٦٠ هـ. أحببت آمالهم من جديد^(١) وقد تجمعت أسباب كثيرة لدفع الحسين للثورة ومناجزة يزيد الذي ورث الملك بطريقة لا تُعجب العرب. ولم يتعودوها من قبل ويبدو أن أمير المدينة الذي يعرف أثر الحسين في الناس، وما لشخصيته المحيية من أثر محمود عند المسلمين، وما سوف يُحدثه عندما يتخذ أي قرار مخالف لرأي السلطان، ألح عليه بالبيعة، وطالبه برفق وبغير رفق غب سماعه نبأ وفاة معاوية^(٢) وكذلك فعل مع عبد الله بن الزبير الذي كانت حكومة الأمويين ثراه أمكر من ثعلب، إلا أن الحسين وابن الزبير طلبا من أمير المدينة أن يمهلها ليلتهما، حتى يأتياه من الغد^(٣) أما ابن الزبير فقد خرج من ليلته إلى مكة، ثم خرج الحسين إليها في ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين هـ^(٤) ولم يستقر الحسين بمكة حتى جاءته رُسُل أهل الكوفة، يطالبونه المصير إليهم، ويعدونه النصر^(٥) ويبدو أن امتناع الحسين وابن الزبير أحييا في نفوس العراقيين أمل الخلاص من حكم الشام التي كان اتصال مركز الخلافة إليها ضربة أزعجتهم، وأثارت فيهم روح المعارضة والصراع، وقد رأى الحسين أن يعث ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليمهد له الأمر، ويتأكد من إخلاص العراقيين، وما أن وصل مسلم، وعلم الكوفيون بمكانه حتى ازدحموا عليه، يعدونه النصر ويقدمون له البيعة^(٦) أما والي الكوفة (النعمان بن بشير الأنصاري) فقد اشتبه بوجود شيء، ولكنه لم يشأ أن يتخذ اجراءات شديدة لمجرد الشبهة^(٧) بيد أن أنصار زيد في الكوفة من الأمويين وغيرهم لم يرضوا موقف النعمان، فكتبوا إلى يزيد بما يحدث^(٨) فكتب هو إلى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة يجمع إليه الكوفة ويأمره المسير إليها^(٩) ولم يلبث هذا حتى أقبل في وجوه أهل البصرة مثلثما ولا يمر على مجلس من مجالس الكوفيين إلا وتلقاه

(١). الخوارج والشيعة ص ١٦١.

(٢). الكامل في التاريخ ٢٦٤/٣.

(٣). تاريخ الطبري ٣٤/٥.

(٤). تاريخ الطبري ٣٤٠/٥.

(٥). تاريخ الطبري ٣٤٧/٥.

(٦). تاريخ الطبري ٢٤٧/٥ والكامل ٢٦٤/٣.

(٧). الخوارج والشيعة ص ١٦١.

(٨). الكامل ٢٦٧/٣.

(٩). تاريخ الطبري ٣٤٨/٥.

بالترحاب ظناً منهم أنه الحسين^(١) وما أن وصل إلى القصر حتى بثّ عيونه وجواسيسه الذين لم يلبثوا حتى جاؤوه بخبر مسلم وأتباعه^(٢) أما مسلم بن عقيل، فقد ظن أن أمور الناس قد استوسقت له، وأن الكوفة ممهدة للحسين، فكتب يطالبه بالمجيء ويخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً من أهلها^(٣) ولكن أمير الكوفة الجديد، كان أكثر حزمًا وأحسن تدبيراً، وقد استطاع بسهولة أن يصرف الناس عن مسلم ويجمعهم إليه^(٤) ثم لم يلبث حتى أسر هاني بن عروة المذحجي الذي استضاف مسلماً في بيته، أما مسلم فقد تحرك بسرعة فجمع الناس وأحاط بالقصر الذي تحرّز به الأمير، غير أن الأشراف الذين ساهموا في استقدام الحسين تولوا مهمة تفريق الناس عن مسلم^(٥) الذي سرعان ما أصبح وحيداً يبحث عن مأوى يستكنُّ به، وفي الصباح نزل عبيد الله بن زياد من القصر إلى المسجد^(٦) وجمع فيه الناس، وشكل منهم جيشاً أبقاه في المسجد^(٧) ثم أرسل في طلب مسلم الذي التجأ إلى بيت أرملة ثم دكَّ عليه، فأحاطته الشرطة، وخرج يقاتلهم بسيفه ويدفع عن نفسه بظراوة، حتى أثنى بالجراح، وأعطى الأمان فسلم نفسه إلى قائد الشرطة محمد بن الأشعث، الذي اقتاده إلى ابن زياد، وبعد حوار عنيف معه أمر بقتله، فقتل وقتل معه هاني بن عروة^(٨).

وفي اليوم الذي تهيأ فيه مسلم لمحاصرة ابن زياد وهو (الثامن عشر من ذي الحجة سنة ستين هجرية) كان الحسين يهيمُّ بالانتقال بأهله ونفر يسير من مكة^(٩)

(١). تاريخ الطبري ٣٤٨/٥.

(٢). الكامل ٢٦٩/٣.

(٣). تاريخ الطبري ٣٧٥/٥.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٦٧.

(٥). تاريخ الطبري ٣٦٩/٥.

(٦). تاريخ الطبري ٣٧٣/٥.

(٧). مقاتل الطالبين ص ٧٢ وانظر: الطبري ٣٧٧/٥.

(٨). مقاتل الطالبين ص ٧٢ وتاريخ الطبري ٣٧٧/٥.

(٩). تاريخ الطبري ٣٨١/٥.

وبينما اغتبط ابن الزبير برحيل ابن بنت رسول الله من مكة ، كان المخلصون
 ينصحونه بالعدول^(١) إلا أن الناصحين لم يجدوا منه غير الإباء والاصرار على
 الماضي ، والحق أنه لم يكن لديه الخيار ، لأن البقاء ربما سيضطره إلى بيعة يزيد ،
 وفي ذلك تفريط كبير بحق الأمة والدين وحتى المروءة . . . ولم يكذ يقطع بضعة
 مراحل من رحلته إلى العراق حتى بدأت أخبار ردة أهل الكوفة تتوالى عليه ، ففي
 الثعلبية علم بمصير سفيره مسلم بن عقيل^(٢) وفي زباله وافاه خبر مروء . . . إذ
 كان قد بعث رسولا إلى أهل الكوفة بكتاب . حتى إذا وصل الرسول القادسية
 أخذ إلى عبيد الله بن زياد الذي أمره أن يصعد المنبر فيسب الحسين ، غير أن
 الرسول الشجاع ، وجد في ذلك فرصة رأى أن يهتبلها في إبلاغ الكوفيين رسالة
 الحسين إليهم ، فصعد المنبر ، وقال : أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق
 الله وابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقت بالحاجر
 فأجيئوه . . . ثم لعن عبيد الله بن زياد وآياه ، واستغفر لعلي بن أبي طالب ، فأمر
 به ابن زياد فألقي من فوق القصر^(٣) وموقف هذا الرسول وهو قيس بن مسهر
 الصيداوي كان بداية لمشاهد كثيرة من البطولة والتضحية والوفاء ، أباها ذلك
 الرهط اليسير الذي أبى أن يخلي بين الحسين والمحنة ، وحين بلغ الحسين ماء
 حسم ، اعترضه فرسان من الكوفة يقودهم الحر بن يزيد الرياحي^(٤) إلا أن هؤلاء
 لم يبادؤه بقتال ، بل تلقوه برفق واحترام ، ولكنهم رفضوا السماح له بالعودة إلى
 المدينة ، أو الاستمرار بالمسير إلى الكوفة^(٥) التي وافاه منها بعض المخلصين
 وانضموا إليه ، وشرحوا له حالة الناس ، فقالوا : أما أشرف الناس ، فقد عظمت
 رشوتهم وملئت غرائرهم ، يُستمال به ودُّهم ويستخلص به نصيحتهم . فهم إلب

(١). الخوارج والشيعة ١٦٨ .

(٢). تاريخ الطبري ٣٩٧/٥ .

(٣). تاريخ الطبري ٣٩٥/٥ .

(٤). تاريخ الطبري ٤٠٠/٥ .

(٥). تاريخ الطبري ٤٠٢/٥ .

واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهورةٌ عليك^(١).

كان هذا موقف الكوفة، أما البصرة، فيبدو أنها اضطربت بعد موت معاوية، وأن ناساً فيها كانوا يجتمعون في أحد البيوت يتحدثون فيه ويتذكرون فيما يجب أن يكون^(٢)، ويبدو أيضاً أن الحسين (عليه السلام) راسل أهل البصرة، وكتب إلى رؤسائهم إلا أنهم ترددوا في نصرته، وكان الاحنف بن قيس ممن كتب إليهم، فلم يردّ الجواب وقال: قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالةً للملك، ولا جمعاً للمال، ولا مكيدةً في الحرب^(٣)، أما أمير البصرة عبيد الله بن زياد، فقد كان يشعر بما يتردد في أنحاء المدينة، وكان يخشى أن تثب لنصرة الحسين، فأمر بوضع المناظر ومراقبة الطريق^(٤) كما أنه قبل مقدمه إلى الكوفة استلم رسالة من الحسين موجهةً إلى المنذر بن الجارود الذي خشي أن تكون دسيئة فقدّمها الرسول إليه، فقتل الرسول وصعد المنبر ووجه إلى أهل البصرة خطاباً عنيفاً يتهدهم فيه ويقول: (فوالله ما تقرن بي الصعبة ولا يققع لي بالشنآن، وإني لنكل لمن عاداني، وسم لمن حاربنى أنصف القارة من رامها، يا أهل البصرة أن أمير المؤمنين ولّاني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة، واستخلف عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإيجاف، فوالذي لا اله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليّه، ولأخذنّ الأذنّى بالأقصى، حتى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق. أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطأ الحصا، ولم ينتزعني شبه خال ولا عم)^(٥) وكان أولى بهذا الوداع القاسي أن يحرك في نفوس البصريين النخوة ويستثير فيهم الغضب، إلا أنهم آثروا العافية..

(١). تاريخ الطبري 5/404.

(٢). تاريخ الطبري ٣٥٧/٥.

(٣). عيون الأخبار ٢١١/١.

(٤). تاريخ الطبري ٣٥٢/٥.

(٥). تاريخ الطبري ٣٠٨/٥.

بيد أن الطبري يروي عن عيسى بن زيد أن فيمن خرج مع ابن زياد كانوا شيعة لعلي، بدأوا يتساقطون في الطريق آملين أن يلوي ابن زياد عليهم لكي يسبقه الحسين إلى الكوفة^(١) كما ذكر الطبري أن رجلا وإبنيه خرجوا لنصرة الحسين وقتلوا معه^(٢).

أما الحسين فقد حاول أن يجبر إليه الحر وفرسانه الألف، فخطب فيهم، وذكرهم ما كتبوا إليه، ولما أبوا الاستماع إليه طالبهم أن يخلوه والطريق، بيد أن الحر خيره بين أن يسير معه إلى الكوفة ليسلمه إلى ابن زياد، أو أن يأخذ طريقا لا يرده إلى المدينة أو ينتهي به إلى الكوفة^(٣) ولم يتفقا على شيء، على أن الحرب بقي يسائر الحسين، دون أن يعرض له بشيء، ويحاول أن يثنيه عن عزمه برفق، وأن يتجنب نفسه القتل ويحفظ لها الحياة، وقد كان رد الحسين حاسما:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وأسى الرجال الصالحين بنفسته وفارق مشورا يغش ويرغما^(٤)
ولم يلبث الحر حتى وافاه رسول أمير العراق يأمره أن يجتمع بالحسين ولا ينزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء^(٥) فاضطرهم بالنزول في كربلاء (يوم الخميس الثاني من محرم سنة إحدى وستين)^(٦) فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف^(٧)، وكان ابن سعد متحرجا من قتال الحسين، ويود لو ينتهي الأمر بسلام، وإنما رضي قيادة هذا الجيش لأن رفضه يعني حرمانه من ولاية الري^(٨) وقد سأل الحسين عما يريد، فأجاب أنه جاء مجيئا أهل

(١). تاريخ الطبري ٣٥٩/٥.

(٢). تاريخ الطبري ٣٥٤/٥.

(٣). تاريخ الطبري ٤٠٢/٥.

(٤). تاريخ الطبري ٤٠٤/٥.

(٥). تاريخ الطبري ٤٠٨/٥ والأخبار الطوال ٢٥١.

(٦). تاريخ الطبري ٤٠٩/٥ والأخبار الطوال ص ٢٥١.

(٧). تاريخ الطبري ٤٠٩/٥.

(٨). مقاتل الطالبين ص ٧٤ وأنساب الأشراف ١٧٦/٣.

الكوفة دعوتهم، فكتب بذلك إلى أمير العراق، غير أن الأمير أمره أن يعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية^(١) ثم أردفه بكتاب آخر يأمره أن يمنع حسيناً وأصحابه من الماء^(٢) وليس من الصحة في شيء ما روى عن أبي مخنف فيما دار بين الناس أن الحسين عرض خصالاً ثلاثة، إما أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، وإما أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيه رأيه، وإما أن يسير إلى أحد الثغور^(٣) فإن سيرة الحسين كلها تأبى عليه ثاني هذه الخصال، ولعل في قوله المأثور (إني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا نكراً^(٤)) وقوله: ألا وأن الدعي بن الدعي قد خيرنا بين السلّة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وحجر طهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية^(٥) لعل في ذلك خلاصة لمسيرته كلها، ويؤكد نكران هذه الخصال المدخولة في سيرة الحسين ما روى أبو مخنف نفسه عن عقبة بن سمرعان قوله: (صحبت الحسين فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق، ولا في عسكره إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس)^(٦) كما أن ابن سعد قال عشية المعركة: (لا يستسلم والله حسين، وإن نفساً أبية بين جنبيه)^(٧).

ولم يكن لابن سعد تجاه إصرار الحسين وأوامر ابن زياد المشددة إلا أن يحسم

(١). تاريخ الطبري ٤١١/٥.

(٢). تاريخ الطبري ٤١٢/٥ وأنساب الأشراف ١٨٠/٣.

(٣). تاريخ الطبري ٤١٣/٥ وأنساب الأشراف ١٨٢/٣.

(٤). تاريخ الطبري ٤٠٤/٥.

(٥). شرح نهج البلاغة ٢٤٩/٣.

(٦). تاريخ الطبري ٤١٤/٥، وانظر رأي العقاد في (أبو الشهداء).

(٧). تاريخ الطبري ٤١٥/٥.

الأمر، فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم إلا أن الحسين سأله أن ينصرف عنه هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر^(١) (وإنما أراد أن يردهم عنه تلك الليلة يأمر بأمره ويوصي أهله) وما انصرفوا حتى جمع أهل بيته ومن اجتمع حوله من الناس وخطب فيهم قائلاً:

أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليلٌ قد غشيكم، فاتخذوه جملاً).

وعاد إليهم ثانية قائلاً:

(هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإنما القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهور عن طلب غيري) ولكن الحسين لم يجد في جنده غير الشجاعة والاصرار على الموت معه، انبرى له أخوه العباس بن علي يقول:

لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

ونحو هذا تكلم البقية من أبنائه وإخوته وأبناء عبد الله بن جعفر، ثم التفت إلى بني عقيل قائلاً:

يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم قالوا جميعاً:

فما يقول الناس! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا! لا والله لا نفعل، ولكن نقديك أنفسنا وأموالنا، وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فببح الله العيش بعدك، وقام من أصحابه مسلم بن عوسجة ليقول:

(١). تاريخ الطبري ٤١٧/٥ والأخبار الطوال ٢٥٦.

أنحنُ نخلي عنك؟ ولما نعذر إلى الله في أداء حقك، أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك حتى أموت معك.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي:

والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا حفظنا غيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيك، والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيأ ثم أحرق حياً ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم الكرامة لا انقضاء لها أبداً.

وقال زهير بن القين:

والله لو ددتُ إنني قُتلتُ ثم نُشرتُ ثم قُتلتُ حتى أقتل كذا ألف قتله، وإن الله يدفع بذلك عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك^(١).
ويمثل ذلك تكلم بقية الصفوة، ويتلك الروح قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون، ويستعدون للقاء وجه ربهم الكريم، وحولهم خيول ابن سعد تحرسهم^(٢).

وبذلك الجمع الكريم أصبح بن علي لينازل جيش الكوفة في (١٠ محرم سنة ٦١هـ _ ١٠/١٠/٦٨٠م) فعباً أصحابه وهم أثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعل البيوت خلف ظهورهم، ثم أمر بحطب وقصب وراء البيوت فحرق مخافة أن يؤتى من خلف، ولكي يقاتل من وجه واحد^(٣).
وكان عمر بن سعد قد عبأ أصحابه، فكان على ريع أهل المدينة عبد الله بن زهير الأزدي، وعلى ريع مذبح وأسد عبد الرحمن بن أبي سيرة، وعلى ريع

(١). انظر: تاريخ الطبري ٤١٩/٥ وأنساب الأشراف ١٨٥/٣.

(٢). تاريخ الطبري ٤٢١/٥.

(٣). تاريخ الطبري ٤٢٢/٥ والأخبار الطوال ٢٥٦ وأنساب الأشراف ١٨٦/٣.

ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربيع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي^(١) ولكن هذا الأخير ما لبث أن التحق بالحسين قائلاً : قد كان مني الذي كان ، وقد أتيتك مواسياً لك بنفسي ، افترى ذلك لي توبة مما كان مني ؟ قال الحسين : نعم ، إنها لك توبة ، فابشر فأنت الحر في الدنيا وأنت الحر في الآخرة إن شاء الله^(٢) .

وجعل عمر بن سعد على ميمته عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى ميسرته شمر ابن ذي الجوشن الضبابي ، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجالة شبت بن ربيعي ، وأعطى الراية زياداً مولاه^(٣) .

وعبثاً حاول الحسين أن يصدّ هؤلاء عن غيهم بتذكيرهم بما كتبوا إليه ، فلم يكن ردهم سوى أن يعرضوا عليه النزول على حكم يزيد أو ابن زياد ، ولكنه اتخذ دون ذلك شعاراً أبقى أن يحيد عنه (لا والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد)^(٤) .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

وبدأت الحرب بمبارزة بين فرسان الفريقين ، كان من عادة العرب أن يجاب الداعي لها ، وبهذه الطريقة يكون النصر غير بعيد من هذه الزمرة التي اجتمع لها من الشجاعة والنجدة والأيد وتجارب الحروب الشيء الكثير إضافة إلى الهاشميين الذين كانوا صوراً مصغرة للإمام علي في شدة البأس واحتمال الجراح ، غير أن جند الكوفة ، عرفوا مغبة الاقتتال الفردي ، مع رجال مثل الحسين وذويه ، ومثل حبيب وزهير وابن عوسجة . فنكصوا عنهم ، واستجابوا للدعوة أحد قادةهم الذي صرخ فيهم :

ياحمقى ! أتدرون من تقاتلون؟ . . . فرسان المصير ، وقوماً ستميتين . لا يبرز لهم منكم أحد ، فإنهم قليل ، وقلما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة

(١) . تاريخ الطبري ٤٢٢/٥ .

(٢) . تاريخ الطبري ٤٢٧/٥ والأخبار الطوال ص ٢٥٥ .

(٣) . أنساب الأشراف ١٨٧/٣ والأخبار الطوال ص ٢٥٦ .

(٤) . تاريخ الطبري ٤٢٥/٥ وأنساب الأشراف ١٨٨/٣ .

لقتلتموهم .

وأرسل ابن سعد إلى فرسانه يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم^(١) . فما كان من جند الكوفة إلا أن أخذوهم بالنبال والحجارة واعتورهم بالسيوف وبالرماح (فإذا قتل الرجل والرجلان تبين فيهم ، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم)^(٢) وما زال أصحاب الحسين يرتكضون للموت ، ويتسابقون إليه خشية أن يقتل الحسين وهم أحياء^(٣) يودّعه الرجل منهم ثم يدخل غمرة القتال بثبات ربما لم يشهد له التاريخ نظيراً ، وقد قيل لرجل شهد الطف مع عمر بن سعد : ويحك ، اقتلتم ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال : عضضت بالجنديل ، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت الينا عصابة ، أيديها في مقابض سيوفها ، كالأسود الضارية ، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقى أنفسها على الموت ، لا تقبل الأمان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول بينها وبين الورود على حياض المنية ، أو الاستيلاء على الملك . فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها ، فما كنا فاعلين^(٤)

وهكذا تتابع أصحاب الحسين إلى الموت حتى إذا لم يبق منهم أحدٌ تعدّم ذووه ، وأول من قتل منهم ولده علي الأكبر^(٥) كان فتى شجاعاً ذكروا أنه رفض الأمان الذي عرض عليه لقربته من يزيد قائلاً : إن قرابة رسول الله أحقُّ أن ترعى^(٦) وأنه كان يشدّ على الناس ويقول :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابنُ الدعي .

(١) . تاريخ الطبري ٤٣٥/٥ .

(٢) . تاريخ الطبري ٥/٤٣٩ .

(٣) . تاريخ الطبري ٤٤٢/٥ .

(٤) . شرح نهج البلاغة ٢٦٣/٣ .

(٥) . تاريخ الطبري ٤٤٦/٥ .

(٦) . سر السلسلة العلوية ص ٣٠ .

فما زال دأبه كذلك حتى قطعوه بأسيا فيهم^(١).

ومن قتلوا العباس بن علي، بعد أشقاء له ثلاثة ن قدمهم بين يديه احتساباً، وقد عرض عليه أخواله من جند الكوفة الأمان فأبى إلا الوفاء لأخيه وقيل أن يزيد أعجب بشجاعته ووفائه حين شاهد اللواء الذي كان يحمله وما به إلا آثار طعن الرماح والسيوف.

وهكذا فقد الحسين كل رجاله وفتيانه، ولم ينج من القتل حتى الأطفال، ومنهم طفل رضيع عرّضه على الجيش ليذهبوا عنه العطش بجرعة ماء، ولعلّ الحسين أراد بذلك أن يثير فيهم شعوراً بالعطف أو خلافاً يُعطف بعضهم عليه، ويبدو أن شيئاً من هذا كاد أن يحدث في صفوف الجيش الكوفي، فحسم أحدهم الموقف بسهم أصاب به نحر الطفل الرضيع^(٢).

وفي مثل هذا الموقف الصعب، لم يتحلّ الحسين عن عزمه ولم تُفارقه رباطة جأشه، فقد كان (يقا تل على رجليه قتال الفارس الشجاع، يتقي الرمية، ويفترص العورة، ويشدُّ على الخيل)^(٣) ووصفه أحد الذين شهدوا الواقعة بقوله: فوالله ما رأيتُ مكثوراً قط، قد قتل ولده وأهل بيته، أربط جأشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجال لتتكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدَّ فيها الذئب^(٤).

ولكنه لم يلبث طويلاً حتى أُثخن بالجراح، وضعف عن القتال (ومكث طويلاً من النهار، كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه^(٥) حتى صرخ فيهم شمر بن ذي الجوشن، ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل، اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، وسلبوا ما كان عليه من عدّة وثياب، وبه

(١). تاريخ الطبري ٤٤٦/٥، ومقاتل الطالبين ص ٧٦.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٢٣١/٢.

(٣). تاريخ الطبري ٤٥٢/٥.

(٤). تاريخ الطبري ٤٥٢/٥.

(٥). تاريخ الطبري ٤٥٣/٥.

ثلاثون طعنة وأربعة وثلاثون ضربة^(١).

(وبقيت ذروة من الحمية يرتفع إليها مرتفع .

وبقيت وهدة من الخسة ينحدر إليها منحدرون كثيرون . . .

فلم يكن في عسكر الحسين كله إلا رمق واحد من الحياة باق في رجل طعين
مشخن بالجراح ، تركوه ولم يجهزوا عليه لظنهم أنه قد مات ، ذلك الرجل الكريم
هو سويد بن أبي المطاع ، أصدق الأنصار ، وأنبل الأبطال^(٢) ، كان قد سقط مع
القتلى مشخنا ، فسمعهم يقولون : قتل الحسين ، فوجد إفاقة ، فإذا معه سكين ، وقد
أخذ سيفه ، فقاتلهم بسكينه ساعة ، ثم أنه قتل^(٣) (فكان هذا حقا هو الكرم والمجد
في عسكر الحسين إلى الرمق الأخير)^(٤) .

ولم ينتظر الجيش (المتصر) طويلا حتى عاد إلى الكوفة ، يحمل رؤوس
الشهداء ، والأسرى من نساء الحسين وأطفاله ، وفي الكوفة تلقى الناس الأسرى
ببكاء ووعويل^(٥) ويندم أيضا عنه عبيد الله بن الحر الجعفي ، بقصيدة منها :
فيا ندمي ألا أكون نصرتك ~~من تحت كفي~~ ^{ألا كل نفس لا تسدد نادمه^(٦)}
وبأخرى :

فيا لك حسرة ما دمت حيا تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حي لهم اليوم قلبي بانفلاق
ثم مضى نحو أرض الجبل ، واتبعه أناس من صعاليك الكوفة^(٧) كما عبر عن

(١). تاريخ الطبري ٤٥٣/٥ .

(٢). أبو الشهداء ص ١٥٧ .

(٣). تاريخ الطبري ٤٥٥./٥ .

(٤). أبو الشهداء ٢٥٧ .

(٥). تاريخ اليعقوبي ٢٣٢/٢ .

(٦). تاريخ الطبري ٤٧٠/٥ .

(٧). الأخبار الطوال ص ٢٦٢ .

ندمهم آخرون في حضرة الأمير^(١).

وبعض المؤرخين يروي خطاباً لزین بنت علي في أهل الكوفة ولعلي بن الحسين (زين العابدين) الذي ترك لصفر سنه ومرضه ، كما يروون لأفراد آخرين من (الأسرى)^(٢) ولو صح ما روه لحسبت أنهم أي الأسرى - جسّدوا أمام الكوفيين خيانتهم ، ورسّخوا فيهم الشعور بالخطيئة والندم . ذلك الشعور التي ما زال يعتل في قلوبهم حتى تفجّر في ثورة التوابين . غير أن من الثابت ما رواه المؤرخون من حوار عنيف دار بين ابنة علي (عليها السلام) وعبيد الله بن زياد جعله يعترف ببلاغتها وشجاعتها . كما روى مثل ذلك الحوار بين علي بن الحسين وأمير العراقين ، وقد أثارت بلاغة علي وقوة حجته ابن زياد حتى كاد أن يطوّح به^(٣) .

غير أن الكوفة التي أحاط بها عار الخطيئة من كل جانب ، لم تخل من ومضة شرف وإباء تأتلق من بين ركام الظلام الذي اكتنفها . كانت تلك الجذوة في شيخ من الأزدي ضير اسمه عبد الله بن عفيف الأزدي ، كان من شيعة الإمام علي (عليه السلام) ، فقد بصره في حروبه مع الإمام ، فلزم المسجد لا يكاد يبارحه ، وكان في المسجد حين خطب ابن زياد قائلاً : الحمد لله الذي قتل الكذاب بن الكذاب الحسين وشيعته . . فوثب عبد الله ابن عفيف قائلاً :

يا بن مرجانة ، إن الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك ، ومن وذاك وأبوه ، يا بن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين ؟

فقال ابن زياد ، عليّ به ، فنادى بشعار الأزدي : مبرور يا مبرور ، وحاضروا الكوفة من الأزدي سبعمائة ، فوثبوا فتخلّصوه حتى أتوا به أهله ، إلا أن ابن زياد أمر أهل اليمن أن يأتوه به ، امثل صنيع أبيه مع حجر بن عدي ، فأشاروا عليه بحبس الأزدية في المسجد ، وذهب أهل اليمن إلى حي الأزدي ، فقاتلهم الأزدية أشدّ

(١) . البداية والنهاية ١٩٠/٨ .

(٢) . انظر : البداية والنهاية ١٩٣/٨ .

(٣) . طبقات ابن سعد ١٥٧/٥ .

القتال، وقتل من الأزد بضعة رجال، وتمكن أهل اليمن من اقتحام بيت عبد الله بن عفيف، فناولته ابنته سيفاً، فأخذ يذب عن نفسه بسيفه، ثم أخذوه وانطلقوا به إلى ابن زياد وهو يقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري
شق عليكم موردي ومصدري
فقتل وصلب رحمه الله^(١).

ومن الكوفة أرسل الأسرى ومعهم رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية في دمشق^(٢)، بيد أن يزيد أحسن للأسرى، وعاملهم بلطف^(٣) بعد حوار مع زينب وعلي بن الحسين لم يخل من عنف^(٤) ثم سيرهم إلى المدينة مع رجل أبدى لهم من العطف والاحترام ما جعل النسوة يقدمن له ما يحملن من أساور ودمالج^(٥) (وربما كانت الروايات قد عاملت يزيد بن معاوية برفق أكبر جداً مما يستحق، فإن إن كان مقتل الحسين جريمة، فالجرم الأكبر فيها يزيد، لأنه هو الذي بعث عبيد الله بإجراءات قاسية، وكانت النتيجة مرصية جداً ليزيد واغتبط أيما اغتباط، فإن كان قد غضب على خادمه (عبيد الله) من بعيد، فما كان ذلك إلا تطبيقاً لامتياز الحاكم الأعلى، أعني أن يحول الكراهية عنه إلى الأدوات التي اصطنعها لنفسه في جريمته، حقاً أن المودة التي أبداها نحو من بقي من آل الحسين ليست مما يعيبه، وإن كانت مودة تنطوي على الدهاء ولم تصدر من قلب مخلص)^(٦).

وهنا لا بد من الحديث على (ماهية) ثورة الحسين، وصراعه مع قوى الظلام في عصره.

يرى بعض المؤرخين أن الحسين ويزيد كانا استمراراً للنزاع القديم بين هاشم

(١). انساب الأشراف ٢١١/٣.

(٢). البداية والنهاية ١٨٩/٨.

(٣). البداية والنهاية ١٨٩/٨.

(٤). البداية والنهاية ١٩٥/٨.

(٥). البداية والنهاية ١٩٤/٨.

(٦). الخوارج والشيعة ص ١٨٦.

وأمية ، ويلخص أحدهم هذا الصراع في بيتين فيقول :

عبد شمس قد أضرمت لبنيها

فابن حرب للمصطفى ، وابن هند

يرى العقاد : أنه صراع بين الأريحية والمنفعة^(١) أريحية ارتفع إليها

الهاشميون ، وارتفعت نصره الحسين أخيراً بالنفس الإنسانية إلى الأفق الأعلى من

معاني الخير والمرؤة والوفاء ومنفعة هبطت بالأمويين ومنذ عهد أمية إلى الأغوار

المرذولة من الحسة والإثرة ، وانحدر إليها معهم منحدرون كثيرون .

وفي كل ذلك حق ، لا يقرب منه شك ، ولا يبعد عنه يقين .

ولنعد إلى سيرة الحسين .

إنه (ادعى اعرض الدعاوي ، ولكنه لم يبذل شيئاً في تحقيق أدناها)^(٢) فما

تفسير ذلك؟! !

لقد رأى تخاذل أنصار أبيه ، ورأى أخاه الحسن يؤثر السلامة وثمة شهد عن

كتب كيف انحدرت الأخلاق إلى مهوى سحيق ، وكيف استبدلت قيم الأريحية

بالمنفعة والاستثمار والذين امتحن صبرهم وخبر صدقهم بحضونه على

إيثار السلامة ، فلا يلتفت إليهم بموافقة أو قبول ، والذين عرف غدرهم وعانى

خذلانهم يدعونه للثورة فيجيب ، وبين أولئك وهؤلاء يخرج كليث لا يلوي على

شيء . في حين أن كل شيء سيدعي الحذر ، ويتطلب الدهاء ، لقد وصف أحدهم

آل علي حين دعاه الحسين لنصرته بأنهم (ليس لهم إيالة للملك ولا جمعاً للمال

ولا مكيدة)^(٣) وذلك أصدق ما يكون في ثورة الحسين .

ولكن هل يُفسر ذلك ثورة الحسين ويختصر شهادته؟

أحسب أن طبيعة الحسين وطبيعة ما كان يحدث يعطيان غير ذلك التفسير .

(١) أبو الشهداء ص ١٤ وما بعدها .

(٢) الخوارج والشيعة ص ١٨٧ .

(٣) عيون الأخبار ١/٢١٢ .

ففي المدينة (كان الحسين ظاهراً كأكثر الرجال شعبيةً، وأظفرهم برضاء عامة المسلمين وقواعدهم)^(١) وكانت السلطة تسير حثيثةً لتجعل ما بيدها ملكاً يتلقفه الأبناء عن الآباء، والمسلمون الذين أنكروا ذلك كادت عواصف الأهواء وغلبة المنفعة أن تزل بهم عن كل شيء، ولو قبل الحسين دعوة السلطة لما بقي هؤلاء سوى أن يفيثوا إلى الضلال التي يلوح لهم بها أولئك الذين اعتوروا السلطة يفلسفون لها ما تريد، ويفسرون ما تدعي، لقد كان العالم الإسلامي على شفاهاوية، ولقد كان الانحدار إليها أو التنكّب عنها بخطوة ثابتة رهن إشارة من الحسين.

إن الثورة لم تكن يوماً تغيير لواقع أو ظاهرة إثر معركة تنشب بين ثائرين ومتسلطين، (فالسوارة الأولى هي دائماً الاعلان الحاسم بوجود نقلة أخرى، وهذه النقلة قد تنتظر طويلاً حتى تتحقق، ولكن دون أن تظهر هذه الشرارة فإن الثورة لا تولد بل تصبح في حكم العدم)^(٢) إن كل ما يحدث في العالم الإسلامي آنذاك كان يطلب ثورة وضحايا، ولعل الحسين كان يعرف أن ميدان التضحية والفداء لا ينشد غيره ولا يطلب تسواه، لأن قعوده كان يعني الرضوخ أو الموت قهراً، ولا أحسب أن رضوخ الحسين يعني شيئاً سوى إعطاء الشرعية لحكم يزيد ورغائب السلطات، وانهيار النفوس وفقدانها الكرامة، باستشراء العدوى من واحد لآخر، ولا أحسب أن في ذلك تبريراً مني لفشل الحسين إن كان في ثورته فشل، إنه منذ اللحظة الأولى قد اختار دوره ووضع على طريقه المعالم (فطبيعته ترفض كل ما يحدث)^(٣) ولا يعني الرفض إلا أن ينصت كسهم ويمضي كليث . وهكذا كان.

(فقد مضى الحسين كما يمضي المسيح في طريق مرسوم، ليضع ملكوت

الدينا تحت الأقدام)^(٤).

- (١). اليمين واليسار ص ١٥٧.
- (٢). اليمين واليسار ص ١٥٩.
- (٣). اليمين واليسار ص ١٦١.
- (٤). الخوارج والشيعة ص ١٨٧.

وهكذا بدأت ثورة الحسين وهكذا (انتهت بأروع استشهاد وأعظم بطولة، وكانت شهادة الحسين أعظم انتصار، لأنها تغلغلت في الضمير العربي، وأحيت الضمائر التي خنقها الارهاب لتسقط بعد ذلك بستين عاماً فقط دولة بني أمية)^(١) لقد وصلت ثورة الحسين إلى أهدافها من حيث كونها ثورة تتجاوز الأفراد إلى الأقباب والأجيال، وتتجاوز الهدف القريب إلى الصدى البعيد، وليس من قبيل الصدفة أن تلتقي ثورة الحسين بأهدافها وتصيب مرماها، كما أنه ليس من قبيل الانبهار أن يدخل في روع المؤرخين أن النتائج كانت من تدبير الحسين، بل أنه دخل غمار البداية ليصل إلى نتائج مرسومه توخاها (فلم يخامر الشك في مقتله ذلك العام، ولا بعاقبة هذه الفعلة التي ستحقيق بقاتليه بعد أعوام).^(٢)

وقد قال ماريين الألماني في كتابه (السياسة الإسلامية):

(إن حركة الحسين في خروجه على يزيد، إنما كانت عزيمة قلب كبير عزَّ عليه الاذعان، وعزَّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته، ويحيى به قضية مخدولة ليس لها بغير ذلك حياة)^(٣).

(١). اليمين واليسار ص ١٧٠.

(٢). أبو الشهداء ص ١١٨.

(٣). نقلاً عن (أبو الشهداء) ص ١١٨.



مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی

الفصل الثالث

صدی الحسین



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لقد هزّ مصرع الحسين الضمير العربي هزاً عنيفاً، وكان قتله إساءة بالغة للضمير الإسلامي، فمع ما للحسين من تاريخ مجيد يعرفه عصره، ولا ينظر إليه إلا بإجلال واحترام، فإن حادث استشهاده كان بعض حصاده ثورة المدينة وثورة التوابين، وحين نأتي إلى هاتين الثورتين، فإننا سنقف مبهورين أمام ضياع الهدف الذي جعل المؤرخين - الذين يقيسون الأحداث بمقياس الصواب والخطأ في إصابة الأهداف - جعلهم يحسبون أن تلك الثورتين خطأ مرده تهور الدعاة وسوء التدبير^(١)، وحين نردُّ أشياء تلك الثورات إلى اللحظة التي يختارها الشهداء، حيث يتجاوزون خسائر الأفراد وإصابة الهدى المحدد القريب، لما تجاوزنا بهم صواب الشهداء.

وحين يلتحق شهيد كالحسين بعالم المثال، يبقى منه في ميادين الشعور ومخيلات الشعراء عالمه الذي فطر الناس على تقديسه والتغني به، متجاوزين بذلك جانبي المنفعة والضرر، وغير أبهين بغلبة أي من الجانبين، وتلك أقرب خصائص الجمال إليه، فمنذ مقتل الحسين ونحن نسمع شعراً، ونقرأ أدباً بدأ برثاء مفجوع وندم ممض لم يلبث حتى أصبح أدباً له خصائصه وله مميزاته، حيث العاطفة المشبوبة والاندفاع الجريء ذلك الأدب الذي سمّاه النقاد فيما بعد (بأدب الشيعة) الذي بدأ منه الأدب السياسي في دولة الإسلام، ولعل أولى القصائد التي جمعت إليها أدب الشيعة العاطفي والسياسي أبيات سليمان بن قته:

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرَ مثالا لها يوم حلّت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة	لفقد حسين والبلاء اقشعرت
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
فإن قتيلا الطف من آل هاشم	أذلّ رقاب المسلمين فذلت ^(٢)

(١). محاضرات الخضري ١/١٣٢.

(٢). مقاتل الطالبين ٨١.

ومنذ مقتل الحسين ، ونحن نسمع شعرا ونشهد مواقفاً يضيع معها كل شيء سوى عالم الحسين . . يقف مصعب بن الزبير في أصعب موقف يقفه إنسان فلا يسمع منه غير قوله :

وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا^(١)
ويتصدى عبد الله بن كثير في ساعة يصحو بها الضمير على عالم المثال ،
فيلعن أمير مكة لأنه يسب عليا والحسين ، ويتجاوز شعور الخوف من القتل
والإيذاء ، وهما أقرب إليه من أي شيء تجاء وال للأمويين فيقول :

لعن الله من يسب عليا وحسنا من سوقة وإمام
أيسب المطهرون جودا والكرام الآباء والأعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليه كلما قام قائم بسلام^(٢)
وتسامح العربية بشاعر لم يجد أرحب من عالم الحسين والعلويين عالما يغني
فيه ، فيقول ويفرط ، ومثله معرض لأدنى ما يقول للعقاب ، ذلك هو الكميت بن
زيد الأسدي ، الذي يقول :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطرنني بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى وخير بني حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

(١) . شرح نهج البلاغة ٢/٢٤٩ .

(٢) . معجم النوار للمرزباني ص ٢٤٠ والبيان والتبيين ٣/٣٦٠ .

بني هاشم رهط النبي فإبني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب^(١)
وغير الكميت، السيد الحميري، الشاعر الذي شغله عالم الهاشميين عن
كل شيء سواهم، فلم يجد غيرهم معنى يقول فيه شعرا.

يطرح أبويه كي لا يحولا بينه وبين التغني بمن أغرم بهم^(٢) ويلقى اللوم
والتقريع فلا يصيخ إلالداعي الضمير، وما انضمت عليه جوانحه يقول:

وكم من شقيق لا مني في هواهم وعاذلة هبت بليل تؤنب
وفارقت جيرانا وأهل مودة ومن أنت منه حين تدعى وتنسب^(٣)

وتتسامح العربية بآخرين، يمدحون حين تمتلكهم الرغبة، ويهجون حين
يتملكهم الغضب، ولكنهم ينسون كل شيء أمام عالم العلويين والحسين، مثل
هؤلاء دعبل بن علي الخزاعي، ذلك الشاعر الذي مدح فأوفى، وهجا فأقذع،
وسخر وتغزل ورثى، ولكن أيا من شعره لم يسر بين الناس سريان تائيته التي بكى
بها مصارع آل الرسول:

مدارس آيات خلت من تلاوة ~~وغير~~ ومنزول وحي مقفر العرصات^(٤)
وغير دعبل كثيرون، ولكننا نقف عند آخر لم تدفعه رغبة لمديح، ولم يجره
سخط لهجاء، رغم سوء ظنه بكل ما حوله من ناس وأشياء، يقول فيما يرى وما
لا يرى، يشعر بأنه لأمر ما هذا الجلال الذي يكتنف الفجر والشفق، ذلك الشاعر
هو أبو العلاء المعري، الذي يقول:

وعلى الأفق من دماء الشهيدين علي ونجده شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان

ثبتا في قميصه إلى الحشر مستعديا إلى الرحمن

(١). انظر القصيدة كاملة في (الهاشميات).

(٢). المرزباني: أخبار السيد الحميري ص ٢٤.

(٣). المرزباني: أخبار السيد الحميري ص ٢٣.

(٤). انظر القصيدة كاملة في ديوان دعبل، جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي ص ٨٥.

ويمضي الشعر إلى جانب حضارة العرب، يرتفع إلى ذروة وينحط إلى وهد، ولكنه في كلا طوريه، لم يشأ أن ييارح ميدان الحسين، بل أنه حين يجمد في قوالب ومعان ويقف عندهم الصنعة والإتقان لا يقف إلا في ميدان الحسين عند أكثر شعراء العراق وغيره في قرون الانحطاط، وحين تعود للشعر روحه، تعود ليوم الحسين روح الشعر، وكان ذلك اليوم لم تمض عليه القرون، ولم تتخطاه السنين، إلا كما تتخطى الحدث القريب، يقول السيد مصطفى جمال الدين:

أيها أبا الشهداء يومك لم يزل كالأمس ريان الضحى يتلهب
يزهر بفرته الأصيل ويتشي بجلال ما وهب الشروق المغرب
فدم أرقى كأنه من جدة لأن يعطر في الشذى ويخضب

بل أن أدب الحسين تخطى إلى مدى غير قريب القصائد والمراثي إلى عوالم أخرى من الأدب، فلم يكف فن القول بمضي قدما حتى يرى في الحسين العالم الرحيب له، يهب الشرقاوي مسرحيته الشعرية (الحسين نائرا) و(الحسين شهيدا) ومحمد العفيفي (هكذا تكلم الحسين) ومحمد علي الخفاجي (ثانية يجرى الحسين) وغير هؤلاء كثيرون، استعاروا صرخته للمظلومين، ولوحوا بيومه تجاه الظالمين، ولقد أصبحت ظاهرة الحسين اليوم من أكبر معالم التراث التي بدأ الأدباء يوظفونها لحمل تجاربهم المعاصرة ويؤولونها ليسقطوا عليها دلالات حديثة متجاوزين بذلك طريقة الأولين في تسجيل التراث بلامحه التاريخية والإنسانية، ولقد اتسع ميدان الحسين للطريقتين اتساعا عجيبا، ولو شئنا أن نتبع ما أنتجه في مجاله أدباء الطريقتين لحسبت أننا سوف لا ننتهي إلا قاصرين.

ثورة المدينة.. واضطراب الحجاز

أثار مقتل الحسين سخطا وشعورا مريرا لدى المسلمين، وخاصة في العراق مركز أنصاره وشيعته، وفي الحجاز موطن محبيه وعارفي فضله. وقد أراد أهل

الطموح وذووا الهمم العالية أن يستغلوا هذا السخط ، وأن يملكوا مشاعر الكراهية ، وسنجد أن عبد الله بن الزبير رغم بغضه للهاشميين ، وثقل مقام الإمام الحسين في مكة عليه ، يشنع على الأمويين قتله ويستثير في الناس عواطفهم ، وينعى على العراقيين غدرهم وخذلاهم^(١) ، على أن الحجازيين كانوا يعرفون فيما يبدو خلوا الساحة له بعد الحسين ، فطالبوه بإظهار البيعة إذ لا ينازعه أحد^(٢) وكان وإلى الحجاز عمر بن سعيد بن العاص يداري ابن الزبير وأصحابه ، ويرفق بهم ويحاول أخذهم باللين ، وربما بالمكر والدهاء^(٣) غير أن تلك الطريقة لم ترق للأمويين .

فطالبوا يزيدا بإبداله بأخر أشد منه وأثقل وطأة على الخصوم . ولم يلبث يزيد حتى سرح الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى الحجاز أميرا^(٤) بيد أن الوليد لم يجد ابن الزبير إلا متمنعا حذرا ، ثم أنه استطاع أخيرا أن يخدع يزيد فعزله بعثمان بن محمد بن أبي سفيان ، الذي جاء الحجاز وهو فتى غر حدث لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب ، وكان لا يكاد ينظر في شيء من السلطة ولا عمله^(٥) على أنه بعث وفدا من المدينة إلى يزيد ، وقد تلقى يزيد الوفد بالترحاب والجوائز ، بيد أن أفراد الوفد ما أن وصلوا المدينة عائدين ، حتى عابوا يزيدا وخلعوا بيعته ، فاستجاب الناس لهم (وتوجد بعض الدلائل على أن ابن الزبير هو الذي أرتث نار الثورة في المدينة)^(٦) ويبدو أن أهل المدينة كانوا مهيبين لها ، ويعتدل في أنفسهم النزوع إلى السيادة التي نقلت عنهم إلى الشام ، وفيهم من أبناء المهاجرين والأنصار من يرى ويرى معه الناس أنهم أصحاب الحق فيها ،

(١). تاريخ الطبري ٤٧٥/٥ وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٢ ص ١٩

(٢). تاريخ الطبري ٤٧٥/٥

(٣). تاريخ الطبري ٤٧٥/٥

(٤). تاريخ الطبري ٤٧٧/٥

(٥). تاريخ الطبري ٤٨٠/٥

(٦). تاريخ الدولة العربية ص ١٦١

بيد أن اختيار لحظة الثورة يجعلنا في شك شديد في أنهم حاولوا استعادة النفوذ لمدينتهم والسيادة لأبنائها.

حقاً أن النزعة الدينية التي ألفت ظلالها على الخصومات السياسية كانت ترى لهؤلاء الحق دون يزيد الذي لم يرض سيرته أهل الورع والتقاة. إذ لم يلتق في أي من منازعه مع مناهج الدين. بيد أننا نستطيع أن نعتبر أن الباعث الحقيقي لتحركات ابن الزبير لم يكن الدين، ولكنه كما عند آخرين عاصروه باعث الشهرة والمجد.

ولعل حسينا كان من القلائل جدا لم يتكذب جدد الطريق فيما ادعى، ويشبهه إلى حد ما ثوار المدينة الذين يستعدون الآن للثورة، والتوابون فيما بعد. لقد كان منهج هؤلاء كمنهج الحسين منهج الشهداء والثوار الحقيقيين الذين يختارون أخرج اللحظات وأدعاها للتضحية والفداء، وحين نعود إلى دعوى ابن الزبير ورهطه نجد أنه كان (عند أهل الشام من الأسباب ما يبرر لهم أن يروا في مسألة الحق الشرعي التي يثيرها خصومهم تمويهاً ونفاقاً يستر وراءه مسألة التطلع إلى السلطان)^(١) ويجب أن لا نذهب بعيداً، فالدين كان شعار الدولة. ويجب أن يمثله ذوو التقى والعلم والورع، غير أن التاريخ لم يحدثنا عن جدل الشاميين في سياسة أودين وكل ما يذكر أنهم كانوا أقرب إلى طاعة السلطان من أي شيء آخر، يقبضون أعطياتهم ثم يتوجهون حيث تريد السلطة.

وحين نعود إلى المدينة، نجدهم قد خلعوا يزيداً في المسجد وحاصروا الأمويين^(٢) الذين بعثوا إلى يزيد مستغيثين فما كان منه إلا أن بعث مسلم بن عقبة على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألف رجل^(٣) في آخر سنة ثلاث وستين، وافى ابن عقبة المدينة، فكان أول ما التقى بالمطرودين من بني أمية^(٤) ولم تمض الأيام

(١). تاريخ الدولة العربية ص ١٦١

(٢). تاريخ الطبري ٤٨٣/٥،

(٣). تاريخ الطبري ٤٨٣/٥

(٤). الكامل ٣١٢/٣ وما بعدها

الثلاث التي أمهل بها المدنيين للتسليم حتى هاجم المدينة بجيشه ، فاحتلها بعد تمزيق المدافعين عنها ، الذين قاتلوا بشجاعة واصرار عجيبيين . يقودهم عبد الله بن حنظله (الغسيل) الذي قتل مع ابنائه الثمانية بعد ما أبدوا ضروبا من البسالة والاقدام والقتال المستميت^(١) . سميت هذه الواقعة بوقعة الحرة . وهم اسم جانب المدينة الذي دارت فيه المعركة^(٢) وفيها قتل كثير من قريش وبقايا المهاجرين والأنصار ، والآلاف من أبنائهم^(٣) ويتحدث المؤرخون على مسلم بن عقبة ، فيصفونه بالقسوة والإسراف وسوء الدخلة^(٤) ويذكرون أنه أباح المدينة لجنده ثلاثة أيام يقتلون الناس . ويأخذون الأموال ويقتربون أسوأ الأعمال^(٥) وانه ألزم أهل المدينة بالأقرار على عبوديتهم ليزيد ، فمن امتنع وسم بالكي على رقبته .

ولم يستثن من هذا العار سوى علي بن الحسين زين العابدين وعلي حفيد العباس عبد المطلب .^(٦)

لم تكن ثورة المدينة لأحد من آل علي والهاشميين ، بل أننا نجد أن علي بن الحسين رفض يده منها ، واعتزل الناس بأهله وأهل مروان بن الحكم الذي لم يجد من يجيره غير ابن الحسين^(٧) بل أن محمد بن الحنفية امتنع من الاشتراك بها رغم محاولة إكراهه . مما حمله على الهجرة إلى مكة . وكان هذا أول ما هاج الشريين وبين ابن الزبير^(٨) ومع ذلك فإننا يجب ألا نستبعد مرد الثورة إلى الشعور المرير الذي تركه مقتل الحسين ولئن رفض العلويون الذين لم تبارحهم دوامة الفجيعة

(١). الكامل ٣/٣١٢ وما بعدها

(٢). العبر في خبر من عبر ١/٦٦

(٣). العبر في خبر من عبر ١/٦٨

(٤). الفخري في الأدب السلطانية ص ٨٦

(٥). تاريخ الطبري ٥/٤٩١

(٦). شرح نهج البلاغة ٣/٢٥٩

(٧). الأغاني ١/٢٦

(٨). الأغاني ١/٢٥

بعد أيديهم منها ، فإنها لم تنته دون ضحايا من الطالبيين ، ذكر المؤرخون منهم أبا بكر بن عبد الله بن جعفر^(١) وأخاه عون بن عبد الله بن جعفر^(٢) ، وجعفر الأصغر بن محمد بن الحنفية .^(٣)

أما الجيش الأموي ، فلم ينته من أمر المدينة حتى توجه إلى مكة حيث يعتصم ابن الزبير ، فحاصرها ، غير أن وفاة يزيد بن معاوية أنهت الحصار بعد ما استمر أكثر من شهرين^(٤) (وكان عبد الله بن الزبير فور وفاة يزيد قد بويع له بالخلافة في جميع أنحاء الحجاز والعراق وخراسان ، ولو انه غادر الآن مكة وزحف على الشام إذا ما كان هناك سوى شك قليل في قضائه على حكم الأمويين إلى الأبد ، ولكنه اكتفى بالبقاء في مكة .

وبذلك أتاح للأمويين فرصة ليلموا شملهم ويستجمعوا قواهم).^(٥)

وبموت يزيد اضطربت البلاد الإسلامية ، ففي مكة والحجاز كان ابن الزبير ، وفي الشام معاوية بن يزيد الذي ورث أباه في الملك ، ولكنه كان أزهد من أن يتحمل إثم رهطه الأمويين فاعتزل ولم يلبث حتى مات^(٦) فغلب على دمشق الضحاك بن قيس الفهري^(٧) وانحاز عنه مروان بن الحكم في بني أمية إلى أرض حوران ، فوافاهم عبيد الله بن زياد من العراق منهزما . فقوى عزم مروان على طلب الخلافة^(٨) فلم يزل أمره يقوى ويشتد حتى التقى بالضحاك فمزق جيشه وقتله بمرج راهط شرقي الغوطة .^(٩)

(١) . مقاتل الطالبيين ص ٨٢

(٢) . مقاتل الطالبيين ص ٨٢

(٣) . مقاتل الطالبيين ص ١٢٦

(٤) . تاريخ الطبري ٤٩٨/٥

(٥) . مختصر تاريخ العرب ص ٩٥

(٦) . تاريخ الطبري ٥٠٣/٥

(٧) . العبر في خبر من غير ١/٧٠

(٨) . العبر في خبر من غير ١/٧٠

(٩) . تاريخ الطبري ٥٣٥/٥

ثم التقى بالنعمان بن بشير أمير حمص الذي سار لنصرة الضحاك ، فهز جيشه وقتله^(١) وفي أول سنة خمس وستين تملك مصر واستعمل عليها ابنه عبد العزيز.^(٢)

التوابون...

وفي العراق الذي بايع أهله عبد الله بن الزبير . واضطر عبيد الله بن زياد للهرب الى الشام ، بدأ ينجم حزب جديد ، ونشاط آخر سببه الندم الذي أعقب استشهاد الحسين . والشعور بالخطيئة تجاه ابن علي الذي خذل وترك وحده في غمرة المحنة يصلها بصبر وثبات^(٣) ، وقد بدأ العراقيون ينظمون أنفسهم في تجمع لم يتجاوز العشرات من الذين استبدت بهم مشاعر الحزن والندم المرير.^(٤) وقد أخذت تلك التجمعات تأخذ مسارا جديدا ومنظما على يد سليمان بن سرد الخزاعي ، الذي صحب النبي الكريم ونصر الإمام علي وشاركه في حروبه ، وكتب فيمن كتب من أهل الكوفة إلى الحسين يستقدمه إلى العراق.^(٥) إلا أن تلك التجمعات التي كانت تنعقد في بيت سليمان كل يوم جمعة بدأت تنطلق من سريتها بعيد وفاة يزيد^(٦) ويبدو أن الحماس بدأ يدب في نفوسهم شيئا فشيئا حتى طردوا عمرو بن حريث نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة ، بيد أن انتفاضة الكوفيين تلك لم يكن للتوابين فيها اشتراك كبير ، فقد كان سليمان بن سرد يرى أن أنصاره غير قادرين الآن على إدراك الثأر ، إذ أن قتله الحسين كانوا على الأغلب من أشرف الكوفة ، وذوي المتعة والنفوذ فيها ، وان دعوة التوابين سوف

(١). تاريخ الطبري ٥٣٥/٥

(٢). العبر ٧١/١

(٣). الفخري في الأداب السطانية ص ٨٨

(٤). الكامل في التاريخ ٣٣٢/٣

(٥). طبقات ابن سعد ٣٠/٤

(٦). تاريخ الطبري ٥٥٢/٥

تلقني في روعهم أنهم هم المطلوبون .

مما يؤلبهم ويجمع شملهم . ولما تكتمل بعد قوة التوابين^(١) وكان يرى أن يبث دعائه بين الناس حتى يستجيب له العدد الذي يستطيع به أن يدرك طلابه ويشفي نفسه .^(٢) ولقد لاقى دعائه نجاحا كبيرا ، لعل من أهم أسبابه شخصية سليمان المحببة .

إذ صحب النبي (صلى الله عليه وآله) وعرفه الناس بالتقوى والصلاح . وكذلك كان أركان التوابين ، وهم : المسيب بن نجبة الغزاري ، أحد حواربي الإمام علي ، وعبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي ، وعبيد الله بن وال التميمي ، ورفاعة بن شداد البجلي^(٣) .

أما العراق الذي مازال يستقبل الأمراء فقد اجتمع أخيرا على ابن الزبير الذي بدأ يبعث ولاته إليه (ولقد كان لهذا التغيير أثره المفيد عند الشيعة ، رغم أنهم كانوا يكرهون ابن الزبير الذي استولى على ميراث الحسين ، ومن ثم صاروا أكثر جراءة وانتشروا في أوساط أوسع . وكانت عواطف الجماهير معهم ، وإن كان الأشراف لا يريدون أن يعترفوا لهم بشيء)^(٤) ولكن شعارات التوابين لم تتعرض لتغيير سياسي أو دعوة لأحد بل تلخص في غسل ما لحقهم من عار الخلاف ، وخوض الحرب ضد قتلة الحسين ، يصلون لضحاياها غير ناظرين إلى النتائج . وعلى ذلك كاتبوا الأمصار ودعوا الناس (كانت شارتهم هي : الثأر للحسين ، ولم يكن أمامهم هدف معين بل ترددوا في أي الوسائل أنسب للتضحية بحياتهم)^(٥) ولكن مقدم عبيد الله ابن زياد على رأس جيش ضخم من أهل الشام لكسب العراق الى

(١) . البداية والنهاية ٢٤٨/٨

(٢) . البداية والنهاية

(٣) . تاريخ الطبري ٥٥٢/٥

(٤) . الخوارج والشيعة ص ١٩١

(٥) . الخوارج والشيعة ص ١٩٢

حكّم مروان قطع تردهم ، وأفائهم الى زعيمهم سليمان بن صرد الذي كان يرى أن قتال الأمويين أولى من الانشغال بمقاتلة أهل الكوفة .

وكان هلال ربيع الآخر من سنة خمس وستين وعد سليمان وأصحابه للمعسكر بالنخيلة ، ويبدو أن عدة الناس في النخيلة لم تعجبه ، فأرسل من ينادي بشعارهم (يا لثارات الحسين) فأجابه مثل من كان معه ، ولكن كل من وافاه لا يشكل إلا الربيع ممن بايعه ، لقد وافاه أربعة آلاف مقاتل ، في حين أن عدد مبايعيه كان ستة عشر ألفاً .^(١)

لقد اعتورت حركة التوابين شتى الدعوات ، فولاه ابن الزبير أرادوهم أن يتفقوا معهم ليكونوا جبهة واحدة ضد أهل الشام^(٢) . ولكنهم أبو إلا المضي فيما عقدوا العزم عليه .^(٣) ونشط إشراف الكوفة في تسييط الناس وإعادتهم إلى الهدوء . وكذلك المختار الذي قدم إلى الكوفة بحثه طموحه لجمع الناس حوله^(٤) ولكن أيا من هذه الدعوات لم تثن قادة التوابين عن عزمهم ، وان اختصرت جيشهم إلى الربيع .

لقد كان التوابون ناشطين بدعوتهم ، فجمعوا مالا وسلاحا ، وكاتبوا أهل البصرة والمدائن ، فلم يجدوا غير البذل بسخاء ، والإجابة بصدق^(٥) ولكن خيبة الأمل التي تجسدت أمامهم في النخيلة ولدت شعورا مريرا ، لكنه لم يطامن من جموحهم المشبوب ، فمضوا قدما حتى أقاموا بكريلاء يوما وليلة ، ثم عبروا الفرات ، واستمروا حتى وصلوا قرقيسيا ، حيث تلقاهم زفر بن الحارث الكلابي كبير قيس ،^(٦) فوضع

(١) . انظر تاريخ الطبري ٥٨٤/٥

(٢) . تاريخ الطبري ٥٨٤/٥

(٣) . وفي ذلك يقول أحد الشعراء يرثيهم:

ولم يستجيبوا للأمر المخاطب

مضوا تاريكي رأي ابن طلحة حسبه

(٤) . البداية والنهاية ٢٤٨/٨

(٥) . البداية والنهاية ٢٤٨/٨

(٦) . زفر بن الحارث بن عبد عمر الكلابي ، أبو الهذيل ، كان كبير قيس في زمانه ، من التابعين ، شهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسيا ، ولم يزل

لهم سوقا تسوقوا منها، وأعلمهم بتحركات جيش العدو، ونصحهم أن يبادروا إلى عين الوردة، ويجعلوا المدينة خلف ظهورهم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديهم وهم آمنون لما بينهم وبين قرقيسيا^(١).

معركة عين الوردة:

عمل سليمان بنصيحة زفر، فمضى حتى انتهى إلى عين الوردة، فنزل في غريبها وأقام بها خمسا^(٢)، حتى إذا استراح واطمأن، خطب في أصحابه وكان جند الشام على مسيرة يوم وليلة منه يحضهم على الصبر ويضع أمامهم تعاليم الإسلام في الحرب، وسيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ساحات القتال وأوصى أن يكون المسيب بن نجبة الفزاري أمير الجيش بعده، فإن قتل فعبد الله بن سعيد، فإن قتل فعبد الله بن وال فإن أصيب فرفاعة بن شداد^(٣) ثم بعث المسيب في أربعمئة من جنده ليثن الغارة على أول من يلقاه من عسكر العدو، فمضى المسيب يومه كله حتى إذا كان السحر اصطدام بواحد من معسكرات ابن زياد فحمل عليهم وهم غارون فقتل وجرح واستولى على المعسكر، فكان ذلك أول الحرب، بيد أن عبيد الله بن زياد لم يسمع بما حدث حتى سرح الحصين ابن نمير في اثني عشر ألفا، فالتقى مع التوابين الذين رجع إليهم أصحابهم المغيرون يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى، فخاض التوابون الحرب بشجاعة وثبات فمزال الظفر لهم حتى حجزهم الليل. فلما كان الغد صباحهم ابن ذي

متحضنا بها إلى ان مات.

انظر: معجم الأدباء ١١٧/١٨ وفيه ان محمد بن حبيب جمع شعره، وخزانة الأدب ٣٧٢/٢ ولياب الآداب ٤٦/٢، ولنوري حمودي القيسي: زفر بن الحارث الكلابي مجلة المجمع العلمي الوافي مجلة ٢٥ ج ١ (١٩٨٤)

(١). تاريخ الطبري ٥٩١/٥ . ٥٩٥

(٢). تاريخ الطبري ٥٩٦/٥

(٣). البداية والنهاية ٢٥٣/٨

الكلاع في مدد قوامه ثمانية آلاف، إلا أن ذلك لم يمنح التوابين غير الثبات والإصرار، فقاتلوهم يومهم كله ولا يتحاجزون إلا للصلاة. وفي صباح اليوم الثالث للقتال جاء مدد آخر للجيش الشامي، قوامه عشرة آلاف مقاتل، فتعطفوا على التوابين من كل جانب مما جعلهم يقاتلون مستيأسين لا يطلبون غير الموت، ورأى سليمان ما يلقي أصحابه، فنزل ونادى: عباد الله، من أراد البكور إلى ربه والتوبة عن ذنبه، والوفاء بعهده فإلي. ثم كسر جفن سيفه، ونزل معه ناس كثيرون، كسروا جفون سيوفهم ومشوا مصلتين، حتى أضروا بأهل الشام، وهال أميرهم الحصين بن نمير صبر التوابين، فأمر الرجال أن يرموهم بالنبل، فسقط سليمان شهيدا، وأخذ الراية المسبب بن نجبة، وقاتل بضرواة وثبات حتى قتل، فأخذها عبد الله بن سعيد بن نفيل، وأقبل معه الأزديون قد حفوا برأيته، فلم يلبث حتى وافاه ثلاثة رجال أرسلهم على عجل سعيد بن حذيفة بن اليمان الذي خرج في مائة وسبعين من أهل المدائن بن مخزبة الذي أقبل في ثلاثمائة من أهل البصرة، غير أن قائد التوابين لم يحفل بهؤلاء الرسل، وما جاءوا به، بل أجابهم: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء، وانغمس في الحرب كمارج من نار. كان في رده على هؤلاء الرسل على حق، فليس بين أصحابه غير قتيل أو جريح، وقد هال مشهدهم الرسل الثلاثة، وأثار في نفوسهم حمية لم يستطيعوا معها إلا أن يخوضوا الحرب مع إخوانهم، ولم يلبث عبد الله بن سعيد حتى قتل، وسقطت معه الراية، ولم يستطع خليفته عبد الله بن وال حملها، أو لم يرد حملها، فقد استلحم مع عصابة من أصحابه في القتال، غير أن رفاعه بن شداد استطاع أن يكشف الشاميين عنه، ويقدم له رأيه، بيد أنه أبى أخذها عملا بوصية أميرهم سليمان، وسقط عبد الله بن وال بعد قتال مجيد، وأراد خليفته رفاعه بن شداد أن يرجع بالباقيين ليلم شتاتهم ليوم آخر، بيد أن في أصحابه من رأى أن يستمر القتال حتى يغشاهم الليل، فينسحبون تحت ستاره، وهكذا انسحب بقية التوابين

بعد أن تمنع بعضهم ، فاقتحموا صفوف أعدائهم يضربونهم حتى قتلوا . إلا أن الشاميين لم يحاولوا أن يتبعوا فلول التوابين الذين استمروا بانسحابهم حتى وصلوا قرقيسيا ، فتلقاهم زفر بن الحارث بالطعام والاطباء . وفي طريقهم التقوا بإخوانهم من أهل المدائن والبصرة الذين كانوا في طريقهم إلى عين الوردية ، فعاد كل منهم إلى مصره^(١) .

وهكذا انتهت حركة التوابين المثيرة . بعد قتال مرير أبدوا فيه من ضروب الشجاعة والثبات ما يثير الدهشة والاعجاب ، (ولقد كان الشعور بالخطيئة أكثر من واجب الانتقام ، هو الذي دفع هؤلاء الشيعة إلى القتال والموت)^(٢) حقا أن خطيئة الكوفيين كانت كبيرة ، ولكن شعورهم بها يتناسب تماما مع حجمها ، ولو تتبعنا سيرة بعض التوابين الذين خذلوا الحسين من قبل لوجدناهم أشد الناس حماسة في طلب ثاره ، وأسرعهم للموت غسلا لخطيئتهم بحقه^(٣) غير أنا يجب ألا نمضي دون الحديث على قائدهم سليمان ، فنعود إلى الوراء حتى نبدأ معه منذ دعوته لاستقدام الحسين ونصرته ، فقد كان متحفظا في دعوة العراقيين ، ويبدو من كلامه معهم إنه لم يكن واثقا تماما من صدقهم ، وينقل الطبري عن أبي مخنف أنه بعدما بدأ الشيعة يتجمعون في داره بعد هلاك معاوية ، قال لهم : (أن معاوية قد هلك ، وإن حسينا قد تقبض على القنوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون إنكم ناصروه ، ومجاهدوا عدوه ، فاكتبوا له ، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه)^(٤) حين نستمع إلى حديثه هذا نجد متحفظا وغير مندفع - كبقية رهطه - دون النظر إلى نتائج

(١) . انظر أحداث حرب التوابين في: تاريخ الطبري ٥٩١/٥ - ٦٠٥ ، والبداية والنهاية ٢٥٤/٨

وتاريخ اليعقوبي ٦/٣

(٢) . الخوارج والشيعة ص ١٩٦

(٣) . البداية والنهاية ٢٥٤/٨

(٤) . تاريخ الطبري ٣٥٢/٥

الأحداث . . . بيد أن سيرته قبيل مصرع الحسين يكتنفها الغموض . فلم نعلم هل قعد عن نصرته أم منعه السجن مثلما منع بضعة رجال . ومهما يكن فقد كان مصرع الحسين شديد الوقع عليه ، لذلك بدأ يتجهز لأخذ ثأره غب الواقعة بقليل ، كما يؤكد المؤرخون^(١) .

لقد كانت حركة التوابين نقطة تحول حاسمة في تاريخ الشيعة والعراق فلم تكد تنتهي بما انتهت إليه حتى تمخضت عن حركة المختار الذي كان يجمع حوله الناس وينتظر أن تخلو له ساحة الكوفة من المنافسين ، وقد كان لفشل التوابين أكبر الأثر في تحول الشيعة إليه ، إلا أننا لا يمكن أن نؤاخذ التوابين على طريقتهم في إدارة الصراع ، وقد قلت أنه كان يدفعهم شعور ديني ، وشعور بالخطيئة والندم ، فلم يطلبوا التغيير أو استبدال السلطة بأخرى بل لم يستعدوا لذلك ، وعلى ذلك كانت دعوتهم ، فلم يحاولوا أن يطمعوا أحدا برفع الحيف عنه . ودفع القهر والاستبداد ، بل عبر ابن سرد عن كل ذلك بصراحة لا تستهوي الناس إلا إلى حين ، يقول :

(ومن كان يريد الدنيا وحرثها ، فوالله ما نأتي قينا نستفيثه ، ولا غنيمة نغتمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خز ولا حرير ، وما هو إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا)^(٢) .

ولم يشأ التوابون أن يطلبوا غير ما دعا إليه زعيمهم سليمان ، وما أصدق ما وصفهم به أعشى همدان من قصيدة رائعة قيل أنها إحدى المكتمات :

تخلي عن الدنيا وقال أطرحتها	فلمست إليها ما حيت بأيب
وما أنا فيما يكبر الناس فقدته	ويسعى له الساعون فيها براغب
مضوا تاركي رأي بن طلحة حسبه	ولم يستجيبوا للأمير المخاطب

(١) . انظر: تاريخ الطبري ٢٥٨ . ٥٥٢/٥

(٢) . تاريخ الطبري ٢٨٥/٥

فساروا وهم من بين ملتزمي التقى وأخر مما جر الأمر تائب^(١)
لقد مضى التوابون إلى أهدافهم منصلتين مثل الحسين، لا يلوون على
شيء، ولم ينطووا على مكر ودهاء، ولم يتدبروا أمورهم بمكيدة ومدارة،
ويلاحظ أن حركتهم لم تحاول أن تجد لها مذهباً دينياً يبرر لها دعوتها ويفلسف لها
مسيرتها، ولم تلجأ إلى الحق الشرعي الذي تمخضت عنه أكثر حركات الشيعة
فيما بعد، لقد حملوا الإسلام صريحا واضحا مثلما بشر الرسول الكريم
والصحابه الأولون. فلم يلجأوا إلى تأويل، أو التواء في تفسير، في حين أننا
سنجد في حركة المختار التي أعقبتهم آراء لم نشهدها من قبل، ولم نسمع بها،
وستكون تلك الآراء ظاهرة توافق الحركات السرية إلى أجيال عديدة، وأعجب
من ذلك أننا سنجد الكثير من ثوار البيت العلوي لم ييشروا بما تمخض عن
حركاتهم، ولم يدعوا إليه، بل أنهم حملوا الإسلام بكل ما فيه من بساطة
وسماحة ووضوح، وسرى أن أكثر ما ظهر من آراء ومذاهب لم يكن إلا من فكر
الدعاة أو تسامحهم فيه، محاولين بذلك أن يجعلوا لهم حقا شرعيا. ومذهباً دينياً
يتبعه ناس ويؤمنون به، ويضحون لأجله، كما فعل بنو العباس فيما بعد.

لقد كان التشيع في أول أمره لا يعدو الدعوة القوية والصريحة لإشاعة العدل
الاجتماعي، تلك الدعوة التي حملها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وربط كريم من الصحابة التفوا حوله، ولكنه تحول على يد العراقيين إلى (تعبير
عن شعور العداة لبني أمية من جانب ولاية العراق المغلوبة) ^(٢) بيد أن مصرع
الحسين، ثم نهاية التوابين، حوله إلى (عقيدة مزوجة بالدماء، متغلغلة في
النفوس، بعدن كان رأيا تنقصه الحماسة وشتان بين الرأي والعقيدة). ^(٣)

ولنا أن نبين أن فشل حركات العلويين في هذه الفترة لم يكن من تدبير

(١). تاريخ الطبري ٦٠٨/٥

(٢). تاريخ الدولة العربية ص ٦٣

(٣). أدب الشيعة ص ٣٩

العراقيين ، الذين دعواهم للثورة ثم خذلوهم ، إذ لم يكن خذلان الشيعة مرسوما بتدبير سابق ، لعقيدة يعتقدونها ، أو لأفكار تنطوي عليها صدورهم ، تدفعهم للخديعة والغدر بهدف إضعاف الدين ، وتقليم أظفار المسلمين كما يرى أحد المحدثين^(١) ، أن وهل الشيعة من أهل العراق أو فشلهم لم يكن مرسوما فهم لم يقصدوا الخديعة ، ولم يصطنعوا الهزيمة ، بل أنهم كانوا يتطلعون إلى السيادة التي استأثرت بها الشام ، وما أن وجدوا الفرصة سانحة حتى يشبوا باحثين عن قائد وهاد يعيد إليهم سيادتهم المفقودة ، ومركزهم المنشود باسم الدين ، ولقد كان الإمام علي رمزا لسيادتهم تلك . كما كانت مثاليته الرافع الأول لجدلهم المتواصل ونقدهم المستمر فكل ما تظهر به السلطة ، أو تدعوا إليه ، ولاشك أن للاضطراب السياسي والنفسي ، ثم لمصالح الأشراف التي يتهددها خطر فشل محاولات الثورة ، السبب الأساس في خذلانهم وانقلابهم إلى حماية مصالحهم باسم المحافظة على الهدوء ومنع الشغب ، بيد أن حركة التوابين نقلت الشيعة إلى منطلق آخر . وموقع جديد لا محل للمصلحة والسيادة فيه ، لقد كانت ثورتهم أول ما اجشت من النفوس عقدة الخلاف وخشية العواقب ، وعدم التورع من خطيئة النكوص لحفظ مكاسب الدنيا ، على أن الشيعة لم يمضوا على ما مضى عليه التوابون إلى الأخير ، فلم تكذ تنتهي مسيرتهم في (عين الوردية) حتى تمخضت عن تغيير خطير ملك زمامه المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي قدم الكوفة ليجعلها منطلقا إلى طموحاته العريضة باسم ثارات الحسين ، مخلصا في دعوته لشعاره حيناً ، ومداهنا في بعض الأحيان .

(١) . انظر: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٨٤/٢



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب
السويدي

الفصل الرابع

حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

ظهر المختار في مسرح السياسة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، حيث قدم الكوفة واجتمع مع من اجتمع من أهلها لدعوة الحسين بن علي للثورة^(١) أما قبل ذلك فيكاد الغموض يكتنف حياته، سوى ما ذكر من نصيحته لعمه - وكان أميراً على المدائن - في تسليم الحسن بن علي (عليه السلام) لمعاوية أثناء صراعهما^(٢). ويبدو أنه تفرد عن بقية الكوفيين بعد ذلك بموقف كريم وشجاع، فقد رفض أن يخون الحسين، وحاول الخروج من الكوفة للالتحاق به ونصرته. ولكن أمير الكوفة قبض عليه وحبسه مع آخرين^(٣) مما جعله بمنجاة من وصمة العار التي لحقت العراقيين، وحين خرج من السجن مشتور العين إثر ضربة وجهها له ابن زياد^(٤) توجه إلى مكة وانضم إلى عبد الله بن الزبير حامل لواء المعارضة بعد الحسين^(٥) ولم يحاول منافسة ابن الزبير على زعامته (ولكنه حاول إن يكون الرجل الثاني في الدولة)^(٦)، ويبدو أنه شعر بعدم جدوى بقاءه إلى جانب ابن الزبير، فمضى إلى الطائف بلده الأول^(٧) يهين نفسه لأمر جليل، ولكنه ظهر ثانية في مكة بعد أن مكث حولا كاملا في الطائف^(٨)، ودخل على ابن الزبير الذي بدا وكأنه الرجل الخطير، وحين عرض عليه ابن الزبير أن يبايعه، أبى إلا بشروط ترضي طموحه، فقبل بعد تردد وإحجام^(٩)، وهكذا استقر إلى جانب الزبيرين

(١). أنساب الأشراف ٢١٤/٥

(٢). البداية والنهاية ٢٩١/٨ وأنساب الأشراف ٢١٤/٥

(٣). تاريخ اليعقوبي ٥/٣ والبداية والنهاية ٢٩٠/٨

(٤). تاريخ اليعقوبي ٥/٣

(٥). تاريخ اليعقوبي ٥/٣

(٦). علي حسني الخريوطي: المختار الثقفي ص ٨٩

(٧). أنساب الأشراف ٢١٦/٥

(٨). أنساب الأشراف ٢١٦/٥

(٩). تاريخ الطبري ٥٧٥/٥

مكة، وقاتل دونه بشجاعة وإقدام أثناء حصار مكة^(١)، وحين دانت الحجاز والعراق وأطراف أخرى من البلاد الإسلامية لابن الزبير رفض أن يمنحه شيئاً يرضيه، فتركه وتوجه إلى الكوفة^(٢) التي يضطرب الآن فيها التوابون يجمعون السلاح ويدعون الرجال، والتف سواهم حول نائب ابن الزبير على الكوفة عبد الله بن يزيد^(٣)، ولكن المختار لم يرضى زعامة سليمان بن صرد الخزاعي لجموع التوابين، كما لم يرض طريقتهم في الثورة.

وحاول أن إليه^(٤) بيد أن أكثرهم لم يرض به بديلاً لسليمان ذي الماضي المجيد^(٥) ولعله كان يعرف أن سليمان سوف لا يلبث إلا يسيراً، فلم يزل يبشر الناس بالنصر والفلج منذ عودته إلى الكوفة في رمضان سنة أربع وستين^(٦)، وقد شعر الأشراف بتحركات هذا الرجل الخطير، فلفتوا نظر الوالي إليه، فأودعه السجن^(٧) غير أنه لم يلبث بسجنه حتى عصفت رياح بني أمية بسليمان بن صرد والتوابين في عين الوردية، ومن سجنه كتب إلى فلول التوابين العائدين (لم يكن سليمان الزعيم الحق، بل أنا، أنا، أنا) وخرج من السجن بوساطة عبد الله بن عمر بن الخطاب زوج أخته، بعد أن أخذ عليه أمير الكوفة عبد الله بن يزيد العهد بأن لا يخرج عليه ما كان له سلطان^(٨) ولكن أتى لهذا العهد أن يقف أمام طموح المختار واندفاعه العنيف وقد زاده اعتداداً بنفسه هذا الجمع الغفير المهياً للالتفاف حول زعامته^(٩). بيد أن المختار تخلص من العهد الذي أعطاه دون أن يحنث

(١). تاريخ الطبري ٥/٥٧٥.

(٢). تاريخ الطبري ٥/٥٧٨.

(٣). أنساب الأشراف ٥/٢١٨.

(٤). البداية والنهاية ٨/٢٤٨.

(٥). تاريخ الطبري ٥/٥٦٠ و٥٨٠.

(٦). تاريخ الطبري ٥/٥٦٩.

(٧). تاريخ الطبري ٥/٥٨٠.

(٨). تاريخ الطبري ٦/٨.

(٩). تاريخ الطبري ٦/١٠.

بيمينه إذ قدم وال جديد وهو عبد الله بن مطيع القرشي أحد أنصار ابن الزبير المتحمسين . وقد وصل الكوفة في رمضان سنة ٦٥ هـ^(١) وأراد أن يأخذ أهلها بالشدة . ويتبع فيها طريقة عبيد الله بن زياد في الحكم ، وأعلن ذلك بخطاب قال فيه :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم . وأمرني بجباية فيثكم ، وألا أحمل فضل فيثكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين ، فاتقوا الله ، واستقيموا ، ولا تختلفوا ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، وإلا تفعلوا ، فلو موات أنفسكم ولا تلوموني ، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ، ولأقيمن درء الأضرع المرتاب^(٢) .

(ولكنه بهذا إنما مس قرحاً فيهم ، لأن أهل الكوفة جميعاً لم يرضوا أن يؤخذ فضل الفيء بل طالبوا بالإبقاء عليه في الكوفة)^(٣) .

وطالبوا أن يسير فيهم بسيرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قسمة الفيء وتوزيع المال^(٤) ويبدو أن هذا الوالي شعر بخطأه ، ولكنه عبثاً حاول أن يصلح ما أحدث بنفوس الكوفيين ، أما المختار الذي كان له بالمرصاد ، فقد حاول أن يستغل زلة الوالي تلك ، فلوح للعراقيين بنقيضها . ذلك النقيض الذي يعني العودة إلى سيرة الإمام علي في إبقاء الفيء وعدم أخذ فضوله . وقلنا أن علياً كان رمز سيادة الكوفة للعالم الإسلامي ، وقد استهوى المختار أفئدة العراقيين باستعادة ذلك الرمز المفقود عندما لوح لهم باسم محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ، وأذاع أنه أمينه ووزيره ، ونائبه عليهم في أخذ ثار الحسين^(٥) وكان المختار قد ألقى

(١) . تاريخ الطبري ١٠/٦ .

(٢) . تاريخ الطبري ١١/٦ وأنساب الأشراف ٥/٢٢٠ .

(٣) . الخوارج والشيعة ص ٢٠٣ .

(٤) . تاريخ الطبري ١١/٦ .

(٥) . طبقات ابن سعد ٥/٧٢ .

به عندما غادر مكة متوجهاً إلى الكوفة^(١) وأحسب ان كلا الرجلين حاول أن يجعل من صاحبه سلماً لطموحاته، بيد أن في رجال الكوفة مَنْ خامره الشك بادعاء المختار. فذهبوا الى الحجاز ليتبينوا جلية الأمر من محمد بن علي نفسه. الذي أجابهم (أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بما شاء من خلقه)^(٢) فافتنع الكوفيون بهذا الجواب الغامض المبهم، وعادوا إلى المختار وأخبروه بذلك، فاستراح ودعا الناس إليه وسخر من المرتابين^(٣) ولكنه وجد مع أصحابه أن في الكوفة رجلاً لو كسبوه إلى جانبهم لرجحت كفتهم على الأشراف الذين ماثوا ابن مطيع عليهم، ذلك الرجل هو إبراهيم بن مالك الاشر زعيم قبيلة النخع التي وقفت بزعامه مالك الاشر مع الإمام علي موقفاً شجاعاً ومجيداً، بيد أن إبراهيم الذي لم ينظم إلى سليمان بن صرد تردد في قبول دعوة المختار، حتى عرض عليه كتاباً زعم أنه من محمد بن علي الذي كانت لإبراهيم صلة به، علي أنه لم يطمأن إلى هذا الكتاب لذي لقب فيه محمد نفسه بالمهدي حتى شهد رهط بصحته، وأكدوا صدوره من محمد^(٤).

وهكذا كسب المختار إلى صفه أبرز زعماء الكوفة رأياً ودهاءً وإخلاصاً لعلي وذويه، وبدخول ابن الاشر في حزب المختار انتهى دور الاستعداد وبدأ دور الثورة التي ضرب لها يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ستة وستين موعداً^(٥). ويبدو أن ابن مطيع توقع وثوب المختار، فبعثت شرطته في ميادين الكوفة، وألزم الأشراف بحماية سككها^(٦) إلا أن إشارة الثورة قد بدرت عندما قتل إبراهيم

(١). طبقات ابن سعد ٧١/٥.

(٢). تاريخ الطبري ١٤/٦ وتاريخ اليعقوبي ٥/٣.

(٣). الخوارج والشيعة ص ٢٥.

(٤). تاريخ الطبري ١٤/٦ وتاريخ اليعقوبي ٥/٣.

(٥). تاريخ الطبري ١٨/٦.

(٦). تاريخ الطبري ١٩/٦.

بن الأشر صاحب الشرطة إياس بن مضارب عندما اعترضه وهو في مائة رجل متوجهين إلى دار المختار^(١) وبذلك أصبح تأخير إعلان الثورة إلى مواعده المضروب ضرباً من المستحيل ، وفي صبيحة الثلاثاء كان المختار قد نظم أصحابه^(٢) وبدأ الصدام مع فرقة يقودها شيبث بن ربعي ، أحد أشرف الكوفة ، وبدأ جيش ابن ربعي يتراجع لو لم يمس فيهم وتر الشرف ويشير حفائظهم على الموالي جند المختار حين صرخ فيهم : يا حماة السوء ، بش فرسان الحقيقة أنتم ، أمين عبيدكم تفرون^(٣) .

وكادت هذه الصرخة أن تعصف بجند المختار لولا نجدة ابن الاشر الذي فرغ لتوه من تمزيق فرقتين ظاهر المدينة^(٤) وبدأ الآن يدفع شيبث ابن ربعي إلى داخل المدينة حتى حصره مع ابن مطيع في القصر^(٥) ، وهكذا أذعن الأشرف وبدأ عدد الشيعة يتزايد ، أما ابن مطيع فقد تسلل من القصر بعد حصار دام ثلاثة أيام^(٦) ، ليدخله المختار ، ويتلقى فيه بيعة الأشرف (على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحليين والدفع عن الضعفاء ، وقاتل من قاتلهم ، وسلم من سالمهم^(٧) .

وبذلك فقد أذغت الكوفة للمختار ، فوزع على المقاتلين ومن جاء بعدهم ما وجد في بيت المال^(٨) ، (وسعى لإشاعة العدل والرحمة والطمأنينة في النفوس ، والصلح بين الأحزاب)^(٩) وحاول أن يجمع أكثر الفئات إليه ، فجامل الأشرف ،

(١) . البداية والنهاية ٢٦٦/٨ .

(٢) . البداية والنهاية ٢٦٦/٨ .

(٣) . تاريخ الطبري ٢٥/٦ .

(٤) . البداية والنهاية ٢٦٧/٨ .

(٥) . تاريخ الطبري ٣١/٦ .

(٦) . تاريخ الطبري ٣١/٦ .

(٧) . تاريخ الطبري ٣٢/٦ .

(٨) . البداية والنهاية ٢٦٨/٨ .

(٩) . الخوارج والشيعة ص ٢١٠ .

ومنع أتباعه من قتل أحد منهم^(١)، رغم أن دعوته كانت تقوم على الثأر من قتل الحسين (عليه السلام)، ولكن الموالي الذين انتعشت آمالهم لم يرضوا أن يترك الأشراف سادتهم بالأمس أحراراً، ولم يقبلوا منه مجرد العناية بهم، كمستضعفين، تلك العناية التي كانت النقطة الرئيسة في برنامج المختار. وكذلك الأشراف، فقد هالهم أن يروا هؤلاء الموالي يركبون الدواب ويساوونهم بالفيء والعطاء. كما (ها لهم أن يقاتل الموالي في سبيل مصالحهم لا في سبيل سادتهم^(٢)) وعبثاً حاول المختار أن يجمع إليه العصبية العربية والموالي على حد سواء، إذ لم يقبل الأشراف شرعة الإسلام في معاملة الموالي، كما لم يقبل الموالي سيرة المختار في ترضية الأشراف.

إلا أنه استطاع إلى حد ما أن يهدأ خواطر الأشراف بتولية من يثق به منهم، كما استطاع أن يُطامن من جموح الموالي بكلمات غامضة تُفسر على عدة وجوه، على أن المختار بدأ يشعر بقوة نفوذه حينما وردته أنباء العمال الذين ولّاهم المقاطعات التابعة للكوفة، حيث دخلوها دون مقاومة عنيفة^(٣) ولكي يتجنب قوة ابن الزبير التي تهدد سيطرته على تلك المقاطعات، فقد حاول ترضيته بالوقوف إلى جانبه ضد العدو المشترك الذي زحف إلى الجزيرة، وقبل ابن زبير العرض^(٤) فأرسل جيشاً من الوالي قوامه ثلاثة آلاف ليقف مع جيش ابن الزبير الذي أرسله من مكة بقيادة عباس بن سهل الأنصاري. بيد أن ابن الزبير ونظيره في القسوة والغدر ابن سهل، تخلصا من حلفائهما عن طريق قتلهم عذراً واغتيالاً جباناً^(٥)، بيد أن هذه الفعلة عززت عن موقف المختار لدى محمد بن الحنفية الذي أعلن

(١). تاريخ الطبري ٣٢/٦.

(٢). الخوارج والشيعة ص ٢١٣.

(٣). البداية والنهاية ٢٦٨/٨.

(٤). البداية والنهاية ٢٧٧/٨.

(٥). تاريخ الطبري ٧٤/٦.

تأييده للمختار صراحة^(١)، مما دفع ابن الزبير إلى حصره بمكة وتهديده بالقتل إن لم يبايع، ولكن جنود المختار الذين تابَعوا إلى مكة بطلب من محمد أرغموا ابن الزبير على النكوص والاستخاء^(٢).

وبدأ المختار يقرب من ضالته المنشودة في قتال أهل الشام الذين شارفوا الموصل عند نهاية العام ٦٦هـ. فالتقى بهم ثلاثة آلاف من فرسان الكوفة بقيادة يزيد بن أنس، ولكنهم ردّوا على أعقابهم بعد قتال دام يومين، بيد أن هذا القائد الذي تزعم الحرب وهو مريض لم يلبث حتى مات، ودبّ في جيشه الوهن، فقرر العودة خشية الجيش الرئيس الذي دكّت طلائعه إلى الميدان بقيادة عبيد الله بن زياد أميراً للعراق^(٣) وقاتل الحسين الأمس، وقد شاع في الكوفة أن هذا الجيش هزمه الشاميون، فأمر المختار قائده إبراهيم بن الأشتر بالمسير في سبعة آلاف مقاتل بأسرع ما يستطيع، ولكن خلوا الكوفة من ابن الأشتر وجنده جراً الأشراف على المختار. فشككوا في تأييد محمد بن الحنفية له، وعنفوه على تقرب الموالي، ثم حاولوا أن يهتبلوا الفرصة لينقضوا عليه، إلا أن المختار أسرع بدعوة ابن الأشتر، الذي ما لبث أن دخل الكوفة، ومزق جموع الأشراف الذين احتلوا سلك الكوفة، أما المختار، فقد أعطى الأمان لمن استقر في بيته واستثنى قتلة الحسين بن علي (عليه السلام). فبدأت المطارة العنيفة على كل من شارك في قتل الحسين، وكانت النساء تدل على أزواجهن^(٤) فقتل شمر بن ذي الجوشن^(٥) وقتل عمر بن سعد^(٦) وقتل غيرهما، ومن استطاع الهرب التحق بمصعب بن الزبير أمير

(١). البداية والنهاية ٢٧٧/٨.

(٢). مروج الذهب ١٠/٢ وتاريخ الطبري ٧٧/٦.

(٣). البداية والنهاية ٢٦٩/٨.

(٤). تاريخ الطبري ٥٩/٦.

(٥). تاريخ الطبري ٥٣/٦.

(٦). تاريخ الطبري ٦١/٦.

البصرة^(١) ويبدو أن المختار لم يكن شديد البطش قاسياً، فقد ضمن حماية من خلفوا من النساء والأطفال^(٢)، كما لم يكن مصراً على التنكيل.

وحين انتهى المختار من فتنه الأشراف أعاد ابن الأشر وجيشه للقاء جند الشام^(٣).

سار بن الأشر في جيش قوامه الموالي، وأعاد معه، من كان في جيش يزيد بن أنس الأسدي، والتقى الجيشان عند نهر خازر من أرض الجزيرة، وبدأت حرب ضروس بين فريقين يبلغ أحدهما ضعف الثاني^(٤).

غير أن ابن الأشر بفضل مهارته وبسالته، وذكائه المنقطع النظير، إضافة إلى تخلي القيسية الذين نكبوا بوقعة مرج راهط عن أهل الشام استطاع أن يبدد ذلك الجيش، ويقتل بنفسه عبيد الله بن زياد كما قتل الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع ويستولي على عسكرهم برمته^(٥) وبذلك سجل المختار أروع الانتصار. ورغم أنه استطاع أن ينال رضا العلويين الذين سرّهم مقتل عبيد الله بن زياد وقتلة الحسين، إلا أن الشيعة العرب لم يكونوا واثقين به. مما اضطره أخيراً أن ينحاز إلى الموالي، وإلى البقية من العرب الذين لم يحل التعصب دون وقوفهم إلى جانبه.

ولم يهدأ المختار ويستقر به مقامه بالكوفة، رغم انتصاره الساحق على الأمويين. إن الخطر جاءه هذه المرة من جانب البصرة التي يتولى مصعب ابن الزبير أمرها من قبل أخيه. وقد بدأ أشراف الكوفة الملتجئين إليه يحرصونه على قتال

(١). تاريخ الطبري ٥٥/٦.

(٢). الخوارج والشيعة ص ٢١٣.

(٣). البداية والنهاية ٢٧٨/٨.

(٤). وفي البداية والنهاية ٢٩٠/٨ إن جيش الشام كان عشرة اضعاف جيش ابن الأشر. انظر الأخبار الطوال ص ٢٩٣.

(٥). انظر الأخبار الطوال ص ٢٩٣، وتاريخ الطبري ٨٦/٦، واليعقوبي ٦/٣ والبداية والنهاية ٢٩٠/٨.

المختار^(١)، وكانت قوات مصعب تقاتل الخوارج ظاهر المدينة بقيادة المهلب بن أبي صفرة، ولم يكذب يفرغ المهلب من قتال الخوارج حتى وجهه مصعب إلى الكوفة. التي خرج جيشها إلى المذار على دجلة، حيث التقى مع جيش البصرة بحرب عنيفة هُزم فيها الكوفيون رغم بسالة الموالي الذين تخلى عنهم إخوانهم العرب من بجيلة وختعم^(٢) ولقى الموالي الذين يقاتلون راجلين حملة مسعورة من الكوفيين اللاجئين إلى البصرة.

ولقد زعزعت هذه الهزيمة موقف المختار في الكوفة، ولكنه بدا أكثر تصميمًا وعزمًا، فذهب حتى نزل السيلحين، وسكّر الفرات على مجتمع الأنهار. فذهب ماء الفرات كله إليها وبقيت سفن أهل البصرة في الطين، فخرجوا من السفن يمشون، وأقبلت خيلهم حتى أتت ذلك السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة، وجاء المهلب من الأنبار، فالتقى بالمختار وأصحابه في حروراء، واشتد القتال فسقط محمد بن الأشعث قتيلاً. بيد أن المهلب تنحى برجال عشيرته، ولم يعد إلى مصعب حين طلبه، حتى إذا سنّحت له الفرصة اقتحم بهم ساحة المعركة فرجحت به كفة جيش البصرة^(٣). واضطر المختار الذي قاتل طوال الليل بشجاعة أن ينسحب إلى الكوفة، وتبعه مصعب فحصره في القصر.

فكان المختار يخرج من القصر ويقاتل في أزقة الكوفة أربعة أشهر^(٤) ولكن الحصار اشتد عليه. وبدأ يفقد هيئته، ولم يبق معه سوى نفر يسير إذ تسلل أكثر جنوده إلى أسرهم^(٥) ورأى أن يشق طريقه بمن معه بالقوة، إلا أن جنده أبوا عليه ذلك. وفضلوا أن يركنوا إلى الأمان الذي أعطاه مصعب لمن يسلم نفسه، عندها خرج المختار في تسعة عشر رجلاً يضارب بسيفه حتى قتل في الرابع عشر من

(١). تاريخ الطبري ٩٤/٦.

(٢). الخوارج والشيعة ص ٢٢٧.

(٣). تاريخ الطبري ١٠٠/٦.

(٤). تاريخ الطبري ١٠١/٦.

(٥). الخوارج والشيعة ٢٣٠.

رمضان سنة سبع وستون ، وكان عمره سبعاً وستون سنة^(١).

أما مصعب فقد أمر بذبح الأسرى الذين أعطاهم الأمان ، وعددهم سبعة آلاف^(٢) ولم تقف قسوته عند حد حتى أمر بقتل زوجة المختار عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري التي عرض عليها البراءة منه ، فرفضت وأثنت عليه ، وقالت أنه عبد من عباد الله الصالحين^(٣) وفيها يقول لشاعر:

إن من أعظم العظائم عندي قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلاً عل غير ذنب إن لله درهما من قتل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول^(٤)

ورثاها سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بقصيدة أولها:

أتى راكبٌ بالأمر ذي النبأ العجب بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب^(٥).

وهكذا انتهت حياة المختار . وانطفأت ثورته التي أشعلها مقتل الحسين .

ولعل من أسباب فشله إبعاد إبراهيم بن الأشتر . وإبقائه في الموصل . التي لم يعد

الأمويون يشكلون أي خطر عليها^(٦) . . لقد كان المختار غير واثق من إبراهيم فيما

يبدو ويرى أن إخلاصه مشوب بالحذر والتردد . ولكن مكانه على رأس جيش

المختار كان ضرورياً . إذ لم يكن جند الكوفة دون أهل البصرة عدة وشجاعة ،

ولكن كان يعوزهم القائد الذي يستطيع أن ينقلهم إلى مواطن النصر

والغلبة ، ولاشك فإن خيانة القبائل العربية ، زعزعت صفوف الجيش الكوفي

وأوهنته أمام ضربات أعدائه الشديدة . أما إبراهيم فقد انحاز إلى مصعب بن

(١). تاريخ الطبري ١١١/٦ .

(٢). تاريخ الطبري ١١٣/٦ ، اليعقوبي ١٧٣ .

(٣). الطبري ١١٢/٦ واليعقوبي ١١/٣ وروح الذهب ٧٧/٢ وسوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد . والأخبار الطوال ص ٣١٠ .

(٤). تاريخ الطبري ١١٣/٦ والأخبار الطوال ص ٣١٠ .

(٥) -

(٦). انظر: المختار الثقفي ص ٣١٧ .

الزبير، وأخلص له حتى قتل معه^(١).

لقد تركت حركة المختار آثاراً ليس من السهل تجاوزها. ولعل أهمها على الصعيد الاجتماعي. أنها ساوت بين العرب الذين يكونون الطبقة المتميزة مع الموالي المسلمين الجدد من غير العرب الذين لم يرض لهم العرب ما منحهم الإسلام من حق في الحياة الكريمة. ولقد كان الأمويين بتأثير من عصبيتهم العربية يحتقرون هؤلاء وينظرون إليهم بازدراء، وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب بل ولم يسقطوا عنهم الجزية عندما أسلموا، على أن المختار تنكّب عن هذا الخط المعهود. فساواهم في العطاء مع العرب، وجعل منهم عماد جيشه وحرسه، إلا أنه بسيرته تلك قد أيقظ في نفوسهم آمالاً كبيرة عملوا جاهدين على تحقيقها ومنحهم حقوقاً سياسية واجتماعية حرصوا على الاحتفاظ بها دائماً^(٢) على أن أهم ما أضفت حركة المختار على الحزب الشيعي، أنها أكسبت التشيع ثوباً جديداً كما يعبر فلهون^(٣) فعندما كان الشيعة في الكوفة حزباً سياسياً يحمل لواء المعارضة ضد سلطان الشام ويستظل بالولاء لأهل البيت، أصبح الآن مذهباً دينياً يحمل أفكاراً فيها شيء من تعقيد، وينطوي على التواء لم يعرفه منهم الإسلام الصريح. ولعلّ مرد ذلك إلى الحرية التي نالها الموالي والتي مكنتهم من إبداء ما ورثوه من معتقد اختلط مع ماداخلهم من الدين الجديد، حتى انتهى كل ذلك إلى مذهب ديني فيه شيء من تنظيم، ذلك هو مذهب (الكيسانية) الذي تركز أولاً على إدعاء المختار بأن محمد بن علي، هو المهدي المنتظر وبه تنتهي الإمامة^(٤) ويبدو أن المذهب الكيساني لاقى شيئاً من الانتشار والذيع، حتى نجد أحد الشعراء المعروفين وهو كثير عزة يذكره في أبيات مشهورة نقلتها

(١). تاريخ الطبري ١١١/٦ و١٥٨.

(٢). المختار الثقفي ص ٣٢٦.

(٣). الخوارج والشيعة ص ٢٣٨.

(٤). النوبختي: فرق الشيعة ص ٤٨.

المذاهب والملل وهي :

الأ أن الأئمة مسن قريش
علي والثلاثة من بنيه
ولاة الحق أربعة سواء
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط غيته كبرلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء كما نسب إلى هذا المذهب شاعر مشهور هو السيد الحميري ، ويبدو أن الكيسانيين الخوا في دعوتهم وأسرفوا في إدخال بعض الآراء الشاذة والغريبة في مذهبهم ، فقالوا أن محمد بن علي لم يميت ، وإنه اختفى عن الناس في جبل رضوي وإنه سيعود ليملاً الأرض عدلاً ، ثم عادوا حتى منحوه شيئاً من صفاء الله ، كما منحوه (صلاحية) بعث الأنبياء^(١) على أننا يجب أن لا نطمئن لكل ما نقل عن هذه المذاهب ، فإن أحداً لم يدع أنه اطلع على شيء من تراثها ، وقراءة سريعة لكتب الملل والنحل تعطي فكرة أنها تنقل أخباراً تناقلها الناس وتداولتها الأفواه في مجالس السمر ولا سند لها ولا وثيقة تؤيد ما نسب إليها . على أن اسم التشيع وسع أسماء كثيرة من هذه المذاهب التي تظهر وتختفي بين حين وآخر ، فقد درج المؤرخون على ضم كل ما يظهر من هذه المقولات إلى اسم التشيع الذي لم يشأ أي من أئمة الحقيقيين شيئاً منها . ومنذ عصر المختار ونحن نسمع أسماء لمذاهب شتى تدعي لهذا الألوهية ولذلك النبوة .

ولقد أكثر المؤرخون الحديث في تنبؤ المختار ، وإظهاره شعائر لا توصف إلا بالشعوذة التي يابها الإسلام ، ولا يقرها المسلمون ، وأني وإن كنت أشك في صحة أكثرها لاستبعاد قبولها أو الجرأة على الخوض فيها لقرب العهد بالإسلام ، ولقربه أيضاً من المسلمين الأولين الذين عرفوا الإسلام صريحاً وبعيداً كل البعد عن مثل هذه المقولات . غير أنني لا أستبعد احتمال وجود مثل هذه المظاهر في

(١) . هاشم معروف الحسيني : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص ٦٥ .

جيش المختار الذي ضمّ عناصراً قريبة العهد بديانات أخرى لم يتحولوا منها إلى الإسلام إلا منذ حين، ولربما أغضى المختار عنها مادامت تخدم سلطته، وتمكن من نفوذه، ثم يجب أن لا ننسى أنه أول من ادعى المهديّة لمحمد بن علي، على ما أكدته بعض المصادر، والذي مهّد لتركز هذا الادعاء لو صحّ منه موقف العلويين منه، فإن إنقاذه بمحمد بن علي والهاشميين من نقمة ابن الزبير، وانتصاره على خصومهم الأمويين وقتلة الحسين جعل الهاشميين والعلويين خاصة يتغاضون عما أنكروه عليه أولاً. بل أنهم أثنوا عليه، ودعوا له بالخير، حتى أن عبد الله بن عباس لام مصعباً، وقال في المختار: ذلك رجل قتل قتلنا، وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة^(١).

على أن عصر المختار كان بداية ظهور المذاهب الغربية في الإسلام، ومنذ عصره أيضاً بدأ اسم التشيع يتسع ليشمل عند كثير من الدارسين كل من تظاهر بولاء أهل البيت. والمختار نفسه لم يسلم من نسبة بعض هذه المذاهب إليه. فبعد الكيسانية نُسب إليه القول بالبداء الذي علّلت نشأته بأن المختار كان يخبر أصحابه بما سيحدث. فإن لم يكن يقول لهم (لقد بدا لربكم وعدل عما أخبرني به. ثم يتلو عليهم هذه الآية ((يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))^(٢) وتجاه ذلك يجب أن لا ننسى أن المختار كان يواجه خصمين، هما الأمويون والزييريون وفي عصر كثر فيه الدسّ وتراشق التُّهم، ويبدو أن المختار كان متهما بكل ذلك منذ ظهوره في الكوفة. ويذكر أن أحد الهاريين منه إلى مصعب أرسل إليه الأبيات التالية متهكماً، وأشاعها بين خصومه:

إلا أبلغ أبا اسحق أني	رأيت البلق دهماً مصمتات
أرى عيني مالماً ترأياها	كلانا عالم بالترهات

(١). الكامل ٣/٣٨٨، وأنساب الأشراف ٣/٢٨٧.

(٢). انظر: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص ٢٦٩، وفجر الإسلام لأحمد أمين.

كفرت بوحيكس وجعلت نذراً علي قتالكم حتى الممات^(١)
قلت أن عصر المختار كان بداية ظهور المذاهب الغربية والشاذة عن روح
الإسلام، وسواء أراد المختار ذلك أم لم يردده، فإن الظرف السياسي والاجتماعي
وذلك الاختلاط القوي بين العرب ومختلف الأمم قمين بالاتيان بكل غريب وغير
معهود، ففي حدود ذلك العصر ظهر القول بالقدر، الذي اعتبرته السلطة رداً
على القول (بالجبر) الذي بشرت به السلطة ومهدت له .

فعاقت عليه، وقتلت الداعين له، منهم عبد الملك بن معبد الجهني سنة
إحدى وثمانين^(٢)، وظهر مذهب المرجئة نتيجة لهذه الصراعات العنيفة والخلافات
المتوالية والمستمرة حتى لم يدر أي هؤلاء المتصاولين على حق، وأيهم على
الباطل، فأرجأت هذه الفرقة أمر المختلفين إلى يوم القيامة، ونجد في هذا المذهب
شعراً لعل أقدمه شعر ثابت قطنة المتوفى سنة ١١٠ هـ - ومنه .

يا هنذ فاستمعي لي إن سيرتنا أن نعبد الله لم نشرك به أحداً
نرجي الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عدلا^(٣)

والآيات تعطي فكرة واضحة عن هذا المذهب الذي قال فيه زيد بن علي بن
الحسين فيما بعد (إنه يطمع الفساق في عفو الله) والكثير من هذه المذاهب كانت
سياسية ثم أصبحت تبحث في أمور لاهوتية وتناقش في أمور الدين وتحديد
الإيمان والكفر وغير ذلك مما تمخضت عنه عملية المزج القوية في النظم والأخلاق
والآراء والعقائد بين الأمم الكثيرة التي ضمها الفتح الإسلامي، ذلك المزج الذي
أنتج منحى آخر في التفكير لا يلبث حتى يجد الظرف المساعد والجو المهيأ للانتشار
والذبوع^(٤) .

(١). الطبري ٥٥/٦ والبداية والنهاية ٢٧١/٨ والأخبار الطوال ص ٣٠٣ .

(٢). العبر في خبر من عبر ٩٢/١ .

(٣). الشعر ثابت قطنة، جمع وتحقيق ماجد احمد السامرائي ص ٣٩ .

(٤). فجر الإسلام ص ٨٤ وما بعدها .

العراق بعد المختار:

لم يترك المختار العراق لمصعب بن الزبير إلا مضطرباً أشد الاضطراب، تتنازعه شتى المذاهب، وتتجاذبه شتى الاتجاهات، فالخوارج الأشداء شغلوا الجيوش وأزعجوا الولاة. واستنزفوا من طاقتهم الكثير. والموالي وبقية أنصار المختار لم يزالوا مصدر قلق وخيفة يتوجسها الحاكمون، ويبدو أن ذلك أصاب مصعب بالوهن مما حدا بأخيه عبد الله بن الزبير على استبداله بولده حمزة^(١) إلا أن هذا لم يستطع أن يجمع اشتات العراقيين حوله، فأعيد مصعب سنة تسع وستين، ليلتق فيما بعد مع عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الحازم بدير الجاثليق في حرب هائلة لم تلبث حتى ظهر الفشل في جيش مصعب الموزع الاتجاهات والميول.



وقتل مصعب وهو يقول:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم *مركز تقيتكم* *أسسوا فسنوا للكرام التأسيا*^(٢)

ومن الجدير بالذكر أن الذي قتله شدّ عليه وهو يهتف: يا لثارات المختار^(٣).

كان مقتل مصعب سنة اثنين وسبعين هـ^(٤) ذلك العام الذي كان بداية

عودة العراق إلى حكم الأمويين، كما كان بداية النهاية لحكم عبد الله بن الزبير

الذي خسر - حين خسر العراق - مصدر المال والرجال، ولم يكن أمام عبد الملك

سوى الحجاز الذي أصبح أمره جدّ يسير، فجهز جيشاً يقوده الحجاج بن يوسف

الثقفي، فضرب الحصار حول مكة، ولم يزل يعالج ابن الزبير حتى قتله سنة

٧٢ هـ، وبذلك استوسق الأمر لعبد الملك بن مروان^(٥)

(١). تاريخ اليعقوبي ١١/٣.

(٢). تاريخ الطبري ١٥٦/٦.

(٣). الأغاني ١٢٦/١٩.

(٤). العبر في خبر من خبر ٨١/١.

وبذلك استوسق الأمر لعبد الملك بن مروان^(١)

أما الأمويون الذين أعياهم أمر العراق، فقد وجدوا أخيراً الرجل الذي يعرف كيف يأخذه إلى ما يريد، ذلك هو الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي طوَّح بابن الزبير ثم توجه إلى العراق أميراً سنة خمس وسبعين^(٢) وقد إفتتح ولايته بخطبة ترويهها كتب الأدب كما ترويهها كتب التاريخ، تلك الخطبة التي وضعتُ العراق أمام أمر شديد، وقد رُويت ضمن خبر طريف خلاصته، أن الحجاج حين أشرف على الكوفة ترك حاشيته ودخلها وحده على جمل بغير وطاء. وهو ينادي كلما مرَّ بمجلس من مجالس الكوفيين، : الصلاة جامعة، حتى دخل المسجد وصعد المنبر وهو بثياب السفر. متلثماً متكبباً قوساً، وجلس واضعاً إبهامه على فيه، وبدأ الكوفيون يدخلون المسجد، ولكل موال وأنصار يحيطون به، وقد استهان الكوفيون بهذا الجالس على المنبر الذي لا يكاد ينطق بشيء، وظنوا به الظنون، وكادوا أن يحصبوه، حتى إذا غص المسجد، حسر اللثام عن وجهه، ثم قام ونحى العمامة عن رأسه وهو يقول متمثلاً:

أنا ابن جلا وطلاع الثيا متى أضع العمامة تعرفوني
إني والله لأرى أبصاراً طامحةً، وأعناقاً متطاولة، قد أينعت وحنان قطافها
وإني أنا لصاحبها، كأني أنظر إلى الدماء تفرق بين العمائم واللحى.

هذا أوان الشدِّ فاشتدِّي زيم قد لفتها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبلى ولا غنم ولا بجزارٍ على ظهر وضم
وبعد أبيات تمثلها كهذه قال:

إن أمير المؤمنين نثر كناته، فوجدني أمرها طعماً، وأحدها سناناً، وأقواها
قداحاً. فإن تستقيموا تستقم لكم الأمور وإن تأخذوا في بنيات الطريق، تجدوني

(١). العبر ١/٨٢.

(٢). العبر ١/٨٥.

لكل مرصد مرصداً، والله لا أقبل عثرة، ولا أقبل منكم عذرة.
يا أهل العراق. يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق. والله ما أغمز
كتغماز التين؛ ولا يقعق لي بالشنان، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة،
والله لأخونكم لحو العود، ولأعصبنكم عصب السملة، ولأضربنكم ضرب
غرائب الإبل، ولأقرعنكم قرع المروة... إلى كلام كهذا انتهى إلى توجيههم إلى
المهلب بن أبي صفرة لحرب الخوارج^(١).

على أن الحجاج اعتوره الخوارج الأشداء بحرب ضروس كادت أن تعصف
به، ولم يكد ينتهي منهم حتى عاد إلى العراقيين يجهزهم إلى أقصى ما تصل إليه
الجيوش ومن المحتمل أن الحجاج لم يكن له هدف سوى إبعاد العراقيين والإمعان
في إذلالهم، ففي سنة تسع وسبعين أرسل جيشاً لغزو رتبيل وكان مصالحيًا^(٢)، إلا
أن الجيش تبدد بين الشعاب وتحت غارات الترك العنيفة^(٣)، فجهز الحجاج من
العراقيين جيشاً ضخماً، جعل على رأسه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث،
وليس في العراق رجل أبغض منه إلى الحجاج^(٤)، غير أن رتبيل كتب معتدراً عما
أصاب المسلمين وعرض الصلح والخراج^(٥)، بيد أن ذلك لم يقبل منه وبدأ
العراقيون يتوغلون في بلاده وهو يترك لهم الأرض حصناً حصناً، ويجمع إليه
جنده، ويبدو أن ابن الأشعث شعر بمغبة الاستمرار، وخشي أن يقع في الفخ
الذي وقع به سلفه.

فاكتفى بما ناله ورأى أن يستقر عامه هذا حتى يعرف جنده طرق ما افتتحوا
ثم يعاودوا المسير في عامهم التالي، وكتب بذلك إلى الحجاج الذي ردّ عليه بعنف
وأمره أن يتابع المسير ويُبعد في التوغل، مما جعل ابن الأشعث يشك في نوايا

(١). مروج الذهب ٢/٩٩.

(٢). تاريخ الطبري ٦/٣٢٢.

(٣). تاريخ الطبري ٦/٣٢٣ والبدء والتاريخ ٨/٣٤.

(٤). تاريخ الطبري ٦/٣٢٨.

(٥). تاريخ الطبري ٦/٣٣٦.

الحجاج ، ولم يلبث حتى صارح جيشه الذي كان متحفزاً للثورة ، وقد قال أحدهم : (أن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم ، فيحكمكم بلاداً كثيرة اللهب واللسوب فإن ظفرتم فغنتمم أكل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم . كتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عتتهم ولا يبقى عليهم) . وقال آخر : (إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود)^(١)

وهذا الكلام يعطينا بوضوح تصور العراقيين لطبيعة هذه البعث ، وما يخامرهم من نوايا الحجاج تجاههم . . وهكذا عاد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بجيشه الكثيف الذي ضمّ كثيراً من الفقهاء والقراء وأهل الورع والتقوى ، إضافة إلى الموالي المتحفزين ، ونحرك الحجاج أيضاً بجيشه الشامي إلى البصرة حيث التقى الجيشان بحرب ضروس استمرت سجالاتاً بين الفريقين ، ثم كادت أن تعصف بالحجاج^(٢) حتى كتب إلى عبد الملك الخليفة الأموي : (أما بعد : فيا غوثاه . ثم يا غوثاه . ثم يا غوثاه)^(٣) ولم يلبث حتى وافته جيوش الشام التي اشتبكت مع العراقيين في وقائع كثيرة انتهت أخيراً بهزيمة ابن الأشعث والعراقيين . أما الحجاج فقد انتقم من العراقيين بقسوة هالت الخليفة الأموي نفسه^(٤) ، وحاول أن يتخلص من الموالي ثانية فأعادهم إلى قراهم ومواطنهم الأولى ، وختم على يد كل واحد منهم اسمه واسم قريته ، ولم يعفهم من الضرائب التي اسقطها الإسلام عن الأراضي التي أسلم أهلها .

ولم يتنفس العراقيون الصعداء طويلاً بعد الحجاج سنة ٩٥هـ — فإن يزيد بن المهلب خصم الحجاج الألد (لم يسلك في الحكم طريقاً غير طريق الحجاج ، فهو

(١) . تاريخ الطبري ٣٣٦/٦ .

(٢) . انظر: تاريخ الطبري ٣٤١/٦ وما بعدها .

(٣) . تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٤ .

(٤) . مروج الذهب ١٠٣/٢ .

أقام مثله في واسط، واستبقى أهل الشام بالعراق. ووَجَدَ أنه لا يستطيع أن يغير شيئاً من نظام الضرائب التي بَغِضَتْ الحجاج للعرب، إذ كان لابد أن يبقى دخل الدولة في المستوى العالي الذي كان عليه^(١) أما الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي (كان يظهر العطف على معارضة العراق للحجاج)^(٢) فقد حاول أن يزيل أعباء الحجاج عن كاهلهم، ولولا عاطفة الانتقام من المضربين الذين أزروا أخاه الوليد على خلعه، لما ترك سوى الأثر المحمود، أما حاكم العراق الجديد يزيد بن المهلب فقد وجد في سيرة الخليفة سليمان دافعاً قوياً لصب جام غضبه على خصومه المضربين، بيد أن من أكبر محاسن سليمان، أنه جعل عمر بن عبد العزيز خلفاً له، وكان عمر رجلاً صالحاً بحق، أراد أن يشيع بين الناس روح الإسلام وسماحته ومبادئه في العدل والمساواة. كما أراد أن يجمع حوله قوى المعارضة.

فقرّب إليه العلويين، ومنع شتم عليّ على المنابر، وفيه يقول الشاعر:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف
برياً ولم تسمع مقالة مجرم^(٣)

ووقف مع الخوارج موقفاً لم تخالطه شدة، فناظرهم في آرائهم بهدوء. مما

جعلهم يغمدون السيوف، ويلتزمون جانب الهدوء مدة خلافته^(٤) كما أصلح

شأن المال بالطريقة التي أقرها الإسلام، فرفع الجزية عن أراضي أولئك الذين

اسلموا حديثاً^(٥) بعد أن استبدل الولاة الظالمين بأخرين يستهدون طريقته^(٦) في

الحكم، ولم يكن عمر ميالاً إلى الفتوح ولا راغباً في حروبها^(٧) لأنه يعلم أنه لم

يرد بها إلا الغنائم والأموال، على أن حكمه لم يدم طويلاً، فسرعان ما توفي،

(١). تاريخ الدولة الإسلامية ص ٢٥٤.

(٢). تاريخ الدولة الإسلامية ص ٢٥٦.

(٣). الفخري في الأحكام السلطانية ص ٩٤.

(٤). مروج الذهب ٢/١٤٨. ١٥١.

(٥). تاريخ الطبري ٦/٥٥٩، تاريخ اليعقوبي ٣/٥٠.

(٦). تاريخ الطبري ٦/٥٥٣.

(٧). تاريخ اليعقوبي ٣/٥٤.

الحكم يزيد بن عبد الملك في رجب سنة ١٠١ هـ^(١) فعزل عمال عمر بن عبد العزيز جميعاً، وفي العراق احتل يزيد بن المهلب الذي هرب من سجن عمر بن عبد العزيز البصرة بقومه اليميين وهزم جيش الأمويين وأسر قائده عدي بن أرطاة^(٢) ويبدو أن ثورة العراقيين هذه كانت أول ردة فعل على سياسة السلطة بعد عمر بن عبد العزيز، ويبدو كذلك أن ابن المهلب عرف مبعث المعارضة لديهم فقال لهم:

(يا أهل العراق . . إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة قد زبئت لها الأشداق . وقاموا لها عن ساق ، وهم غير تاركها بالمرء والجدل ، فالبسوا لهم جلود النمر)^(٣) بيد أن العراقيين لم يلبثوا حتى هُزموا، وقتل قائدهم على أيدي جيوش الشام التي تابعت عليهم . ونكلت بهم ثم بالأزد تنكيلاً أثار السخط والحفاظ^(٤) . مما كان له أسوأ الأثر على دولة بني أمية التي ما فتئت تلتزم جانب قبيلة على أخرى . وتثير العصبية حتى ردت الناس إلى صراع قبلي لم يشهد له مثيل حتى في عصر الجاهلية .

العلويون بعد الحسين:

كان محمد بن الحنفية من أبرز أفراد البيت العلوي بعد الحسين ، وهو أحد أبناء الإمام علي من غير فاطمة .
أمه امرأة من بني حنيفة ، وعليه غلب اسمها^(٥) . وكان حامل لواء الإمام علي (عليه السلام) يوم الجمل ، وأبدى شجاعة وإقداماً في تلك الحرب رغم

(١). تاريخ اليعقوبي ٥٤/٣ .

(٢). تاريخ اليعقوبي ٥٤/٣ و٥٤/٣ .

(٣). البيان والتبيين ٤١٠/١ .

(٤). تاريخ الطبري ٥٩٩/٦ .

(٥). ابن قتيبة: المعارف ص ٢١٠ .

حادثة سنه (وتدل الروايات على أن الانظار اتجهت إليه بعد مقتل الحسين)^(١) وقد تخرج موقفه أبان ثورة المدينة وحركة ابن الزبير^(٢). وتتحدث بعض المصادر أن المختار اجتمع به حين ترك مكة وتوجه إلى الكوفة^(٣). وهناك ما دل على أن محمداً كان يحمل بين جنبيه طموحاً ورغائب لم يجد الوقت المناسب لإظهاره، غير أنه حاول أن يستغل المختار لحسابه، كما حاول المختار أن يستغله لمصلحته، وقد تمخض عن تلك العلاقة الحركة الكيسانية التي كانت ترى في محمد الإمامة بعد الحسين، واتخذت الاسلوب السري في دعوتها (والظاهر أن هذه النكبات التي نزلت متتالية في بيت الإمام علي بن أبي طالب دعت أكثر أتباعهم إلى التفكير في إيجاد تكتل سري منظم يعمل على نفس سلطان بني أمية من قواعده، وتدل الروايات على أن الأنظار اتجهت بعد مقتل الحسين إلى أخيه من أبيه محمد بن الحنفية أكبر أولاد الإمام سنأ)^(٤) كما تدل الأحداث على أن محمد أراد أن يستغل هذا التحول ويمنحه شيئاً من التنظيم، بيد أن الغموض يكتنف حركاته بعد المختار، كما اكتنف بعض الشيء حركات الشيعة الذين اتجهوا إلى الدعوة السرية. ووضعوا مبدأ التقية الذي يبيح الاختفاء وكتمان ما تكنه الصدور. غير أن محمد توفي سنة إحدى وثمانين أو اثنتين وثمانين^(٥) فخلفه ولده أبو هاشم في توجيه مريديه، وبذلك تفرعت عن الكيسانية الفرقة الهاشمية التي ترى أن الإمامة انتقلت إلى أبي هاشم من أبيه^(٦)، وبذلك افرقت عن الكيسانية التي ترى أن محمداً حي لم يميت وأنه سيظهر فيملاً الأرض عدلاً^(٧). واستطاع أبو هاشم

(١). الجوهري: هارون الرشيد ١٨/١.

(٢) - انظر: أنساب الأشراف ٢٧٦/٣ وما بعدها، وتاريخ الطبري ٧٥/٦.

(٣). طبقات بن سعد ٧١/٥.

(٤). هارون الرشيد ١٨/١.

(٥). العبر في خبر من عبر ٩٣/١.

(٦). الملل والنحل ٥٠/١ و فرق الشيعة ص ٥٢.

(٧). انظر: فرق الشيعة ص ٤٧.

بفضل مهارة وذكاء يمتلكهما أن يتقدم بالدعوة السرية اشواطاً حتى أصبحت فرقته من أمهر الناس في الدعوات السرية وأكثرها دهاء ومكراً. وأشدّها خطراً على الدولة. وكان ارتباط هذه الدعوات بأحد العلويين يولد دائماً الإحساس بالخطر لدى الحاكّمين، (فالسّياسيّ إذا نظر إلى العلويين رأهم أما ثواراً أن ظهروا أو متأمّرين على قلب الدولة إن اختفوا)^(١) ولعلّ الأمويين شعروا ما لأبي هاشم من خطر. ومن طموح سياسي وأن شيعته يدعون إليه ويزعمون أنه إمام. ويبدو أن الإحساس بخطر هذا الرجل هو الذي دفع الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك إلى قتله غدراً بالسّم حين وفد إليه^(٢) وحين أحس أبو هاشم بالموت عرج على الحميمة (قرية قرب معان) ودعا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فعرفه حاله، وصرف إليه شيعته ودعاته، وأعطاه ما لديه من كتب، كما أفضى إليه بأسراره وتعليماته^(٣) ولئن صح ذلك فإنّ أبا هاشم سيكون واضع أسس الدعوة العباسية، ولعلّ اتجاه أبي هاشم إلى العباسيين كان نتيجة لظروفه وخشية أن يموت دون أن يتولى أمر الناس داع يجمعهم إليه. ويكمل بهم المسير. أو أنه لم يجد بين العلويين من يحمل طموحاً سياسياً وتطلّعاً للحكم. (وربما لم يكن بينهم من يستطيع تحمل هذه المسؤولية الخطيرة المحتاجة إلى الكفاءة والجهود)^(٤) وليس من المستبعد أن يختلق العباسيون تلك الروايات ليحملوا أنصار أبي هاشم إليهم، وليضفوا على خلافتهم. فيما بعد. الصفة الشرعية. . ويبدو كذلك أن آخرين من غير العباسيين حاولوا أن يحتوا هذا التنظيم. يبدو ذلك من خلال افتراق هذا التنظيم إلى فرق عديدة. تدعو كل واحدة منها إلى إمام. إذ عدلها بعضهم عن العباسيين إلى الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية^(٥) كما عدل بها آخرون إلى

(١). أدب الشيعة ص ٢٣.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٨٥.

(٣). فرق الشيعة ص ٥٤.

(٤). تاريخ الإسلام الديني والسياسي ٢/٢١.

(٥). الملل والنحل ١/٥١.

علي بن محمد أخى أبي هاشم^(١) وفرقة قالت: أن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو وابن حرب الكندي، وأن الإمامة خرجت من أبي هاشم إلى عبد الله وتحولت روح أبي هاشم إليه، والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة، فاطلع بعض القوم على خيائته وكذبه، فأعرضوا عنه، وقالوا بإمامة عبد الله معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٢) وكان لكل من هذه الفرق اسم تسمت به^(٣) ويبدو أن فرقا كثيرة كهذه تفرعت عن الهاشمية، أوجدها ذوو الطموح والطلاب. غير أن عبد الله بن معاوية فيما يبدو كان أكبرهم طموحا وأقدرهم على العمل، وقد استطاع أن ينال بعض النجاح ويستولي على أصفهان. ولكن في الوقت الذي بدأت تشتد به شوكة العباسيين في خراسان وغيرها. وقد أوجسوا خيفة من طموحه بعد أن هزمته جيوش الأمويين، فألقى أبو مسلم الخراساني قائد ثورة العباسيين القبض عليه ثم قتله^(٤).

وحين نعود إلى بقية العلويين في المدينة المنورة نجدهم بمنأى عن الطموح السياسي والتطلع إلى الثورة والصراع، فعلي بن الحسين (زين العابدين) الذي رأيناه من قبل ينفذ يده من ثورة المدينة وحركة المختار، يتجه إلى العبادة، وحاجات الناس من علم ومال، يبحث عن طالبيه. فيسد حاجتهم بما اندمج عليه عقله وما ملكت يده، بصمت وبغير فخر وادعاء. بيد أن زهده في عرش السلطة عقد له عرش القلوب. فقد أصبح ذا مركز كريم عند الناس، ينظرون إليه بتجلة واحترام، وتروي كتب التاريخ وكتب الأدب حادثة لها دلالة كبيرة على تمكن هيئته من القلوب والأنظار، وهي: أن هشاما بن عبد الملك حج وهو ولى للعهد، وطاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود، فلم يقدر على ذلك لكثرة

(١). الملل والنحل ٥١/١.

(٢). الملل والنحل ١/١٥١.

(٣). أبو حنيفة الرازي: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ص ٢٩٧ وما بعد، وانظر: فرقة الشيعة ص ٤٤.

(٤). الأغاني ١١/١٣٥.

الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام علي زين العابدين (عليه السلام)، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس احتراماً، حتى استلم الحجر، فقال واحد من الشاميين لهشام: من هذا الذي هابه الناس كل هذه الهيبة، فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه من معه.

وقيل أن هشاماً هو الذي تساءل عنه استتصغارا له، وكان الفرزدق الشاعر المشهور حاضراً، فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأشدد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا ابن فاطمة أن كنت جاهله
وليس قولك من هذا بضائره
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقي الطاهر العلم
بجده أنبياء الله قد ختموا
العرب تعرف من أنكرت والعجم
إلى آخر القصيدة^(١)

وكذلك كان ولده محمد الباقر، فقد اتجه إلى العلم، وتفرغ له، فكان من أحسن طلابه كما كان من خيرة أساتذته.

ولم يزل ذلك دأبه حتى شب ابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق الذي مكن لمدرسته العلمية في المدينة والعراق من الرسوخ.

وقد كان طلابه يعدون بالآلاف، وفيهم أكثر فقهاء ذلك العصر وعلمائهم، على أن اتجه العلويين هذا لم يجعلهم بمنجاة من مطالبة العراقيين بالاتجاه معهم للصراع مع السلطة الحاكمة. وفي بعض مصادر التاريخ أن عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث الذي قاد العراقيين في ثورة عنيفة ضد الأمويين. دعا إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وبايعه فلما قتل عبد الرحمن توارى

(١). الأغاني ٣٧٦/٢١ وديوان الفرزدق ص ٢٠٥.

الحسن، حتى دس إليه الأمويون السم سنة سبع وتسعين حين علموا ذلك منه^(١) كما أن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كتب إلى زيد بن علي وهو يتأهب للوثوب: أن العراقيين كتبوا له يدعونه للوثوب بهم، يعدونه النصر والبيعة فلم يجبههم إلى دعوتهم خشية غدرهم ومخافة خذلانهم^(٢) ولم يزل دأب العراقيين هذا حتى جاء دور زيد بن علي بن الحسين. الذي أخرجه جور الأمويين وغرته دعوات العراقيين. وقد كان زيد من أبرز أعلام البيت العلوي علما وشجاعة ومروءة.

أما الأمويون فقد وجدوا سبيلا لتفريق شمل العلويين، وإثارة الخصومة والنزاع بينهم، ذلك السبيل هو صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وموضوعها: أن رسول الله أورث ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) أراض كانت له. وقد أوصت فاطمة بها لزوجها الإمام علي (عليه السلام)، ويقوم بتفريقها على الفقراء، ثم لأبنائها يتولى أمورها الأكبر منهم، إلا أن عمر أحد أبناء الإمام علي من غير فاطمة، نازع الحسن بن الحسن (المتوفى عام ٩٠ هـ) وحاول انتزاع تلك الصدقات لنفسه.

ويبدو أن الحجاج بن يوسف كان أميرا على الحجاز أول من حاول إثارة النزاع، وغذاء الأمويون، حتى أثير أخيرا بين أبناء الحسن وأبناء الحسين (عليهم السلام). وقد أراده هشام وسيلة للنيل من زيد بن علي الذي مثل أبناء الحسين، والذي بدأ طموحه يشكل خطرا على الدولة، ومثارا للعراقيين الذين يبحثون عن رجل مثله يستقدمونه إلى العراق مركز الاضطرابات والمشاكل^(٣).

(١). عمدة الطالب ص ١٠٠ وانظر: الحسينيون في التاريخ ١٧/١ وما بعدها. ويبدو أن الحسن بن الحسن نفسه كان يتطلع إلى الثورة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٥/٤ والحدائق الوردية ١/٢٧٤.

(٢). تاريخ الطبري ١٦٩/٧ والكامل في الأدب للمبرد ص ٢٤٣.

(٣). انظر: تفاصيل موضوع الصدقات في كتاب (ثورة زيد بن علي) للأستاذ ناجي حسن ص ٤٩ وما بعدها.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب
رسول

الفصل الخامس

ثورة يزيد بن علي بن الحسين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ثورة زيد بن علي بن الحسين

وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من شخصيات البيت العلوي المهمة والرفيعة، وقد خلفت ثورته آثارا مهمة وواضحة في تاريخ الدولة الأموية وما بعدها، فقد تمخضت عن الفرقة الزيدية التي كانت منطلقا لكثير من الثورات التي حدثت في العصر العباسي (وغدا اسم الزيدية باعشا على القلق في نفوس الحاكمين^(١)).

ولد زيد بن علي في سنة ٨٠هـ^(٢) بالمدينة المنورة وسط جو صاخب بالأحداث والخطوب، وفي مسرح لخصومات سياسية متوالية لم يكن بعيدا عنها بل كان يرقبها عن كثب كما يبدو من سيرته، حتى تولد في نفسه شعور صريح بوجوب التغيير ووضع الأمور حيث يجب لها أن تكون، ولاشك في أن تلك الأحداث التي مرت بها الدولة الإسلامية كانت دافعا لتحرك أصحاب الهمم العالية. أمثال زيد. وفي سيرته نجد أنه كان يعد نفسه لأمر عظيم، ويجمع لها (ما تحتاج إليه الأمة في دينها مما لا بد منه ولا يفتقر عنه)^(٣) وقد يسرت له بيئة المدينة ما كان يطلب من علم، كما يسر له بيته ما كان يرغب لنفسه من فضل. فالمدينة كانت مركزا لحركة عليمة واسعة وعريقة.

وبيته لم في باحاته العلم والفضل، وقد وجد في أبيه علي بن الحسين (عليه السلام) معينات من علوم القرآن والفقه، كما أن أخاه الباقر نهج على سنة أبيه في التفرغ من أمور السياسة، فنزع نفسه من خضمها انتزاعا، وتجرد لطلب العلم

(١). ناجي حسن: ثورة زيد بن علي ص ١٥٨.

(٢). لم يذكر المؤرخون هذه السنة في تاريخ ولادته ففي تهذيب ابن عساكر أنه ولد سنة ٧٨هـ (تهذيب ابن عساكر ١٥/٦) وفي الحدائق الوردية أنه ولد سنة ٧٥هـ، غير أن الأستاذ ناجي حسن استنتج من إجماع المؤرخين على أن وفاته كانت سنة ١٢٢هـ وأنه بلغ من العمر ٤٢ سنة استنتج سنة ٨٠هـ أقرب التواريخ إلى سنة ولادته.

(٣). خطط المقريري ١١٠/٢.

وتلقيه حتى أصبح كآبيه علما لا يطاوله أحد في أي من ميادين العلم المعروفة آنذاك .
وكذلك تلقى زيد الحديث من آخرين ، تجردوا لجمعه والتحري عن مضانه . واتصل به
المعتزلة الذين التقوا بالزيدية فيما بعد في مواطن متعددة ولعل لأرائهم في حرية
الاختيار مدد قوي لعنفوان الزيدية ، وهكذا ملأ زيد برديه علما وفضلا وشجاعة إضافة
لخلق موروث ، قال فيه الإمام الصادق (عليه السلام) : (كان والله أقرأنا لكتاب الله .
وأفقهنا في دين الله ، وأوصلنا للرحم . والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله)^(١) .

وقد عده الجاحظ من خطباء بني هاشم^(٢) كما عده آخرون ، (من المتكلمين
والزهاد والشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسة)^(٣) .

لم زيد لنفسه هذه الخلائق . ثم وضعها في مسلك لا ينتهي إلا بالثورة . وقد
بدأت نزعتة الثورية تظهر فيما يقول وفيما يتمثل . كما بدت للمتبع مدارج حياته جليلة
وواضحة . ذكر أحدهم انه دخل عليه في المدينة فسمعه يتمثل :

ومن يطلب المسال المنع بالقنا
يعش ماجدا أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصار ما
وأنا حميسا تجتنبك المحارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذايال همدان ظالم^(٤)

وقد ذكر عنه أنه كثيرا ما كان ينشد :

شرده الخوف وأزرى به
منخرق الكفين يشكو الوجى
كذلك من يكره حر الجلال
قد كان في الموت له راحة
تنكبه أطراف مرو شداد
والموت حتم في رقاب العباد^(٥)

وهذا حديث رجل يطلب أمرا لا تتناوله الأيدي إلا برماح وسيوف .

(١) . تاريخ الطبري ١٨١/٧ .

(٢) . البيان والتبيين ٣٠٩/١ .

(٣) . خطط المقرئ ٤٤٠/٢ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٨٩ .

(٥) . البيان والتبيين ٣١١/١ .

ظهور زيد:

واختلف المؤرخون في سبب ظهور زيد، فمن قائل أنه وفد على هشام بن عبد الملك فرغ شدينا وحوائح، فلم يقضها له، وأسمعه كلاما شديدا فخرج وهو مغضب ويقول: ما أحب الحياة أحد إلا ذل. ثم مضى فكان وجهه الكوفة^(١) وقيل بل أن خالدا القسري أو ابنه يزيد ادعى مالا له قبل زيد وآخرين فكتب فيهم يوسف بن عمر - الذي قبض على خالد عندما حل محله في ولاية العراق - إلى الخليفة هشام. وزيد يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن في صدقات الرسول، فبعث بهم الخليفة إلى يوسف في الكوفة^(٢) وقيل أنه قدم على الخليفة يرفع له نزاعه مع بني الحسن ذلك النزاع الذي استغله أمير المدينة لإثارة الخلاف بين العلويين، فأسمعه الخليفة، ما أحفظه وأثاره. فعزم على الخروج^(٣)، ومهما اختلف المؤرخون فإننا نستطيع أن نستخلص مما ذكر أن زيدا قدم على الخليفة ليرفع له أمر النزاع في صدقات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله). ومحاولة أمير المدينة الذي أراد أن يحول هذا النزاع إلى غرض آخر لحاجة في نفسه. فسيره الخليفة إلى العراق بدعوى أن أمير العراق المخلوع أودع عنده مالا، وسواء صح زعمنا أو لم يصح، فإننا يجب ألا نرى سوى (أن زيدا أعد نفسه للخلافة واستجمع لها الشروط التي يراها لازمة لحمل هذا العبء من عدالة وعلم وشجاعة، ولم يبق إلا أن يطالب بها، فانتظر الفرصة التي تسمح بذلك^(٤) فكانت واحدة من تلك الأحداث أثارت ما بنفسه، وأعجلته بأمره، ولم يرفي

(١). طبقات ابن سعد ٣١١/١.

(٢). تاريخ الطبري ١٦٠/٧، ومقاتل الطالبين ص ٩١ وكامل ابن الأثير ٢٤٠/٢.

(٣). تاريخ الطبري ١٦٥/٧ وكامل ابن الأثير ٢٤١/٤ وشرح نهج البلاغة ٢٨٧/٣.

(٤). التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٢٠٦/٢.

التريث غير الذل والصغار، ويجب ألا نذهب في ذلك مع الأستاذ محمد أبو
زهرة الذي استخلص من تلك الأحداث بين زيد والسلطة الأموية: أن زيدا ثار
لأنه أودى في كرامته ومروءته، وأخرج فخرج إباء وانتصارا لكرامته وليس لشيء
آخر^(١).

إن الانتصار لكرامته كان بعضا من دوافع الثورة لديه. وليس كما يرى
الأستاذ أبو زهرة، يقول أحد الرواة: (أن زيدا لما رأى الأرض قد طبقت جورا،
ورأى قلة الأعوان، وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميثاق لديه)^(٢). ومما
لا شك فيه أن لدى الحكومة الأموية في الشام صورة من طموحه وتطلعه للإصلاح
والتغيير، لشيوع ذلك بين فئات شتى من الناس، بل أن بعضهم ذكر أن زيدا دخل
المسجد في المدينة وفيه جماعة من قرش، فابتدروهم: أي قوم، أتم أضعف من
أهل الحرة؟



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

فقالوا: لا.

فقال لهم: أشهد أن يزيد ليس شرا من هشام، فما بكم؟^(٣)

ويبدو أن هشاما وغيره من أركان السلطة الأموية أرادوا أن يستثيروه بشيء
ليظهروا على ما بنفسه، ويهمننا هنا الحوار الذي دار بين زيد وهشام ذلك الحوار
الذي يمنحنا صورة واضحة لما بنفس كل من الرجلين تجاه الآخر.
وقد ذكر المؤرخون ذلك الحوار مختلفين في بعض فصوله ومتفقين في
الصورة التي يرسمها ذلك الحوار.

وخلاصته أن هشاما استقدم زيد بن علي إلى الشام، فقال له: لقد بلغني
أنك يا زيد تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك، وأنت ابن أمة، فأجاب زيد: إنه

(١). الإمام زيد ص ٤٩.

(٢). البيان والتبيين ١/٣١٠.

(٣). تهذيب تاريخ دمشق ١٥/٦.

ليس أحد أولى ولا أرفع عند الله من بني ابتعته .

وقد كان اسماعيل ابن أمة ، وأخوه ابن صريحة ، فاختره الله عليه وأخرج منه خير البشر . وما على أحد من ذلك إذا كان جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب ما كان ، وقد تطور ذلك الحوار واشتد حتى جرى ذكر الإمام الباقر أخي زيد ، فقدح به هشام وانتصر له زيد^(١) ، وانتهى بطرد زيد ونفيه إلى أطراف الشام كما نقل ابن أبي الحديد^(٢) وهنا يجب أن نعلم أن الإمام الباقر توفي سنة ١١٤هـ أو ١١٧هـ^(٣) ليتضح لنا أن هذا الحوار جرى قبل زمن غير يسير من ثورة زيد التي نشبت عام ١٢٢هـ كما سنرى .

الدولة الأموية أثناء ظهور زيد :

وبالرغم من مظاهر القوة التي أضفتها شخصية هشام بن عبد الملك على الدولة الأموية ، فإن الأحداث قد أنهكتها واستنفذت منها الكثير من الأموال والرجال ، فالعراق منذ تأسيس الحكم الأموي اتخذ موقف المعارض لأسباب ذكرناها ، وأصبح موقف قوى المعارضة الشيعية مزوجاً بالدماء منذ مقتل حجر ابن عدي الكندي وأصحابه سنة ٥١هـ^(٤) أما مقتل الحسين عام ٦١هـ فقد كان إضافة جديدة لروح المقاومة عند العراقيين ، وقد أعقب مقتله ثورة التوابين سنة ٦٥هـ^(٥) . ثم ثورة المختار الذي استطاع أن يفصل بالعراق من حظيرة الحكم الأموي . ذلك الانفصال الذي أكده مصعب بن الزبير بعد قضائه على المختار سنة ٦٧هـ^(٦) . وبالرغم من نجاح عبد الملك في إعادة العراق لنفوذه . فإن روح المعارضة فيه لم تمت حتى عندما استقام

(١) . انظر: تاريخ الطبري ١٦٦/٧ والبيان والتبيين ٣٠٩/١ والكامل للمبرد ص ٤٢ ، وزهر الأديب ٧٨/١ .

(٢) . شرح نهج البلاغة ٢٨٧/٣ والعقد القرين ٨٩/٥ وعيون الأخبار ٢١٣/١ .

(٣) . انظر: تاريخ يعقوبي ٦٣/٣ والعبير في خبر من عبر ١٤٢/١ .

(٤) . الكامل في التاريخ ٢٣٣/٣ .

(٥) . تاريخ الطبري ٥٨٣/٥ .

(٦) . تاريخ الطبري ٩٣/٦ .

تحت وطأة الحجاج الثقيلة . منذ عام ٧٥هـ ، إذ أن هدوء العراقيين لم يكن إلا إلى حين ، ففي عام ٧٧هـ قاد عبد الله بن الجارود ثورة عنيفة ضد الحجاج^(١) وفي نفس العام ثار الخوارج بقيادة صالح بن مسرح^(٢) وثاروا مرة أخرى بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني ، وكادوا أن يعصفوا بالحجاج لولا نجدات الشام^(٣) وأعقبهم عبد الرحمن بن الأشعث بثورة ضمت بين صفوفها كل فئات العراقيين . واتسعت حتى أخرجت الحجاج وكادت أن تؤدي به .

وفي العام ١٠٢هـ ثار يزيد بن المهلب واستطاع أن يستولي على البصرة . وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان^(٤) . وانتهت ثورته بعد صراع عنيف انتهى بحملة قاسية ضد اليمانيين قومه . أثارت العصبيات وخاصة في خراسان التي اضطربت بها القبائل واشتد بينها النزاع لما لآل المهلب من مركز مرموق فيها ، ويبدو أن خراسان بدأت تنسلخ من حظيرة الدولة الأموية منذ الآن .
وأما هشام الذي تولى الخلافة سنة ١٠٥هـ^(٥) فلم يحاول تهدئة ما نشب بين هذه القبائل المتطاوله ، بل أثار عليه القيسية عندما عزل عمر بن هبيرة القيسي من ولاية العراق^(٦) . كما توالى اندحارات الجيوش الإسلامية في أطراف البلاد . وأكثرها سوءا ذلك الذي حدث في بلاد الترك عام ١١٢هـ حيث قتل القائد سورة بن الحر^(٧) . وفي منطقة الخزر من نفس العام كانت ملحمة عظيمة اندحر فيها المسلمون وقتل قائدهم الجراح بن عبد الملك الحكمي^(٨) . وفي افريقية والأندلس كان التدهور العسكري

(١) . الكامل ٣٧/٤ .

(٢) . الكامل في التاريخ ٤٢/٤ .

(٣) . الكامل في التاريخ ٤٧/٤ .

(٤) . الكامل في التاريخ ٤٧/٤ .

(٥) . تاريخ اليعقوبي ٥٩/٣ .

(٦) . الكامل في التاريخ ١٩٢/٤ .

(٧) . تاريخ الطبري ٧٥/٧ .

(٨) . تاريخ الطبري ٧٠/٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٣٥٥ .

والإداري يسير من سيء إلى أسوأ منذ العام ١١٣ هـ^(١) والذي زاد من قوة الضربات الموجهة للجيش الإسلامي في هذه الأطراف سيرة ولاية بني أمية الهوجاء. تلك السيرة التي فرقت الصفوف وأفسدت الناس بالعصبيات، حتى أنه وقع قتال شديد بين المضربة واليمانية عام ١٠٦ هـ في بلخ^(٢).

وإضافة لكل ذلك فإن قوى المعارضة قد وجدت لها الجو الملائم الذي استطاعت به أن تهيب الأفكار للثورة. والتطلع إلى الخلاص من جبروت الأمويين، ويجب أن نعرف أن أكثر قوى المعارضة انتهت الآن إلى حركات سرية لتقويض الحكم الأموي، فالخوارج الأشداء الأكثر وضوحاً وصراحة بدأوا يتحولون إلى دعاة سرين. يدعون إلى مبادئهم ويبشون المبشرين والدعاة^(٣). والمرجئة الذين بدأوا كفرقة انتهازية تبرر مساوئ السلطة الأموية، تحولوا الآن إلى قوة معارضة تناضل مع قوى المعارضة الأخرى^(٤)، وانخرطوا في ثورة ابن الأشعث، ولعلمهم كانوا بمثابة الوثائق الذي ربط قوى المعارضة، ولكنهم تجاه قسوة الأمويين تحولوا شيئاً فشيئاً إلى حركة سرية، تبث الدعاة وتتهز الفرص. وتستهوي القلوب، وتهيب الأذهان للثورة والتغيير^(٥)، ويجب أن لا ننسى المعتزلة الذين بدأوا يجمعون بين النظر العقلي والعمل السياسي. الذي تحول تجاه قسوة الأمويين إلى عمل سري يعمل على تقويض الدولة الأموية^(٦). وبعد كل ذلك يجب أن لا يغرب عن البال حركة العباسيين التي وصلت الآن إلى الذروة في القوة ودقة العمل وكثرة الأعوان، ويجب أن نعرف أن كل قوى المعارضة تلك

(١). انظر الكامل في التاريخ ٤/٤١٤ وتاريخ خليفة ص ٣٥٨.

(٢). تاريخ الطبري ٧/٣٠ وانظر في الكامل في التاريخ ٤/١٩٣.

(٣). الحركات السرية في الإسلام ص ١٨.

(٤). الحركات السرية في الإسلام ص ٩٧.

(٥). الحركات السرية في الإسلام ص ٤٠.

(٦). الحركات السرية في الإسلام ص ٩٧.

اتفقت على احترام زيد (فأهل السنة، والمرجئة والمعتزلة، والشيعية قد اجمعوا على إمامته في العلم).^(١)

إعلان الثورة:

إزاء تلك الأحداث فقد انتهى تطواف زيد، وحل الكوفة، وسواء كان مقدمه إليها من منفاه في أطراف الشام^(٢). أو مرسلًا إلى يوسف بن عمر لمواجهة مع خالد القسري، فإن الكوفة كانت مهيأة للثورة، متطلعة إلى الخلاص من حكم هشام الذي كان ثقل الوطأة على مصار الإسلامية، ومهما اختلف المؤرخون في تقييم شخصيته، فإن من المسلم به أنه (كان ينظر إلى الدولة نظرتة إلى إقليم يجب أن يستثمر، وهنا كان أبداً يحمل ولاته على الإمعان في ابتزاز الأموال من أفراد الرعية)^(٣). ولعل عزل خالد القسري بالطريقة القاسية التي رواها المؤرخون كان نتيجة لمحاولته - أي خالد - في إرضاء العراقيين (الكوفيين بصورة خاصة، والحد من تدمرهم وتطلعهم إلى الدعوات المناهضة للأمويين)^(٤).

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

وأن محاولته تقليل أسعار الغلال أثار سخط هشام، الذي كان قد احتكر لنفسه أراض واسعة يزرعها ويتحكم بأسعار غلالها، كما أثاره سعة نفوذ خالد ذلك النفوذ الذي (جعله في مركز المستقل عن الخليفة هشام في أكثر الأمور)^(٥). ولكن استبداله بوال جائر لا يقيم للناس وزناً ولا للعدل ميزاناً، أثار حفيظة الناس وهيامهم للوثوب مع أي داع للخلاص ويبدو أن زيدا كان على علم بما يجري، ويعرف مدى السخط الذي تملك العراقيين إضافة إلى ما اشتمل من

(١). الإمام زيد ص ٧١.

(٢). كما في شرح نهج البلاغة ٢٨٧/٣ والكامل للمجرد ٢٤٢/٤.

(٣). تاريخ الشعوب الإسلامية ١٩٣/١.

(٤). إلا أننا لا يجب أن نذهب بعيداً في صفة خالد تلك، فمع محاولاته في ترضية العراقيين للحد من عنفوان المعارضة، كانت هناك قسوة وشدة وسيرة لم يرضها أهل التقى والدين.

(٥). ثورة زيد بن علي ص ٧٣.

فتن في غير العراق . إذ لم تكن زيارته للعراق قبل هذه المرة خالصة للعلم ومطارحة العلماء (بل كان ينوي أن يعالج الأمر بالتدبير المحكم الذي ينهي حكم الأمويين^(١) .

وهكذا حل زيد في الكوفة ، فأهلها هياتهم الأحداث للشورة . كما نظمتهم بعض التنظيم مراسلاته معهم^(٢) ودعاته الذين انبعثوا هنا وهناك . غير أن أزاء ذلك يجب ألا نحسب أنه سيمشي في طريق معبد ، أو سيجلس على وطاء لين ، فليس بخاف على الحكومة الأموية في الشام ولا على ولايتها في العراق ما يجيش بنفس زيد ، وما يعتمل في نفوس العراقيين ، ولذلك فإنهم أحو عليه بترك الكوفة ، والخروج منها واشتدوا عليه بذلك بل أن هشاما كتب إلى يوسف بن عمر يحذره من ميل العراقيين لآل علي . كما يحذر من زيد وقابليته الخطابية . ومقدرته على استمالة القلوب . وكان مما كتب له (فعلجل أشخاصه إلى الحجاز ، لا تخله والمقام قبلك فإنه إن أعاره القوم استماعهم فحشاها من لين لفظه ، مع ما يدلي به من القرابة برسول الله ، وجدهم ميلا إليه)^(٣) وفي زهر الآداب : أن ملوك بني أمية كانت تكتب إلى صاحب العراق أن : أمنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي فإن له لسانا أقطع من ضبة السيف وأحد من شبا الأسننة^(٤) . ويبدو أن أمير العراق كان شاعرا بمغبة التقاء زيد بالكوفيين . فكان (يستحثه بالخروج فيعتل عليه بالشغل وبأشياء يتاعها . فألح عليه حتى خرج فأتى القادسية)^(٥) . . . وفي القادسية كان اللقاء الحاسم بين زيد والكوفيين . فقد تبعوه ، ورجبوه بالعودة ،

(١) . الإمام زيد ص ٥٠ .

(٢) . تهنيد ابن عساكر ١٥/٦ .

(٣) . تاريخ الطبري ١٧٠/٧ .

(٤) . زهر الآداب ٧٧/١ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ٩١ .

ووعوده النصر والغلبة . فقبل دعوتهم وعزم على العودة بعد أن استوثق منهم^(١) ، إلا أنه لم يجد تشجيعا من أولئك الذين قدموا معه الكوفة ، ومنهم محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي العباسي . اللذان حذراه من غدر الكوفة ونكوص أهلها عندما تشتد الأزمة^(٢) بل أن بعضا من الكوفيين توقعوا الغدر به . وعدم المضي معه قدما حتى النهاية ، فاستأذنوه بترك البلد ، ومنهم سلمة بن كهيل^(٣) ، ولكن شيئا من ذلك لم يثن زيدا ولم يفل من عزمه . وما أن رجع إلى الكوفة حتى أقبل إليه الناس مستجيبين دعوته إلى كتاب الله ، وسنة نبيه وجهاد الظالمين . والدفع عن المستضعفين . واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء . ورد الظالمين^(٤) وما زالوا يختلفون إليه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل^(٥) من أهل الكوفة سوى المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان^(٦) . ويبدو أن زيدا لم يقصر دعوته على الكوفة ، فأثناء إقامته بها التي استمرت بضعة عشر شهرا ، أرسل دعواته إلى الأفاق والكور^(٧) وتروي كتب التاريخ صورا من هذه الدعوات ، كما أنه أثناء تنقله متخفيا بين دور الكوفيين ذهب إلى البصرة ، وأقام فيها شهرين^(٨) ويصف المؤرخون مقامه في الكوفة فيقولون أنه كان ينزل منازل شتى ، في دار امرأته الأزدية مرة ، ومرة في أصهاره السلميين ومرة عند نصر بن خزيمية في بني عبس ، ومنازل أخرى ، ويبدو أن عيون

(١) . مقاتل الطالبين ص ٩١ .

(٢) . تاريخ الطبري ١٦٨/٧ .

(٣) . تاريخ الطبري ١٦٩/٧ .

(٤) . تاريخ الطبري ١٧٣/٧ .

(٥) . تاريخ الطبري ١٧١/٧ .

(٦) . مقاتل الطالبين ص ٩٢ .

(٧) . مقاتل الطالبين ص ٩٢ .

(٨) . تاريخ الطبري ١٧١/٧ .

أن عيون الوالي أخبرته عن رجلين نزل عندهما زيد، إلا أن طريقة زيد في التنقل السريع فوتت على الوالي فرصة إلقاء القبض عليه. واكتفى الوالي بإعدام الرجلين^(١).

ويبدو أن الأسيرين بينا للوالي ما كان خافيا عليه^(٢) وخشي زيد أن يؤخذ عليه الطريق، فتعجل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين أهل الامصار، فوعد رجاله ليلة الأربعاء، أول ليلة من صفر سنة إحدى وعشرين ومائة^(٣)، وأمرهم بالاستعداد والتهيؤ، فجعل من يريد أن يفني يستعد ويخرج^(٤)، ويبدو أن أمير العراق وصله شيء عن موعد إعلان الثورة، فأمر بحصر الناس داخل المسجد قبل الموعد المضروب بيوم، وبذلك سبق زيدا بالتدبير^(٥)، أما زيد فقد خرج من دار معاوية بن اسحق ليلا، ورفع مع أصحابه الهراوي فيها النيران ونادوا بشعارهم، غير أنه شعر بخيبة أمل مريرة حين لم يوافه من أصحابه سوى مائتين وثمانية عشر رجلا^(٦). في حين وجد الآخرون في حصرهم داخل المسجد عذرا يعللون به أنفسهم وعبثا ذهبت معهم نداءات زيد ورجاله، واستطاع رجال زيد رغم قلة عددهم أن يردوا هجمات البعوث التي كان يرسلها يوسف وهو في الحيرة^(٧) واستطاعوا أن يحتلوا أكثر سكك الكوفة حينما اشتبكوا بشجاعة منقطعة النظر مع الجيش الشامي في معارك متكررة كان ميدانها شوارع الكوفة وأزقتها، وفي نواحي المدينة أيضا حينما يضطر جيش السلطة إلى التراجع تحت ضربات زيد

(١). مقاتل الطالبين ص ٩٢.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٩٢.

(٣). تاريخ الطبري ١٦٠/٧، تاريخ يعقوبي ٦٩/٣، تاريخ ابن الكازروني ص ١٠٠.

(٤). تاريخ الطبري ١٧٣/٧.

(٥). الكامل في التاريخ ٢٤٧/٤.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٩٣، تاريخ الطبري ١٨٢،٧.

(٧). مقاتل الطالبين ص ٩٣.

العنيفة، ولكن الحرب لم تستمر أكثر من ثلاثة أيام.

وبالرغم من انتصارات زيد المتوالية، فقد كان يشعر أن نهايته كانت وشيكة الوقوع، إذ لا يمكن لبضعة مئات أن تحتفظ بالنصر لمدة طويلة تجاه الجيش الشامي الذي بلغ اثنا عشر ألفاً^(١). وقد أفضى بشعوره إلى أحد أنصاره المخلصين الأوفياء حين قال له: يا نصر بن خزيمة أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية. وحيث أعاد زيد غدر أهل الكوفة بالحسين، فقد أعاد نصر بن خزيمة ذكرى الشهداء الذين تقدموا بين يديه حين أجاب:

جعلت فداك، أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت^(٢).

وقد حاول زيد أن يحتل المسجد الأعظم ولعله أراد بذلك أن يفك الحصار عن الكوفيين الذين جمعتهم فيه السلطة، وجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد أخرجوا، وجعل نصر بن خزيمة يناديهم:

مرزقيته كفويز طوع وسوى

يا أهل الكوفة أخرجوا من الذل إلى العز وإلى الدين والدنيا^(٣)، ولكن (يبدو أن هؤلاء المحبوسين في المسجد كانوا راضين بهذه الحماية^(٤))، ورأى يوسف بن عمر اتجاه عنفوان الزيديين أن يحسم الأمر بسرعة، فأوجد جيشه بالرماة الذين سرعان ما اعتوروا الثائرين بالسهام، حتى إذا كان المساء رمي زيد بسهم أصاب جبهته فرجع معه أصحابه ولا يظن أهل الشام إلا أنهم رجعوا للمساء والليل^(٥). إلا أن زيدا رحمه الله قضى نحبه حينما حاول الطيب أن ينتزع السهم من جبهته.

(١). مقاتل الطالبين ص ٩٥.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٩٤، والكامل في التاريخ ٢٤٧/٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٩٤، والكامل ٢٤٧/٤ والبداية والنهاية ٣٣٠/٩.

(٤). الخوارج والشيعة ص ٢٥٩.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٩٦ وتاريخ الطبري ١٨٦/٧، والكامل في التاريخ ٢٤٧/٤، والبداية والنهاية ٣٣٠/٩.

فدفنه أصحابه خفية إلا أن قبره دل عليه، فأخرجت جثته، وصلبت في كناسة الكوفة^(١).

وهكذا انتهت ثورة زيد بن علي بن الحسين بسرعة وسهولة في أوائل صفر من العام ١٢١هـ^(٢).

ولم تضع الحرب أوزارها حتى كتبت على العراقيين غدره أخرى، كتلك الغدرات التي سجلها عليهم المؤرخون، وما أبلغ رسالة عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي، يصفهم فيها لزيد ويحذره من غدرهم: أن أهل الكوفة نفخ في العلانية، خور السريرة، هوج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايهم قلوبهم. ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم، فصممت عن ندائهم، وأبست قلبي غشاء عن ذكرهم، ياسا منهم واطراحا لهم، ومالهم مثل إلا كما قال علي بن أبي طالب: إن أهملتم خصمكم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم. وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم^(٣).

أما أمير العراق يوسف بن عمر الذي طفق جنده يفتشون عن الجرحى.

فقد عاد هو إلى الكوفيين بالشدة التي تعودوها من الولاة بعد كل حركة فاشلة، ويذكر أنه أقبل إلى الكوفة بعد مصرع زيد وخطب في أهلها قائلاً:
يا أهل المدرة الخبيثة. إني والله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع بي الشنان، ولا أخوف الذنب! هيهات! حبيت بالساعد الأشد.

ابشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان، لإعطاء عندنا لكم ولا رزق، ولقد

(١). تاريخ الطبري ١٨٨/٧.

(٢). الطبري ١٦٠/٧ ومقاتل الطالبين ص ٩٢، وتاريخ اليعقوبي ٦٩/٣ وابن الكازروني ص ١٠٠ والبر ١٥٤/١، وقيل أنه (عليه السلام) قتل سنة ١٢٢هـ، انظر: تاريخ الطبري ١٨٠/٧ وتاريخ خليفة بن الخياط ص ٣٦٩ ومقاتل الطالبين ص ٩٢ والمعارف ص ١٦، وفي حلقات ابن سعد أن نهاية زيد كانت في سنة ١٢٠هـ، انظر ٢٤٠/٥ منه ولذلك البداية والنهاية ٣٢٧/٩.

(٣). تاريخ الطبري ١٦٩/٧ والكامل في الأدب ص ٢٤٣.

هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أما والله ما علوت منبري إلا أسمعتمكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهل بغي وخلاف^(١) .

وبالرغم من السهولة التي رافقت القضاء على ثورة زيد ، فإنها كانت (فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين)^(٢) . كما أنها أثرت تأثيرا مباشرا في سير الأحداث ، وأرست قاعدة الفكر الثوري ، ومبدأ اللجوء إلى السلاح لدى الشيعة ، وغيرت كثيرا من ميول الناس واتجاهاتهم وأهدافهم ، ذلك التغيير الذي أفاد الدعوة العباسية وهيا لها عقول الناس وقلوبهم وعواطفهم ، وجعلهم يتقبلون بسرعة وبدون تردد في أكثر الأحيان دعوتهم للرضا من آل محمد . . . ونحن حينما نبحث عن أسباب فشل ثورة زيد ، فإنما يهمننا منها أثر الدعوة العباسية في إفشالها كي لا يفلت زمام الأمور من أيديهم . فهم لم يكونوا راغبين في نجاحها ذلك النجاح الذي سيلقي بين يديه الزمام ، الذي طالما سعوا إليه بسرية وصبر وبمكر أيضا . ومن ذلك فإنهم حاولوا أن يشنوا زيدا ، وحين وجدوه شديد العزم حاولوا أن يثبطوا الناس عن نصرته والخروج معه ، وقد كتب محمد بن علي العباسي إلى داعيته في العراق بكر بن ماهان ، أن يثبط الناس عن زيد ويمنعهم من نصرته والخروج معه^(٣) ، وتنقل كتب التاريخ أن داود بن علي العباسي الذي كان معه في العراق حذره الوثوب ، وأغراه بالنكوص واطراح دعوة العراقيين^(٤) ، وأكاد أشك في نصحه وصدقه ، إلا أن بعض العراقيين ردوه بغير رفق ، وكشفوا عن نواياه . مما يؤكد أنهم عرفوا طرفا من رغبة العباسيين الخفية ، ويؤكد الرواة أنهم - أي العراقيون - قالوا لزيد :

(١) . تاريخ الطبري ١٩١/٧ وانظر: البداية والنهاية ٣٣١/٩ .

(٢) . تاريخ الشعوب الإسلامية ١٩٠٠/١ .

(٣) . نبذة عن كتاب التاريخ، للمؤلف المجهول ص ٤٤ .

(٤) . تاريخ الطبري ١٦٨/٧ والكامل للمبرد ص ٢٤٣ .

إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ، ويزعم أنه وأهل بيته أولى بهذا الأمر منكم^(١) ، وأكاد أشك أيضا بنصيحة عبد الله بن الحسن العلوي ، التي سبق ذكرها ، فالمعروف أن العباسيين قد أقنعوا بعض العلويين بأن دعوتهم لآل البيت وأنهم يجنون ثمارها ، ولئن صح ما ذكره المؤرخون : أن العراقيين سألوا زيدا قبيل إعلان الثورة رأيه في أبي بكر وعمر وانصرفهم عنه لثنائه عليهما^(٢) . فأنا أزعم أن ذلك دسيسة عباسية لاقت هوى في نفوس أولئك الذين تحركت في قلوبهم الرغبة في الدعة والرغبة من بطش الأمويين المتيقظين دائما . . . إلا أن العباسيين استطاعوا أن يجنوا ثمارها فشل ثورة زيد ، إن كان للفشل ثمار ، فامتلكوا قلوبا كثيرة آلتها مأساة زيد . وأثارت فيها عواطف شتى ، إذ كان لا اعتدال زيد ودعوته الصريحة للإصلاح ومن ثم خلقه الكريم وشخصيته المحببة أثر بالغ في ميل الناس إليه وتعاطفهم معه . حتى أن أحد الخوارج رثاه بأبيات وأثنى عليه ، وتمنى لو كان أنصاره من قومه الشراة ، إذا لما استهانوا به ، ولما أسلموه عند اشتداد الأزمة . يقول

هذا الخارجي :

يا أبا الحسين لو شراة عصابة
يا أبا الحسين والجديد إلى بلى
صحبوك كان لوردهم إصدار
أولاد درزة اسلموك وطاروا^(٣)
ويقول أيضا :

أولاد درزة اسلموك مبللا
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوده
يوم الخميس لغير ورد الصادر
بمكان مسلمة لعين الناظر^(٤)
لقد كانت ثورة زيد بن علي شبيهة الى حد بعيد بثورة الحسين ، حيث مثل

(١) . تاريخ الطبري ٧/ ١٨٠ .

(٢) . الكامل في الأدب ١١٨٢ .

(٣) . الكامل في الأدب ١١٨٢ .

(٤) . الحور العين ص ١٨٧ .

زيد كما مثل الحسين من قبل التيار الديني في صراعه مع التيار الدنيوي كما مثل الدعوة لمثالية الإسلام وعدالته ، وزيد لم يكن من أولئك المغامرين الذين يقودهم طموحهم ، وتدفعهم همهم العالية إلى الغلو في الطلاب والمسير إلى المراكز الرئيسية ولو على أشلاء ، بل أنه من أولئك الثوار المصلحين الذين لم يجدوا سبيلا للإصلاح سوى الثورة والتضحية ، وسيرته تحدثنا بذلك وتؤكد اهتمامه ومعاناته . وقد قيل عنه (إنه لما رأى الأرض قد طبقت جورا وتخاذل الناس . كانت الشهادة أحب الميتات إليه^(١) ، لقد كان يرى جورا يجب ان يدفعه عدل ، وقيودا كبلت رقاب الناس يجب أن يفكها سيف ، وكان لأفكاره تلك أثر عميق فيما ذهبت إليه الزيدية فيما بعد ويهتما منها وجوب اشهار السيف بوجه الحاكم الجائر حيث (ترى الزيدية أهمية كبرى في مبدأ القوة واللجوء إلى السلاح ، وهم بذلك يمثلون الجناح الشيعي الفعال)^(٢) ، كما يمثلون الرد الحاسم على التبريرات التي اخترعتها السلطة وحاولت أن تمنحها شيئا من التنظيم . وقلنا أن انحذار الأخلاق جعل طبقة من المتفهمين (تفلسف) للحكومة تعسفها ، وتبرر تسلطها . ولربما كانت (الجبرية) بنفيها للحرية عن الإنسان وإلزامه الطاعة للحاكم المطلق تعبر عن طبقة اجتماعية حاولت أن تفرض نفسها على المجتمع ورؤيتها ، وإن تمهلي على هذا المجتمع كون فكرها ومصالحها هما فكر ومصالح المجتمع)^(٣) ، وقد حاولت هذه الطبقة (أن تنشر الأيدلوجية التي تبرز استيلائها بشكل واع مقصد ، كما أنها كانت لكل خطوة تخطوها في سبيل السيطرة الكاملة بدعاية تشكل في مجموعها نظرية متكاملة)^(٤) .

(١) . البيان والتبيين ١/٣١٠ .

(٢) . ثورة زيد بن علي ص ١٧٢ .

(٣) . نفي الظاهرة، مقال لغالب هلسا في مجلة الكاتب المصرية، العدد ١٥٨ ص ٨١ .

(٤) . نفي الظاهرة، وليس بشيء ما يراه علي مصطفى الغرابي أن موقف الأمويين جاء غيره

ولقد ولدت هذه الحركة الانتهازية ردة فعل عنيفة مثلها في اطار فكري مذهب القدرية . ذلك المذهب الذي دخل مع السلطة في صراع لم يخل من ضحايا منها غيلان الدمشقي . الذي صلبه هشام بن عبد الملك على باب دمشق . وقطع يديه ورجليه . ولكنه خاطب الناس بكلام نبههم إلى ما كانوا غافلين عنه ، كما عبر حاشية هشام ، فأمر بقطع لسانه وإذا كانت القدرية قد مثلت الرد الفكري على مذهب (الجبر) ونفي حرية الإنسان ، فقد مثل المذهب الزيدي الرد الثوري والفعلي إن صح التعبير .

ولعل يحيى بن زيد أول من مثل اتجاه الزيدية بعد زيد . لقد وفي بعهدة الذي قطعه لآبيه حين أصيب إذ قال له : (أقاتلهم والله لو لم أجد سوى نفسي)^(١) ، وما أن أسلم زيد الروح حتى بدأ يحيى يتنقل بين أمصار العراق ويوسف بن عمر يتبعه^(٢) ، حتى وصل خراسان حيث تلقى عاملها نصر بن سيار أمرا من يوسف بالبحث عنه ، والقبض عليه . وكان يحيى قد استتر عند رجل اسمه الحريش بن عبد الرحمن الشيباني في بلخ^(٣) ، وقد أسر هذا الرجل ولكنه رفض أن يسلم يحيى وصبر للتعذيب ، ولكن ابنه دل عليه لقاء إطلاق آبيه^(٤) . فأسر يحيى بن زيد ، غير أن الوليد الذي ولي الخلافة بعد هشام أمر بإخلاء سييله بعد تحذيره من الفتنة^(٥) ، ويبدو أن يحيى لم يعط وعدا بالركون إلى الهدوء . فقد كان جوابه لنصر بن سيار شديدا وقاسيا^(٦) . وبعد إطلاق سراحه توجه إلى سرخس ، ومنها اشخص إلى يهق . وهي أبعد أعمال خراسان ، إلا أنه

على تعاليم الإسلام لقربهم من عهد النبوة انظر كتابه: تاريخ الفرق الإسلامية ونشأت علم الكلام ص ٣١.

(١). عمدة الطالب ٢٥٧.

(٢). الكامل في التاريخ ٢٤٨/٤ وعمدة الطالب ص ٢٦٠.

(٣). الكامل في التاريخ ٢٤٨/٤ وعمدة الطالب ص ٢٦٠.

(٤). مقاتل الطالبين ص ١٠٥.

(٥). مقاتل الطالبين ص ١٠٥.

(٦). مقاتل الطالبين ص ١٠٦.

وجد في بيهق انصارا قوامهم سبعون شخصا . استطاع أن يحصل لهم على دواب فحملهم عليها ، وعاد بهم إلى أبرشهر . فكتب أميرها عمر بن زرارة إلى نصر بن سيار الذي كتب إلى عاملي طوس وسرخس يأمرهم بالتوجيه إلى أبرشهر ومعاونة عمرو بن زرارة في قتال يحيى ، غير أن يحيى استطاع بفرسانه السبعين أن يبدد جيشهم الذي بلغ عدده بضعة آلاف كما يؤكد المؤرخون . وأن يقتل عمرو بن زرارة وليستولي على عدة الجيش ومتاعه^(١) ، بيد أن جيوش نصر بن سيار التقت به ثانية في الجوزان ، وبعد قتال عنيف استمر ثلاثة أيام قتل يحيى وجميع من نصره ، وذلك سنة ١٢٥ هـ^(٢) ، وله من العمر ١٨ سنة^(٣) .

ولقد كان لمصرع يحيى بن زيد استثارة أخرى لعواطف الخراسانيين مثارا آخرًا لحماسهم في الاستجابة لدعوة الانتصار لآل البيت . وقد استغل الدعاة العباسيون ذلك ، فتحركوا بسرعة يهولون ظلم الأمويين ويستثيرون ضدّهم الأهواء والحفائظ . وفي تاريخ اليعقوبي أنه بعد مقتل زيد تحركت الشيعة بخراسان ، وكثر من يأتيهم ، ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون الناس أفعال بني أمية ، وما نالوا من آل الرسول ، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر^(٤) ويبدو ان كثيرا من دعاة بني العباس كانوا يحسبون أن دعوتهم لآل البيت^(٥) .

وهكذا كانت ثورة زيد (فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين)^(٦) .

(١) . تاريخ الطبري ٢٢٩/٧ ومقاتل الطالبين ص ١٠٦ . ١٠٧ .

(٢) . تاريخ الطبري ٢٣٠/٧ ومقاتل الطالبين ص ١٠٧ ، عمدة الطالب ٢٦٠ ، سير اعلام النبلاء ٣٩١/٥ .

(٣) . جمهرة أنساب العرب ص ٥٦ ، وعمدة الطالب ٢٦٠ .

(٤) . تاريخ اليعقوبي ٢٩٣/٢ .

(٥) . ثورة زيد بن علي ص ١٥١ .

(٦) . تاريخ الشعوب الإسلامية .



مركز تحقيقات حاسوبية علوم ارسوى

الفصل السادس

المذهب الزيدي بين قوى المعارضة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المذهب الزيدي بين قوى المعارضة

بين الزيدية والإمامية:

اقترن اسم الزيدية باسم الإمامية أو الرفض، من فرق الشيعة لأسباب أحسب أن منها أن الزيدية والإمامية أكبر فرق الشيعة، وسواهما بعد لا نظام لهم^(١)، ولأن كلا المذهبين لم يغال في صفات الأئمة العلويين، ولأن اسم الروافض اشتق من رفض بعض الشيعة نصرة زيد بن علي لاتباعهم الإمام الصادق. كما يرى بعض مؤرخي الفرق الإسلامية^(٢)، غير أن بعض هؤلاء يرى أن هذا الاسم اطلق على الشيعة قبل ظهور زيد. فالنوبختي يذكر أن المغيرة بن سعد اطلق هذا الاسم على الشيعة الذين رفضوا دعوته لمحمد بن عبد الله بن الحسن بعد وفاة الباقر (عليه السلام)^(٣). يروى غيره أنهم سمو كذلك لرفضهم بيعة أبي بكر وعمر^(٤)، ومنهم من يجمع أكثر مذاهب الشيعة تحت اسم الروافض^(٥)، ومن ذلك يتبين لنا أن هذا اللقب لم يكن محددًا أو خاصًا بفرقة من فرق الشيعة، كما أنهم -أي الشيعة- لم ينكروا هذا اللقب على أنفسهم. بل حاولوا أن يجعلوه مدعاة للفخر والإدلال.

يقول السيد الحميري:

ونحن على رغمك الرافضون لأهل الضلالة والمنكر^(٦).

والذي يهمننا في أمر الفريقين (الزيدية والإمامية) موضع الاختلاف بينهما

(١). ثلاث رسائل للجاحظ، نشرها حسن السندوي ص ٢٤١.

(٢). انظر: الرازي: اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢.

(٣). فرق الشيعة ص ٨٢.

(٤). الأشعري، مقالات الإسلاميين ١/٨٧.

(٥). الاسفراييني: التبصير في الدين ص ٩٢، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١٨. الرازي:

اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢.

(٦). الزينة.

في المواطن التي تحدد موقفهما من السلطة، فالإمامية يرون أن الإمامة بعد الحسين لابنه علي بن زين العابدين، ثم لولده الباقر فالصادق (عليهم السلام) وهم يرون أيضاً أن الإمامة تفويض إلهي ليس للبشر فيه حق الاختيار^(١)، ويبدو أن أكثر الفرق الإسلامية أخذت أكثر عقائدها في السياسة والدين من سيرة أئمتهم. وحيث أن هؤلاء الأئمة لم يطلبوا الخلافة لأنفسهم. بعد الحسين. فقد علل الإماميون ذلك بمبدأ (التقية) وهو (أن يخفي المؤمن بعض ما يعتقد، ولا يجهر به خشية الأذى، أو للتمكن من الوصول إلى ما يريد من نصرة الدين، أو للحق في ذاته)^(٢)، ويبدو أن الفرق التي اتخذت لنفسها مبدأ الدعوة السرية سلكت بمبدأ التقية مسلكاً آخر يختلف عن طريق الإماميين من الشيعة، الذين جعلوا من هذا المبدأ السكوت أو عدم الجهر عن بعض ما يضمرون.

أما المذهب الزيدي، فقد ساق الإمامة في ولد فاطمة وعلي. ويرى زيد أن أبناء علي أحق بتحمل أعباء الإمامة وأولى بها^(٣)، وجوزوا لكل فاطمي عالم شجاع طلب الإمامة لنفسه، وشهر السيف بوجه السلطة الجائرة، أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أبناء الحسن أو من أولاد الحسين^(٤)، وبذلك فإن المذهب الزيدي يرفض مبدأ التقية الذي يعلل به الإماميون قعود أئمتهم بعد الحسين عند محاربة السلطة الجائرة. إن المذهب الزيدي (يرى أهمية كبرى في مبدأ الثورة واللجوء إلى السلاح، وهم بهذا يمثلون الجناح الشيعي الفعال وعلى ذلك يجب أن يكون الإمام شجاعاً مقداماً. شاهراً سيفه)^(٥)، وحيث أن التاريخ

(١). محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أهل الشيعة وأصولها ص ٩١.

(٢). محمد أبو زهرة: إمام الصادق ص ٤٠.

(٣). الإمام زيد بن علي: الصفوة.

(٤). الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٥٥ ومقدمة ابن خلدون ص ٧٣.

(٥). البدء والتاريخ ١٣٣/٥.

شهد خروج أكثر من فاطمي في آن واحد . فقد جوز المذهب الزيدي خروج إمامين في قطرين مختلفين ، يستجمعان هذه الخصال ، يكون كل واحد منهما واجب الطاعة^(١) ، والإمامية لا ترى إلا لواحد يكون أفضل أهل عصره^(٢) ، في حين يرى الزيدون جواز إمامة الفضول مع وجود الأفضل وبذلك جازت خلافة أبي بكر وعمر مع وجود علي بن أبي طالب^(٣) .

ولكن الإمامية طعنوا المذهب الزيدي في الصميم حين ادعوا أن زيدا لم يخرج عن إمامة أخيه الباقر . ولا عن إمامة ابن أخيه الصادق . بل أنه خرج داعياً للرضا من آل محمد . وهو الصادق . ويروون شعراً لزيد يرثي به أخاه الباقر ويقر بإمامته وإمامة الصادق من بعده ، والأبيات :

ثوى باقر العلم في ملحد إمام السورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده إمام السورى الأوحى الأجد

أبا جعفر أنت الإمام وأنت المرجى لبلوى غد^(٤)

والأبيات ظاهرة التكلف كما ترى . كما روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : (أما أنه لو ظفر لوفى . أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها)^(٥) كما أن الإمام الصادق أنكر على بعض الشيعة تبرئهم منه وعودهم عن نصرته^(٦) ، ويروى أيضاً عن الإمام علي الرضا أنه أجاب المأمون العباسي حين سأله عن زيد (أن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق . وأنه كان أتقى من ذلك ، أنه قال : ادعواكم إلى

(١). البدء والتاريخ ١٣٣/٥

(٢). أهل الشيعة وأصولها ص ٩١ .

(٣). الملل والنحل ١/١٥٥ .

(٤). المازندراني: مناقب آل أبي طالب ٤/١٩٧ .

(٥). الكشي: الرجال ص ٢٤٢ .

(٦). عيون أخبار الرضا ١/٢٤٩ .

الرضا من آل محمد)^(١) وروي عن يحيى بن زيد أنه سأل أباه عن الأئمة . فأجاب أنهم اثنا عشر إماماً وأنه ليس منهم^(٢) وذكر عنه أيضاً أنه قال : أن جعفر الصادق هو المقصود بالرضا من آل محمد في دعوة أبيه زيد)^(٣) .

والملاحظ أن هذه الروايات التي تؤكد إقرار زيد لإمامة الصادق لم تأت إلا من طرق الشيعة الإمامية ، وأحسب أن هذا الاتجاه جاء - إن لم تصح هذه الروايات - من مركز زيد المرموق ، فالشيعة كغيرهم من الفرق الإسلامية لم ينظروا إلى زيد إلا بعين الاحترام والإجلال ، ولم يشاءوا أن يجعلوا من ثورته خروجاً على إمامة أئمتهم ، ومثلما حاول المعتزلة وربما غيرهم اعتباره امامهم في منهجهم ، غير إننا سنجد الإمام الصادق لم ينكر على زيد ثورته ، رغم نصيحته له بالإخلاق إلى الهدوء ، وقد قال لمن سأله عن بيعته له : (نعم بايعوه ، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا)^(٤) ، وهذه الرواية تجعلنا أمام أمر آخر تجاه الإمام الصادق (فهي تؤكد مشاركته لزيد ولو من طرف خفي)^(٥)

غير إننا نجد تجاه كل ما مضى مرويات أخرى لا نستطيع أن نفسرها إلا بالصراع على الإمامة بين الباقر الصادق من جهة وزيد بن علي من جهة أخرى ، فقد روي أن الباقر ناقش زيداً في شروط خروج الإمام بالسيف^(٦) ، وأن زيداً عرض بالإمام الصادق بقوله : (ليس الإمام منا من أرخى ستره ، وإنما الإمام من شهر سيفه)^(٧) ، وإن حواراً دار بين الصادق وزيد وواصل بن عطاء عتف فيه

(١) . عيون أخبار الرضا ٢٤٩/١ .

(٢) . الخرايج والجرايح ص ٣٢٧ .

(٣) . عيون أخبار الرضا ٢٤٩/١ ، وانظر في ذلك : زيد الشهيد للمسيد عبد الرزاق المقرم ص ٥٨ وما بعدها .

(٤) . الكامل في التاريخ ٢٤٦/٤ .

(٥) . ثورة زيد بن علي ص ١٤٤ .

(٦) . الملل والنحل ١٥٦/١ .

(٧) . الملل والنحل ١٥٦/١ .

الصادق، وقال له: أن حبّ الدنيا شغلك، ودعاه للتوبة. وانتصر زيد لواصل
على ابن أخيه الصادق، واتهمه بالحسد^(١)، أما أنا فأشك في صحّة هذا الحوار، إذ
أن ما للإمام الصادق من الورع والتقوى والزهد يجعلنا في شك من وعظ واصل
له ومطالبته باطراح الدين واللجوء إلى التوبة . . .

ولكننا نستطيع أن نسلك بين هذه المرويّات المتناقضة طريقاً آخرأ. نعلّل به
موقف كل من الإمامين الصادق وزيد (عليهما السلام) فنقول: أن الإمام الصادق
كان ظاهرة علمية لم يشهد لها العالم الإسلامي مثيلاً، ولم يكن علمه مقصوراً
على الحديث والفقه وعلوم القرآن. بل كان يدرس علم الكلام. والمعتزلة
يعتبرونه من أئمتهم، ومن نهجوا مناهجهم في فهم العقائد على ضوء العقل، وله
معهم مناظرات قيمة^(٢).

وعصر الإمام الصادق اتسم بالنقاش والجدل والمناظرات، وتوسعت فيه المعرفة
فتجاوزت المدى الذي وقف عنده الجيل السابق له، فقد تبلورت فيه آراء، وأسفرت فيه
المذاهب الغربية والآراء المدخولة، ويبدو أنه (عليه السلام) أراد اتجاه ذلك أن يلتم بكل
ما اضطرب فيه الناس من آراء ومفاهيم، وان يفتح كل أبواب العلم التي بدأت تفتح
لدارسين، وقد وردت على العقل العربي الفلسفة، ومعها الشك في الحقائق
الإسلامية، فكان عليه أن يجابها، بالتفكير والمنهج العلميين، بل ذكر أنه كان له إمام
واسع لعلوم أخرى كالكيمياء، ومنه أخذ جابر بن حيان وغيره^(٣).

ويبدو أنه أراد بعدما ألم بكل ما ذكر أن يتفرغ لتركيز دعائم مدرسته العلمية
في المدينة والكوفة^(٤)، ويردّ كل ما اعتور العقيدة الإسلامية من تشكيك وآراء

(١). المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٣٣.

(٢). الإمام الصادق ص ٦٦.

(٣). ابن حيان في وفيات الأعيان ١/٢٩١.

(٤). أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣/٢٤٢.

مدخوله^(١). فاشتهر بمناظراته مع مختلف أرباب المذاهب والأديان والعقائد والاتجاهات الفلسفية، تلك المناظرات التي تضعنا أمام رجل اندمج على علم دقيق بالفلسفة ومناهج الفلاسفة ومواضع التهافت عندهم^(٢). ولعل اتجاهه العلمي الخالص هذا هو الذي جعله ينتزع نفسه من أحداث السياسة انتزاعاً، إضافة لتوقعه عدم جدوى العمل السياسي كما يبدو من نصائحه للثائرين من البيت العلوي، يقول ابن حزم (وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المتتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم. ثم دخل العراق وأقام به مدة، ما يعرض للإمامة قط، ولا نازع أحداً في الإمامة قط)^(٣).

ولقد كانت مدرسته مباركة وميمونة. وإذا استعرضنا أسماء تلاميذه ومريديه فإننا سنقف على جمع غفير من الفقهاء وأهل الرأي في عصره. وفيهم سفيان الثوري ومالك وأبو حنيفة^(٤)، (وعلى الجملة فقد كان الإمام جعفر الصادق من أعظم الشخصيات ذوي الأثر في عصره وبعد عصره)^(٥)، ولكننا يجب ألا نذهب في ذلك بعيداً، فلدينا أكثر من دليل على أن الإمام الصادق كان له رأي بالسياسة وأن صوته فيها لم يكن خافتاً بحيث لا يُسمع، ولو لم يكن كذلك لما أثار الخلفاء عليه المتاعب. ووضعوه في مرات عديدة أمام ما طرقتهم عنه من ميول واتجاهات.

أمام الإمام زيد بن علي، فبالرغم من ما أثاره الرواة بينه وبين الإمام الصادق من خلاف، فقد كان صفيّاً له، وكانت علاقته به تتسم بالود والاحترام، خاصة وأنهما كانا متقاربين في السن^(٦). ومثلما اتجه الصادق إلى العلم. كذلك اتجه زيد إليه. ولكن الأخير كان يحمل طموحاً سياسياً. وشعوراً أكيداً بوجوب التغيير.

(١). الإمام الصادق ص ٩٦.

(٢). الإمام الصادق ص ٩٩.

(٣). الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٦٦.

(٤). عليه الأولياء ٣/١٩٣ وما بعدها، وانظر محمد ابو زهرة: الإمام زيد ص ٣٨.

(٥). ضحى الإسلام ٣/٢٦٥.

(٦). ولد الإمام الصادق سنة ٨٠هـ كما في وفيات الأعيان ١/٢٩١. وذكرنا أن ولاية الإمام زيد كانت في حدود هذه السنة.

لأنه كان يرى في حكم الأمويين إساءة بالغة للدين الإسلامي ، ويبدو أن أفكار قوى المعارضة لاقت هوى في نفسه ، وقد درج المؤرخون على القول بأن مثابرتة على طلب العلم كان مبعثه الرغبة في تقويم شخصيته . وجعلها قادرة على تحمل الأعباء بعد ما تلقي الثورة بين يديه زمام الأمور^(١) . ومن هنا جاءت محاورات زيد والإمام الصادق ، فالإمام الصادق كان لا يرى في الثورة المسلحة وسيلة ناجحة . في حين كان زيد يرى هذا الرأي . ومن السخف أن نجعل من هذا الاختلاف صراعاً بين الرجلين على الإمامة ، بل نستطيع أن نحسبه (من نوع السياسة التي يجب على العلويين أن يسلكوها ضد الأمويين)^(٢) ، ولعل منشأ الخلاف بين الزيدية والإمامية في موضوع دعوى الإمامة جاء من أسباب أحسب منها أن زيدا لم يدع صراحة إمامته ، ولعله أراد بذلك ألا يفقد من صفوفه جموع الشيعة الذين يؤكدون أمانة الصادق (عليه السلام) ، مما جعل الإمامية تحاول أن تحمل الأحداث أكثر مما تطيق لتأكيد تبعية زيد للإمام الصادق . غير أن السياق التاريخي لأحداث الثورة يؤكد أن زيدا لم يدع لأحد غيره . وأن انصاره بايعوه إماماً لجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم الفيء بين أهله بالسواء ، وردّ المظالم . وظاهرة أخرى رافقت ثورة زيد هي أن العلويين لم يقفوا مع زيد موقفاً قوياً ، فقد نصحوه بعدم تصديق وعود العراقيين ، وأحسب أن مرد ذلك استنامة بعضهم لدعوى العباسيين واعتقادهم أنهم سيجنون ثمار نجاحها ، فكانوا يرون أن خروجه سابق لأوانه ، وآخرون كالإمام الصادق عليه السلام كانوا لا يرون في استعمال السلاح وسيلة ناجحة . وقد عبّر يحيى بن زيد عن خيبة أمله في بني عمه العلويين بأبيات منها :

(١) . انظر: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٢٠٦/٢ .

(٢) . ثورة زيد بن علي ص ١٤٦ .

خليلي عنى بالمدينة بلغا
لكل قتيل معشر يطلبونه
بني هاشم أهل النهى والتجارب
وليس لزيد بالعراقيين طالب^(١)

البعد السياسي في بعض المذاهب الدينية :

لقد تمخضت ظروف الحكم الأموي عن مذاهب شتى ، بدأ الجانب السياسي في أغلبها يظهر بشكل خطير ، ومهما تكن دوافع المعارضة فإن قواها حاولت أن تجعل من قضيتها قضية الإسلام نفسه . إذ أن للعامل الديني أثره البالغ في منح الثورات الاجتماعية والسياسية إطارها الشرعي . وحيث أن الوتر الشيعي من أكثر الأوتار الإسلامية حساسيةً . فقد إلتقت أكثر الحركات المناهضة مع آل البيت والشيعية في كفاحهم لتثبيت مثالية الإسلام ، ولعل في ذلك السبب الرئيس في استمرار أكثر تلك الحركات والقوى كمذاهب دينية .

لقد نشبت حركات معارضة في صدر الدولة الأموية اتخذت من السيف وسيلة لتحقيق مآربها ، وانتهت بعض هذه الحركات عند اخفاقها عسكرياً أمام قوات الأمويين ، ولم تتمخض عن حزب سياسي أو ديني يعيد نفسه ويلم قواه لوثة أخرى ، رغم شدّه حماسها ، وقوة شوكتها واتساع نفوذها أول الأمر ، ومن هذه الحركات ، حركة عبد الله بن الزبير ، بيد أن حزبي الخوارج والشيعية اقتسما ساحات المعارضة منذ نشأة الحكم الأموي ، ولم ينته مسارهما المعارض رغم نكساتهما المتكررة والقاسية ، وبالرغم من اختلافهما الشديد ، وروح العداء بينهما ، فقد استطاعا أن يضمّا بين جناحيهما أكثر القوى الساخطة .

فالشيعية الذين يرون أن الإمامة خالصة لآل علي كانوا ييشرون بمثالية الإسلام وعدله ومساواته ، وبذلك التقوا مع الخوارج فيما ييشرون به رغم رأي الآخرين في أن الإمامة يجب أن تكون مشاعة بين المسلمين . وحرى بدعوة

(١). البدء والتاريخ ٤٩/٦ .

العدالة والمساواة أن تستهوي إليها كل الفئات المضطهدة من موالي ويمانيين وغيرهم، وبالرغم من أن الشيعة لا يرون الإمامة إلا في آل علي فإن حركتهم ضمّت إليها فئات أكثر من تلك التي ضمّتها حركة الخوارج، بالرغم من تسامح الخوارج الواسع والعريض في شرعية الإمامة، وذلك لأسباب لعل منها مركز العلويين المرموق عند أكثر المسلمين، وكذلك نظرة الشيعة المتسامحة إلى الفئات الأخرى من المسلمين، في حين أن الخوارج لم يروا غيرهم إلا كافرين^(١).

ولكن تاريخ المذاهب الدينية والأحزاب السياسية دخل في دور حاسم منذ اعتزال واصل بن عطاء حلقة الإمام البصري. واضعاً بذلك أسس مذهب المعتزلة ذلك المذهب الذي أخذ على عاتقه منح الحياة الدينية والسياسية سمة العقل في فهم العقائد ومنذ أن توطدت أركانه أخذ يجمع بين النظرية العلمية والعمل السياسي، ولكنه بدأ عمله السياسي بمناقشة الأفكار التي مازالت تبرر للسلطة تحكّمها، وتمنحها الشرعية، مستفيدة في نقاشها من كل ردود الفعل التي ولّدتها السلطة. فالاختيار عند المعتزلة كما عند غيرهم ينطوي على بعد سياسي مؤداه الحضّ على محاربة السلطة، ولقد كان لها من نظرية غيلان الدمشقي ومعبد الجهني مدد قويّ لتركيز فكرة الحرية الإنسانية. تلك الفكرة التي التقت بها مع الشيعة والعلويين الذين يدينون بنفس المذهب باختلاف لا يكاد يمسّ جوهر الفكرة، على أساس أن وجود السلطة كان بفعل بشري، واسقاطها لا يتم إلا بفعل بشري مضاد، مادام الإنسان حراً في صنع أفعاله، لقد كانت تلك الفكرة التي اتفقت عليها قوى المعارضة رداً فكرياً حاسماً لمذهب الجبر الذي بشرت به السلطة ومهدت له. ويبدو أن مؤرخينا الأولين تنبّهوا إلى الجانب السياسي في مذهب (الجبر) كما لم يُفتهم البعد السياسي لردّ المعارضين. يقول القاضي عبد

(١). الملل والنحل ١/١٢١.

الجبار في كتابه : (المغني في أبواب التوحيد والعدل) :

(وذكر شيخنا أبو علي الجبائي رحمه الله : إن أول من قال بالجبر وأظهره معاوية وأنه أظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ، ومن خلفه ليجعله عذراً فيما يأتيه ويوهم أنه مصيب فيه . وأن الله جعله إماماً وولا الأمر ، وفشى ذلك في ملوك بني أمية وعلى هذا القول قتل عبد الملك غيلان) وقبل ذلك أكد هذا الرأي عطاء بن يسار ومعبد الجهني حين أتيا الحسن البصري فقالا وهما يشيران إلى خلفاء بني أمية :
يا أبا سعيد ، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ، ويسأخذون أموالهم ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى) ومثلما أرادت السلطة أن تبرر تحكمها بمبدأ الجبر فقد أرادت أن تمنح سلطانها حقاً شرعياً . وحاولت أن تجعل الخروج على هذا الحق خروجاً على الإيمان وكفراً بالدين ، وقد ردوا شرعية حكمهم على إجماع المسلمين عليه ورضائهم به ، وأن الخروج على ذلك الاجماع ، يعني خروجاً على الدين وشقاً لجماعة المسلمين . وقد ردّ زيد بن علي على ذلك وناظر بعض المتقدمين في البلاغة والعلم من أهل الشام في موضوع الكثرة والقلة فأفحمهم وقيل أنه ألف كتاباً في ذلك . فلم يذكر كثيراً إلا ذمّه ولا قليلاً إلا مدحه وقد تابعه المعتزلة في هذا الرأي ، فهم لا يرون الاجماع شرطاً للإمام (وإذا خالف المعتزلة الشيعة في القول بالوصية والعصمة) فإنهم اتفقوا معهم في كثير من الآراء الخاصة بالإمامة ، فضلاً عن تجويزهم للتأويل^(١) ولعل هذا ما يفسر لنا اندفاعهم الشديد مع زيد ومع الزيدية فيما بعد ، لقد بدأت حركة الاعتزال كفرقة كلامية انطلقت من مبدأ تفسير العقائد تفسيراً علمياً يعتمد على العمل ويستند إليه تجاه الحركات الفكرية المعادية للإسلام ، ولا شك في أن المعتزلة أثروا الفكر الإسلامي في هذا المجال . وكان لاندفاعهم في اعتبار العقل مصدر

(١). الحركات السرية في الإسلام ص ٩١.

المعرفة واعتماده في فهم العقائد وتعويلهم على الشك والتجربة وتفسير الظواهر على مبدأ السببية، أثر هام في دفع الحركة الفكرية إلى الأمام، وإغناء الحضارة الإسلامية . . .

ويبدو أن مذهب المعتزلة وخاصة في بُعد السياسي استقى أكثر مبادئه من الجوانب الرشيدة في الحركات الدينية والاجتماعية المعاصرة له، وقد قلت أنه اقترب من الشيعة والقدرية والجهمية في مبدأ حرية الاختيار وغيره. ومن الشيعة خاصة في التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي المبدأ الأخير التقى أيضاً بقوة مع فرق الخوارج كما أن المعتزلة اتفقوا معهم (أي الخوارج) في مبدأ اختيار الأمة أمامها من جموع المسلمين. وليس من قريش وحدها. أو من آل علي وجدهم، ولكنهم التقوا مع الشيعة في جانب آخر من جوانب الإمامة. وهو مبدأ وجوب إمام علي أهل كل عصر^(١)، ولعل في ذلك دليل قوي على أن قوى المعارضة التقت في أبعادها السياسية في أكثر من ملقتى^(٢) مما يقوي هذا الرأي ويؤكد. تحوّل المرجئة الذين بدأوا كفرقة انتهائية تبور للسلطة أفعالها. وترجئ أمر المتخاصمين إلى يوم الدين إلى حركة سياسية تتلمس طريقها إلى المنطلقات التي وقفت عليها قوى الثورة والمعارضة الصريحة^(٣)، ولقد بدأنا منذ أواخر الحكم الأموي نشهد اختلاطاً عجيباً في نسبة هذا الرأي إلى ذاك المذهب حيناً وإلى مذهب آخر حيناً. وتلك الشخصية إلى تلك الفئة تارة أو إلى فئة أخرى تارة، لقد اختلط الإرجاء بالاعتزال بالقدرية والزيدية أيضاً، فسي كثير من المواطنين، كما نسب أكثر أهل الرأي إلى أكثر من مذهب.

وحين ظهر زيد بن علي، حاول أن يسير سيراً معتدلاً بين كل تلك المذاهب

(١). تلخيص الشافعي ١/٦٥.

(٢). الحركات السرية في الإسلام.

(٣). الحركات السرية في الإسلام. ص ٣٦.

والفتنات ويكن دون أن يماري برأي أو عقيدة، وكان لشخصيته المحيية وعلمه
الجم، واعتداله السمع، أثر فعال في سلامة سلوكه بين كل تلك المذاهب
والفتنات. فقد ذكر أهل تلك الآراء، واعتق الجوانب الرشيدة منها، وهذب
بعضها، فالتقى برأس المعتزلة واصل بن عطاء، ووافق في كثير مما ذهب إليه،
حتى عدّه المعتزلة رأس مذهبهم متجاورين بذلك واصلًا، وعلى ذلك قرر بعضهم
أنهم تلقوا مذهبهم من آل البيت علي بن الحسين وابنه زيد، مع ما تلقوا عنهم من
علوم الفقه والحديث والقرآن^(١).

لقد كان لقاء زيد والزيدية بواصل والمعتزلة حاسماً. وله ما بعده، اختار فيه
كل من الجانبين موقف صاحبه، ومنطلقه ومنهجه في فهم العقائد واعتبار مبدأ
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أصولهم. وإضافة لكل ذلك فإن عطش
المعتزلة إلى مثالية الإسلام وعدله الاجتماعي (وهم على الأغلب من الموالي) لا
يرويه إلا مقاصد زيد وأهل البيت في الإصلاح والتغيير، ومن ثم حماس
الزيدية، ذلك الحماس الذي كان المعتزلة وقوده في أغلب الأحيان، على أننا
يجب ألا ننسى أن مبدأ سل السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبح
واجباً ومبدأ تقرّه طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج
والزيدية^(٢).

ومثلما ألبأت الأفكار الغربية أهل الرأي من المسلمين إلى النظر العقلي
واعتماده في تفسير العقائد والأحكام، فقد أثرت تلك الأفكار تأثيراً مباشراً في
تحويل فئات من الناس إلى اتجاه لم يسبق له مثيل في تاريخ الإسلام من قبل.
ولقد اعتاد الكثير من المتقدمين، والمحدثين إلى جعل عبد الله بن سبأ مصدراً

(١). الإمام زيد ص ٢٠٢.

(٢). د. عبد الله سلوم: العلو والفرق الغالية في الإسلام ص ٨١ و٨٠.

لكل ما عمّ البلاد الإسلامية من فتن وأفكار مدخولة، ولكن سياق الأحداث ومسار التاريخ وتفسير كل ذلك بما يقبله العقل الرشيد. كل ذلك يأبى ذلك، وإنه لمن السخف أن ينسب لشخص مغمور كل تلك الأحداث والتحويلات، لقد خلط الفتح الإسلامي بالعرب أماً كثيرة كان لها ماضٍ وتراث. ومناحي في التفكير، ولعل ظاهرة الغلو التي نشأت في بداية الحكم الأموي ابرز هذه الاتجاهات التي طرأت على العالم الإسلامي، ومهما تكن الدوافع لتلك التحويلات، فإن ظاهرة عمل الغلاة من وراء واحد من الأئمة والسلوك بمعتقداتهم من خلال تأويل آيات القرآن الكريم (مكتهم من مواصلة السير مع المحافظة على الهوية الإسلامية التي اعتمدت الإسلام نظريةً ومنهجاً، ويرى فإن فلوثن أن انتصار المسلمين الساحق هياً الناس إلى اعتناق الإسلام، ولكن الأثر العكسي الذي أحدثه الولاة، ومعاقبة الإسلام للمرتدين بالقتل. مهد للعقائد القديمة الطريق إلى نفوس هؤلاء المتدمرين^(١).

ولكن الملاحظ أن انتشار هذه الفرق بين الشيعة كان أوسع من انتشاره بين أي من الفرق الإسلامية الأخرى، أو قل أن اسم التشيع اتسع حتى أطلق على كثير من هذه الفرق. وتلك ظاهرة يجب إلا نتجاوزها دون البحث عن أسبابها التي احسب أن منها:

١- أن التشيع اقترن بالعلويين، فالشيعة مختصر لكلمتي (شيعة علي) وإن الغلاة عملوا كما أسلفت من وراء شخصيات إسلامية معروفة. ولكنهم تعمّدوا أن تكون هذه الشخصيات على الأغلب من العلويين، وبذلك اقترنت هذه الفرق بالشيعة لالتقائهم بمبدأ إمامة العلويين، ولذلك فقد درج المؤرخون على إطلاق اسم الشيعة على هؤلاء الغلاة.

(١). السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٨٢-٨٧.

٢ - أن أغلبية هذه الفرق نشأت بين الموالي الذين وضعتهم السيادة العربية في ظل الحكومة الأموية بمركز واطيء . وبذلك فإنها بانتمائها هذا ، فرق سياسية وحركات اجتماعية تعمل على تقويض السيادة العربية المتمثلة بحكم الأمويين أو الارتفاع إليها (ومن ثم لا ندهش إذا شاهدنا في الولايات الشرقية للدولة الإسلامية قيام حركة شعارها تأويل أحكام الشريعة وتفسيرها تفسيراً أقل حرجاً وضيقاً ، تلك الحركة التي كان المقصود منها مناوأة العرب والأمويين جميعاً ، ولم يرد الفاتحون من العرب والأمويين يوجه خاص أن يدعونا لما كانت تدعوا إليه من المطالب العادلة وما كنت تنشده من ضروب الإصلاح)^(١) وحيث أن الشيعة كانوا يشكلون أكبر قوة معارضة فمن البديهي أن تنتظم هذه الفرق في داخل الكيان الشيعي الواسع ، وهذا ما يفسر لنا (عمل هذه الآراء في نطاق الدعوة العباسية)^(٢) كما أن طموح العباسيين ودعاة الحركات الشيعية جعلهم يتفاوضون عما يأتي به هؤلاء من مبادئ ربما تكون هدامة ، وقلت في فصل سابق أن تعدد الفرق الهاشمية إلى خمس فرق بعد وفاة أبي هاشم ربما جاء من طموحات بعض الدعاة الذين أرادوا أن يحتوا هذه الفرق وما اشتملت عليه من تنظيم وأنصار .

٣ - عمل الغلاة من وراء هذا الإمام أو ذلك ، ومن خلال مسألة الإمامة التي كانت بداية الاختلاف بين المسلمين^(٣) ، ونظراً للمركز الروحي للعلويين في العالم الإسلامي ، ذلك المركز الذي كسبه من قبل انتمائهم للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وكذلك من مصارعهم المتكررة التي لم يختلف المسلمون على اعتبارها تضحية وفداء للتعاليم الإسلامية ، فقد وجد الغلاة أن العمل من خلالهم والغلو فيهم سوف لا يتمخض عن ردة فعل عنيفة كالتى تحدث لو كان الغلو في غيرهم

(١) . السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٥٧ .

(٢) . الغلو والحركات الغالية ص ٩٤ .

(٣) . مقالات الإسلاميين ص ٤٩ ، وانظر: الغلو والحركات الغالية ص ٧٥ .

من أئمة ورجال (كذلك لم يكن ميلهم إلى أهل البيت إلا رغبة فيما كانوا ينتظرونه على أيديهم من الحكم بالحق والعدل في السيرة)^(١)، ولربما كان لهذه الآراء الغالبة في الأئمة العلويين مدد لتلك التي نشأت في البيئات غير العربية والتي كانت بقية من عبادة الملوك كما يرى فان فلوتن^(٢).

٤. لقد ترددت في أرجاء البيت العلوي - محط أنظار الشيعة - أنباء غيبية كثيرة لا سبيل إلى إنكارها وقد لاقت هذه الأنباء هوى في نفوس الغلاة الذين حاولوا أن ينسجوا منها قدسية هؤلاء العلويين وقد توسعوا بهذه الأنباء حتى جعلوا منها قصصاً أشبه بالأساطير، ولكننا تجاه تواتر الروايات لا نملك إلا أن نقر بصحة أطراف مما ورد منها.

ففي نهج البلاغة خطب للإمام علي تدخل في باب الملاحم الذي يعني الأخبار عن حوادث عظيمة ستحدث في المستقبل، كما أن علياً أجاب حين سئل عن مصدر علمه ذلك، بأنه تلقى تلك الأنباء من الرسول الكريم الذي تلقاها بواسطة الوحي كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة خطباً أخرى للإمام علي تدخل في باب الملاحم لم تكن موجودة في النهج ولكن يجب أن نؤكد أن الأنباء الغيبية في أواخر القرن الأول وأول الثاني الهجري، لم تأت من طريق العلويين والشيعة فقط، فقد تحدث بها الأمويون أيضاً، وتحدث بها ناس كثيرون لا يسبيل إلى نسبتهم إلى أي من فرق الغلاة أو الشيعة، ولعل كثرة ما روى منها تعطينا صورة واضحة لما اشتمل عليه تفكير المسلمين في ذلك العصر، بيد أن أكثر ما روي عن آل البيت لما يتجاوز الأخبار عن مصارع أعلامهم الثوار وما يعقبها من أحداث فهناك أخبار عن مقتل الحسين بن علي وكربلاء^(٣)، وعن صلب زيد بن

(١). السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ١٠٥.

(٢). السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٧٦.

(٣). انظر: وقعة صفين ص ١٤٠.

علي في كناسة الكوفة^(١)، ومقتل محمد النفس الزكية بين أحجار الزيت في المدينة المنورة^(٢) ومقتل الحسين بن علي الحسيني بفخ^(٣) وغير هؤلاء كثيرون، ويبدو أن المتأخرين توسّعوا في هذه الروايات حتى خرجوا بها عن الحد المعقول، ويبدو كذلك أن الناس كان يستشرفون أحداثاً تقع بعد مصرع كل واحد من أولئك الأعلام. يقول اليعقوبي أنه (لما قتل زيد تحركت الشيعة بخراسان . . . وظهر الدعاة ورويت المنامات وتدور ست كتب الملاحم)^(٤). كما أن الملاحم والتنبؤ بما يحدث لم يكن بالأمر المستنكر حتى عند المنتورين من علماء المسلمين، فقد أقره ابن خلدون بمقدمته، وأن أنكر التوسع فيه، وشهر بما نسج حوله من أساطير^(٥). ولعل فكرة المهدي المنتظر أشهر ما أشتمل عليه موضوع الأخبار بالغيبيات وقد تجاوزت فكرة الأخبار عن مصائر الأشخاص والجماعات إلى التنبؤ بمصير العالم. والملاحظ أن المحدثين درجوا على اعتبار (المهدية) فكره شيعية خالصة^(٦). (ترجع إلى أصل يهودي أو مسيحي)^(٧) ويعزّون ذبوع هذه الفكرة في العالم الإسلامي إلى اليهود والمسيحيين الذين دخلوا الإسلام^(٨)، ولربما لهم في ذلك بعض الحق. إن احسنا بهم الظن. لأن اليهود والنصارى يعتقدون بمصلح منتظر في آخر الزمان هو (إيليا) عند اليهود وعيسى بن مريم عند المسيحيين^(٩) كما أن

(١). مقاتل الطالبين ص ٨٨-٨٩.

(٢). مقاتل الطالبين ص ١٨٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٢٩٠.

(٤). تاريخ الطبري ٦٩/٣.

(٥). مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ وما بعدها.

(٦). ضحى الإسلام ٢٣٥/٣ وما بعدها.

(٧). السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ١١٥.

(٨). نفس المصدر ص ١١٥.

(٩). الشيخ محمد حسن آل ياسين: المهدي المنتظر بين التصور والتصديق ص ٢٦.

المسلمين على اختلاف مذاهبهم - وليس الشيعة وحدهم - يؤمنون بفكرة المهدي (وهكذا تلتقي الديانات الثلاث في الإيمان بالفكرة)^(١) يبدو أن هذه الفكرة ألصق بالشيعة من غيرهم ، وذلك فيما احسب لأن الشيعة يسمون شخصاً بعينه ، ويعتقدون أنه هو المهدي الموعود وهو محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) عند الإمامية أكبر فرق الشيعة . وكذلك فإن لكل فرقة شيعية مهديها ، ولعل تسمية هؤلاء الرجال بالمهدي كان من مظاهر القداسة التي ألقتها هذه المذاهب على العلويين .

ويبدو أن فكرة المهدي تركزت عند الشيعة نتيجة الاضطهاد والقسوة التي عوملوا بها خلال العهدين الأمويين والعباسي ، إذ كان تجاه قسوة الحكام يستشرفون الغيب ويمنون أنفسهم بالمهدي لينقذهم من المحنة وينتقم لهم من ظالمهم ، ويبدو كذلك أن الحكام شجعوا الفكرة في بعض الأحيان لأنها تجعل هؤلاء الساخطين مستنمين لها وموطنين أنفسهم على الأذى والاضطهاد ، انتظاراً لظهور المهدي المنتقد .

وهذا الموجز فيما تمخض عنه الحكم الأموي وثورات العلويين ضده من حركات غالية استهدفت في بعض جوانبها معالم الدين ، هذا الموجز يجب أن لا ينتهي دون التأكيد على أن ظاهرة الغلو لم تكن خاصة بمذاهب الشيعة أو الفرق التي اتسع اسم التشيع لها ، فقد قلنا أنها انتشرت بين أكثر المذاهب الإسلامية وانتظمت في صفوفها^(٢) وقد ساعدها على ذلك أنها كانت لا تطلع على مبادئها إلا من تتوسم فيه الإخلاص لها ، وإلا من تكررهم لدعوتها^(٣) .

كما يجب أن لا ينتهي هذا الموجز دون التأكيد كذلك على موقف العلويين

(١) . المصدر السابق ص ٢١ .

(٢) . الغلو والفرق الغالية ص ٨١ .

(٣) . السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ص ٩٢ و ٩٨ .

الذين دارت حولهم أكثر معتقدات المغالين، فقد كان الإمام علي يقول: هلك في رجلان، محب غال، ومبغض قال^(١) (وجاء محمد بن الحنفية فشارك أباه في آراءه الدينية، وتورع عن أن يتنفع ويستفيد مما أحرزه أنصاره من النجاح في الدعوة لآل البيت، كما انكر عليهم ما كانوا ينسبون إليه من احاطته من العلوم ما وراء الطبيعة)^(٢)، وكتب الى بعض الشيعة في العراق ينهاهم عن الخوض في الاساطير، ويرأ إلى الله من المؤمنين بها)^(٣) ولقد رفض كل ذلك رغم طموحاته السياسية، ومحاولته توظيف المختار لخدمتهما، بيد أننا نملك أكثر من دليل على أن ولده أبا هاشم، لم يسلك مسلك أبيه، فقد تغاضى عن تلك الآراء، وربما شجعها مادامت تخدم طموحاته، وتمهد لمآربه السبيل، ولكن مركزه لم يكن في يوم بمصاف مركز الإمام علي بن الحسين زين العابدين عند أي من العلويين أو غيرهم من المسلمين، وعلي زين العابدين أنكر هذه المعتقدات ورفضها بشدة بل ولعن أصحابها^(٤)، وكذلك فعل ولده الباقر ثم الإمام الصادق^(٥) (عليه السلام)، يقول ابن خلدون: (وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة، فإنهم لا يقولون بها، ويبطلون احتجاجهم عليها)^(٦) ولا أدل على سلامة سلوك هؤلاء الأعلام من كل ما أثير حولهم. موقف أصحاب الآراء الرشيدة تجاههم، كالمعتزلة ومن نهج نهجهم في الاعتماد على العقل في فهم العقائد، وقد ادعى المعتزلة بشيء من الإدلال والفخر أن منهجهم كان خلاصة لتراث آل محمد العلمي^(٧) وأنهم

(١). نهج البلاغة ٣/١٦٤.

(٢). السيادة العربية ص ٩٢.

(٣). تاريخ الطبري ٦/١٠٣، طبقات ابن سعد ٥/٦٨.

(٤). طبقات ابن سعد ٥/١٥٩.

(٥). الملل والنحل ١/١٦٦.

(٦). مقدمة ابن خلدون ص ١٧٢.

(٧). شرح نهج البلاغة ١/١٧١.

يفتخرون من النبع الذي أفاضه علي ابن الحسين وجعفر الصادق وزيد بن علي
(عليهم السلام).

واحسب أن صاحب التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية قد ذهب بعيداً
عن الحقيقة حين قال: أن الأئمة العلويين تفاضوا عما يأتي به هؤلاء الشيعة كسباً
لهم وانتفاعاً من جهودهم لاسقاط الأمويين^(١).



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

(١). التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. ٢/١٤٦.



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

الفصل السابع

الدعوة العباسية

وسقوط الدولة الأموية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية

ذكر المؤرخون أن الدعوة إلى بني هاشم انتقلت إلى الفرع العباسي منهم بعيد وفاة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، الذي اغتيل بالسم في إحدى قرى الشام سنة ٩٧هـ^(١)، وذكروا أن أبا هاشم حين أحس بالوفاة وهو عائد من وفادته على سليمان بن عبد الملك، مال إلى (الحميمة) وفيها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فأوصاه وصرف إليه الشيعة، وأعلمه أن الأمر صائر إلى ولده^(٢) ويبدو أن دعوة أبي هاشم كانت على شيء من التنظيم والنضوج، وكان هو عظيم القدر^(٣). ولعل سبب وصيته إلى العباسيين دون ذويه من بني علي أنه لم يجد فيهم من يصلح لحمل أعباء الدعوة، التي بدأت تأتي أكلها، أو لأنه خاف أن يعاجله الموت قبل أن يعين خلفاً له،^(٤) ولربما اقتعل العباسيون هذه الوصية التي آمنت بها فرقة من الشيعة تسمى الرواندية. وكانت تتولى بني العباس وتري أن الإمامة انتقلت إليهم من أبي هاشم. وهو رأي يؤكد أهمية أبي هاشم كما يؤكد هذه الأهمية الاختلاف الكبير بين فرق الشيعة على خليفة أبي هاشم^(٥) فقد ذكروا أن أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار،^(٦) اختصموا مع

(١). تاريخ اليعقوبي ٤٦/٣.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٤٦/٣ والمعارف ص ٢١٧.

(٣). المعارف ص ٢١٧.

(٤). تاريخ الإسلام السياسي ١٠/٢ وهارون الرشيد ٢١/١.

(٥). فرق الشيعة ص ٥٤.

(٦). عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار، من شعراء بني هاشم وفرسانهم وأجوادهم، ظهر بالكوفة سنة ١٢٧هـ أيام يزيد بن الوليد الأموي، ودعا إلى الرضا من آل محمد، وظهر سيماء الخير، وقد وصفته بعض المصادر بغير ذلك. قالوا: كان قاسياً يسيء السيرة رديء

أصحاب محمد بن علي العباسي ، غير أن عبد الله بن معاوية الذي أعلن الثورة في الكوفة ودانت له بعض النواحي ، بدأ يشكل تهديداً للدعوة العباسية التي بدأت تسير سيراً حثيثاً إلى أهدافها .

على أن المؤرخين اجمعوا على أن سنة مائة للهجرة كانت بداية انطلاق الدعوة العباسية إلى الآفاق^(١) وقد ربط العباسيون ذلك بنبوءة قالوا أنهم توارثوها عن أسلافهم مفادها أن رأس المائة سيشهد تغييراً لصالح بني هاشم^(٢) وهي فكرة طريقة لها تأثير فعال ، ويبدو أن العباسيين حاولوا أن ينشروا نبوءة انتقال الملك إليهم على نطاق واسع ، فرويت في ذلك روايات كثيرة .

قالوا: أن محمد بن الحنفية أخبر محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أن الخلافة صائرة إلى ولده ، وقال له : إذا مضت مائة سنة فوجه دعائك ، وأعلم أن الأمر صائر لابن الحارثية .^(٣) وذكروا مثل ذلك عن أبي هاشم .

لقد كانت سنة مائة للهجرة سنة انطلاق الدعوة العباسية إلى العراق ثم خراسان ، وقد اختار العباسيون مبادئ الدعوة بعناية فائقة ، إذ توخوا أن تكون خالية من الأهواء ، ولا أثر لوجود ولاء آخر يحول بينهم وبين الأنضواء تحت لوائهم ، وبهذا فقد حاربوا كل الدعوات التي بدأت تنازعهم في الاستحواذ على ولاء هؤلاء الناس ، ويبدو أن الدعوة كانت قد سارت شوطاً بعيداً قبل هذا التاريخ ، إلا أنها أخذت هيئتها في هذه السنة . ولقد حدد محمد بن علي العباسي

المنذهب ثم خرج عن الكوفة وغلب على مياها ومياه البصرة . وهمدان والري وقم وقومس وأصفهان وفارس وأقام بأجها ٩٩٩ سنة ١٢٨هـ ، ثم خرج عنها إلى خراسان عندما اقتربت منه جيوش مروان ، وكان أبو مسلم قد ظهر طمعا في نصرته ، إلا أن أبا مسلم حبسه ثم دس إليه السم ، انظر مقاتل الطالبين طبعة أحمد صقر ص ١٦١ . ١٦٩ ، وتاريخ الطبري ٣٠٢/٧ . ٣١٠ و ٣٧١/٧ . ٣٧٤ .

(١) . تاريخ يعقوبي ٥٢/٣ .

(٢) . تاريخ الطبري ٤٢١/٧ .

(٣) . البدء التاريخ ٥٩/٦ .

لدعائه الميادين المؤهلة لرعاية غرس الدعوة عندما قال لدعائه :

(أما الكوفة وسواها فهناك شيعة علي بن أبي طالب . وأما البصرة فعثمانية تدين الكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق نصارى . وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وعداوة لنا راسخة ، وجهلاً متراكماً ، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة . وقلوباً لم تنقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة ، ولم ينقذ فيها فساد ، وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحازب الاتباع بالسادات ، وكتحالف القبائل وعصبيية العشائر ، ولم يزالوا يُذالون ويمتهنون ويُظلمون ويكظمون ، ويتحنون الفرج ، ويؤملون الدول ، وهم جندٌ لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة . وبعد فإني أتفائل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق^(١) .

كما أمر دعائه أن يتجنبوا شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليضمن وحدة صف أنصاره قدر المستطاع ، وحتى لا يستثير نزعة الولاء لديهم أمر أن تكون الدعوة بادئ بدء للرضا من آل محمد . وأن لا يباح باسمه إلا بعد أن يضمنوا الاستجابة . نفى بعض المصادر : (لما أراد محمد بن علي توجيه أبي بكرمة ، واسمه زياد بن رهم أحد شيعته إلى خراسان دعاه فقال له : وإن دعوت أحدا فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد ، فإن وثقت بالرجل في عقله وبصيرته ، فاشرح له أمركم . . . واحذر غالباً ورهيطاً له قد ظاهره على رأيه من أهل الكوفة . . . فإنهم قد سمعوا في الفتنة ، وقد برأنا منهم ، فأبرأوا منهم ،

(١) . عيون الأخبار ١/٢٠٤ ، وانظر كذلك رسائل الجاحظ ١/١٦ والبدء والتاريخ ٥٩/٦ .

وكانوا غالب وأصحابه فاطميين ، دانوا بإمامة محمد بن علي بن الحسين .^(١)

ومثلما اختاروا خراسان لخلوها من الأهواء والنزعات ، فقد توخوا أن تكون دعوتهم أولاً بين القبائل العربية المضطهدة ، مستفيدين من العصبية القبلية التي أخذت الآن مساراً يتسم بالشدة ، والانحياز التام للعصبية القبلية دون النظر إلى أي من الجوانب الأخرى التي يمكن أن تنزع إليه النفس الإنسانية ، من دين وموطن وخلق وغير ذلك ، وكانت خراسان من أشد ميادين الصراع القبلي ضرواة ، ولقد عانت قبائل اليمن من سلطة المضربين الشيء الكثير ، فكانوا لذلك أقرب للاستجابة والانتصار لكل داعية إلى الانتصاف من خصومهم ، وكانت أوامر محمد بن علي العباسي لداعيته في خراسان أن ينزل اليمن ، ويلطف بمضر^(٢) ، ويتجنب دعاة العلويين ، إلا أنهم رغم ذلك فقد أفادوا بما وقع للعلويين من تقتيل وتشديد فائدة لا يستهان بها ، ويؤكد المؤرخون أن مقتل يحيى بن زيد العلوي في خراسان كان مشاراً لاختلاف شديد بين الناس ، استغله اليمانيون للانتصاف من مضر ، فحبس نصر بن سيار عامل الأمويين على خراسان علي بن الكرماني ، الذي استطاع أن يهزب من سجنه ويعلن العصيان ، وزعم أنه يطلب الكتاب والسنة والرضا من آل محمد .^(٣) بيد أن استلام وال يماني مقاليد الأمور في خراسان أفاد دعاة بني العباس من قبائل اليمن ، وجعلهم بمنجاة من عقوبة هذا الوالي ، ففي تاريخ الطبري وغيره ، خبر له دلالة كبيرة على ذلك ، وعلى استغلال هؤلاء الدعاة هذه العصبية التي بدأت الآن تهدد الدولة بأوخم العواقب ، ومفاد الخبر : أن هشام بن عبد الملك ضم خراسان إلى أمير العراق خالد القسري ، فولأها أخاه اسدين عبد الله ، فأخذ جماعة من دعاة بني العباس ، فقتل بعضهم وحبس آخرين ، وكان فيهم سليمان بن كثير - كبير الدعاة - ومالك بن الهيثم وغيرهما ، فأتي بهم ، إلا أن سليمان أدلى عليه بانتسابه إلى قبائل اليمن ، قال :

نحن والله كما قال الشاعر :

(١) . أخبار الدولة العباسية . ص ١٠٤ وانظر لذلك تاريخ الطبري ٢٩/٧ .

(٢) . الكامل في التاريخ ٢٠٠/٤ .

(٣) . البدء في التاريخ ٦٢/٦ .

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
تدري ما قصتنا؟ صيرت والله العقارب بين يديك أيها الأمير، إنا أناس من
اليمن وأما هذه المضربة إنما رفعوا إليك هذا لأننا أشد الناس على قتيبة بن مسلم،
وإنما طلبوا بثأرهم.
فأطلق سراح اليمنيين والربعيين. إلا أنه عاقب المضربين من هؤلاء الدعاة
بقسوة. (١)

حدث ذلك سنة ١٠٥ هـ، وقبلها كان ولاية بني أمية على خراسان قد ارتابوا
بتحركات بعض دعاة بني العباس، فقبضوا عليهم، وكادوا أن يكتشفوا أمرهم
لولا مجيء ناس من أهل خراسان من ربيعة واليمن إلى الوالي، وشهادتهم لهم
بأنهم ناس تجار، ولا خوف منهم، فخلى سبيلهم (٢).

غير أن اضطراب أمر بني أمية فيما بعد في الشام، ونشوب نار العصية في
خراسان مهد لنجاح الدعوة العباسية على أكثر من صعيد.
ففي سنة ١٢٦ هـ قتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك قرب تدمر،
وكان ذوهه قد اتهموه بالفسق والتهتك، وأزروا ابن عمه يزيد ابن الوليد الملقب
بالناقص الذي أعلن العصيان، ثم ساور الوليد حتى قتله.

وبويع له بالخلافة، غير أن المثير للانتباه تأكيد المؤرخين على أن يزيدا كان فيه زهد
وعدل وخير غير أنه قدرى، وأنه دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه (٣)، ولعل في ذلك
ما يؤكد الرأي بأن الثورة بالوليد بن يزيد لم تكن لتهتكه وقسوته وما كان عليه من اللهو
وشرب النبيذ، وإنما لسبب آخر أكيد، وهو أن العصية القبلية التي أثارها مقتل خالد بن
عبد الله القسري استفزت الثائرين بالوليد، لا لدين ولا لغيره، وإنما ثارا لمن قتل من
سرواتهم؟، يقول أحد شعرائهم:

(١). تاريخ الطبري ١٠٨/٧.

(٢). الكامل ١٨٢/٤.

(٣). تاريخ الطبري ٢٦١/٧.

لقد سكنت كلب وأسباق مذحج صدى كان يزقوا ليله غير راقد^(١)
تركن أمير المؤمنين بخالد مكبا على خيشوبه غير ساجد
فإن تقطعوا منا مناط قلادة قطعنا به منكم مناط قلائد

ومهما يكن فإن مقتل الوليد لم يمض بسلام، فلم يستتب أمر يزيد بن الوليد الذي لقب بالناقص لأنه نقص من أعطيات الناس الزيادة التي كان قد منحها سلفه الوليد^(٢)، فقد اضطرب أمر بني أمية اضطرابا شديدا، فوثب سليمان بن هشام بعمان وتوجه إلى دمشق^(٣)، ووثب أهل حمص طلبا بدم الوليد وتوجهوا إلى دمشق^(٤)، وفي نفس الوقت وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه^(٥). غير أن يزيدا ولى أمر العراق منصور بن جمهور، قالوا فيه: كان إعرابيا جافيا غيلانيا، ولم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية وحميته لقتل خالد، فشهد لذلك قتل الوليد^(٦).

غير أن نصر بن سيار وإلى خراسان التي ضمت إلى العراق، امتنع من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور عليها^(٧)، إلا أن نصرا لم يلبث حتى أقر ثانية على عمله من قبل عبد الله بن عمر بن العزيز الذي خلف المنصور في ولاية العراق، ولكن نصر لم يهنأ بولايته بعد إقراره، فقد نشب النزاع بين اليمانية والنزارية فيها بشكل عنيف، فقد خرج الكرمانى (جديع بن علي بن شبيب واجتمع إليه انصاره من أهل اليمن، واجتمعت المضرية إلى نصر، غير أن نصر استطاع أن يحبس الكرمانى، لكن الأمر تفاقم على نصر حين هرب الكرمانى من سجنه وأعلن

(١). الأبيات في تاريخ الطبري ٢٦٠/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٢٦٢/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٢٦٢/٧.

(٤). تاريخ الطبري ٢٦٥/٧.

(٥). تاريخ الطبري ٢٦٦/٧.

(٦). تاريخ الطبري ٢٧٠/٧.

(٧). تاريخ الطبري ٢٧٧/٧ والأخبار الطوال ص ٣٥٢.

وفي الشام، أظهر مروان بن محمد وكان في أرمينية الخلفا على يزيد بن الوليد، وتحرك إلى الجزيرة معلناً الطلب بدم الوليد ابن يزيد، ووثب ابنه عبد الملك بن مروان على حران ومدائن الجزيرة^(٢)، غير أن يزيد لم يلبث أن مات بعد أن ملك ستة أشهر وخلفه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي لم يتم له أمر^(٣) فسار مروان بن محمد إلى الشام واستولى على الخلافة فيها سنة ١٢٧هـ^(٤).

كان مروان بن محمد رجلاً حازماً، غير أن الأحداث كانت أكبر من حزمه، فلم يكفد يفرغ من أمر الشام حتى أعلن أهلها عليه الخلفا في حمص، فسار إليها بنفسه^(٥) ولم يكفد يقضي على حركتهم حتى بلغه أن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري قتل يوسف بن عمر الثقفي وهو مجوس، وأن عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك الذي رأى اضطراب الأمر على مروان أمره بقتل ابني الوليد بن يزيد كذلك^(٦)، وحين هم مروان بالعودة إلى دمشق بلغه أن الضحاك ابن قيس الحروري قد غلب على ناحية العراق وحارب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسطة، ثم سار إلى الجزيرة وصار إلى نصيبين وحاصر عاملها ثم نفذ إلى حران وفيها مروان فحاربه محاربة شديدة، حتى قتل سنة ١٢٧هـ^(٧).

وكان منصور بن جمهور قد ناصر الضحاك خلفاً لمروان، ثم عاد إلى الكوفة بعد قتل الضحاك وجمع إليه اليمانية، فقاتلهم ابن هبيرة أمير العراق

(١). تاريخ الطبري ٢٩٠/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٢٩٥/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٢٩٩/٧.

(٤). تاريخ الطبري ٣٠٠/٧.

(٥). تاريخ الطبري ٣١٣/٧ واليعقوبي ٨٤/٣.

(٦). تاريخ اليعقوبي ٨٤/٣.

(٧). تاريخ الطبري ٣١٦/٧ وتاريخ اليعقوبي ٨٥/٣.

لمروان^(١).

وأعلن سليمان بن هشام بن عبد الملك العيصيان، وخلع مروان، وبإيعه على ذلك جند كثير من أهل الشام، فسار إليهم مروان حيث اجتمعوا في قنسرين، وحدثت بين الفريقين حرب ضروس كان ضحاياها ألوف كثيرة من جند الشام^(٢). ومضى سليمان وقلول جيشه إلى حمص. وآلوا أن يقاتلوا حتى النفس الأخير، غير أن مروان غلبهم على حمص، فانتقل سليمان إلى تدمر، واستمر مروان في حصار حمص بضعة أشهر^(٣).

وفي روايات أخرى أن سليمان بن هشام لما هزم في حربه مع مروان هرب إلى عبد الله بن عمر وخرجا معا إلى الضحاك، وبإيعاه، وهو حدث غريب في تاريخ النزاع السياسي في الدولة الإسلامية، إذ لم يسبق لقريشي أن يبايع غيره من العرب ويسير تحت لوائه، حتى قال أحد الشعراء الخوارج:

ألم تر أن الله أظهر دينه ~~فصلت قريش~~ خلف بكر بن وائل^(٤)

على أن الشام استقام أمرها لمروان أواخر سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة. فنفى عنها من كان قد خالفه، إلا أن اضطراب أمر العراق لازال يهدد خلافة الشام بالخطر، وقد ذكرت أن أمر الضحاك استفحل فيه، وأزره عبد الله بن عمر الذي استبدله مروان بيزيد بن عمر بن هبيرة، الذي استطاع أن يهزم خليفة الضحاك على الكوفة^(٥)، غير أن منصور بن جمهور الذي فر من المعركة التي قتل فيها الضحاك دخل الكوفة وجمع إليه اليمانية والصفرية من الخوارج فقاتل ابن هبيرة، ثم انهزم حتى نزل السند وكان عاملها قرابة له، غير أن العلاقة بينهما

(١). تاريخ الطبري ٣١٨/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٣٢٥/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٣٢٦/٧.

(٤). تاريخ الطبري ٣٢٧/٧.

(٥). تاريخ اليعقوبي ٨٦/٣ والطبري ٣٢٨/٧.

توترت ثم أفضت إلى حرب انتصر فيها منصور وقتل عامل السند، ولم يزل مقيما بها حتى ظهر أبو مسلم^(١).

وفي خراسان التي اشتدت فيها شوكة الكرمانى وبدأ يظهر على نصر بن سيار، فقد أخذ سلطان الأمويين عليها بالانحسار، حيث استطاع أبو مسلم الخراساني أن يضم إليه الكرمانى، غير أن مقتل الكرمانى مهد السبيل لأبى مسلم بالاستيلاء على عسكره وإعلان الدعوة لبني هاشم، ولم تنفع نصر استغاثاته المتكررة في طلب المدد، لانشغال الخليفة بالمشاكل التي اعتورته من كل جانب، وتحفظ كتب الأدب والتاريخ بأبيات له أرسلها إلى مروان في آخر أحد كتبه إليه منها:

أرى بين الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين توري وأن الفعل يقدمه الكلام
أقول من التعجب لبت شعري أيقاظ أمية أم نيام^(٢)

غير أن قوة أبى مسلم بدأت تنامي بسرعة. ولم يكد منها محاولة عرب خراسان التوحد ونبذ الخلافات إزاء هذا الخطر الداهم. وتذكر بعض المصادر أن الدعوة العباسية لم تر في القبائل العربية سندا قويا، وإنما وجدت في نشوب العصية بينها سندا لإضعافهم والسيطرة على ما في أيديهم.

قالوا: كانت وصايا إبراهيم الإمام، وكتبه إلى أبى مسلم بخراسان: أن استطعت أن لا تدع أحدا يتكلم العربية إلا قتلته فافعل. وإيما غلام بلغ خمسة أشبار تهمه فاقتله، وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار فإبد خضرائهم، ولا تدع على الأرض منهم ديارا^(٣).

غير أن أبى مسلم بدأ يستشعر القوة، فلبس السواد وأعلن الدعوة سنة تسع

(١). تاريخ اليعقوبي ٨٧/٣.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٨٨/٣، الأخبار الطوال ص ٣٥٧ زمروج الذهب ١٨٩/٢.

(٣). شرح نهج البلاغة ٢٦٨/٣.

وعشرين ومائة ، وكتب إلى نصر :

أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال : ((وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا واستكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)).

فلما ورد الكتاب لنصر تعاضمه وكسر إحدى عينيه ، وقال : أن لهذا الكتاب لأخوات^(١) .

كانت سنة ١٢٩ هـ سنة إعلان الدعوة العباسية بشكل سافر في خراسان ، إذ عرف الدعوة ما آل إليه أمر خراسان جراء احتدام نزاع القبائل واضطراب الجبل^(٢) ، فكتب سليمان بن كثير كبير الدعوة فيها إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب للإمام إبراهيم بن محمد العباسي أن يرسل إليهم رجلا من أهله ، غير أن إبراهيم جعل الأمر إلى أبي مسلم الخراساني ، الذي استطاع أن يلم إليه دعاة الأطراف ، وبدأ أمر خراسان يستقيم له ، حتى إذا حلت سنة ١٣٠ هـ بدأ أمر نصر بن سيار الذي أنهكه اختلاف القبائل بالتراجع أمام جيوش أبي مسلم التي يقود ثلاثتها قحطبة بن شبيب حتى إذا حلت سنة ١٣١ هـ مات نصر بن سيار قرب همدان . وبدأت ثلاثه هذا الجيش تدخل العراق^(٣) ، حين انتصرت على جند الأمويين في نهاوند وافتتحت شهرزور . وتوجهت لملاقات ابن هبيرة في العراق . وكان ابن هبيرة قد خرج إلى أطراف العراق لمواجهة جيش قحطبة ، إلا أن الأخير تجنب الاصطدام به ، وبادره إلى الكوفة ، التي خرج فيها الآن محمد بن خالد بن عبد الله القسري فنفي أميرها واحتلها باسم العباسيين .^(٤) وبدأ أبو سلمة الذي استلم إدارة العراق يوجه الجيوش إلى واسط لقتال ابن هبيرة^(٥) .

(١) . شرح نهج البلاغة ٢/٢٨٠ .

(٢) . تاريخ الطبري ٧/٣٥٣ .

(٣) . انظر التفاصيل في تاريخ الطبري ٧/٤٠٧ .

(٤) . تاريخ الطبري ٧/٤١٧ .

(٥) . تاريخ الطبري ٧/٤١٧ .

غير أن الدعوة العباسية منيت بانتكاسة كبرى وهي في أوج انتصارها حين عرف مروان أن رأس الدعوة وإمامها إبراهيم بن محمد المقيم في الحميمة ، فأخذه وقتله ، إلا أن إبراهيم حين أحسّ بنهايته أمر أهله بالمسير إلى الكوفة ، وأوصى إلى أخيه أبي العباس عبد الله محمد الذي عرف فيما بعد بالسفاح ، غير أن أبا سلمه انزل أبا العباس ورهطه داراً وكنم أمرهم عن القواد والجند^(١) ، لأمر يحاول تدبيره كما سنرى .

لقد اعتمد العباسيون في الوصول إلى أهدافهم طريقاً مرسوماً حاولوا أن لا يحيد عنه أي من الدعاة .

كان أول المبادئ التي اعتمدها هي انتقال شرعية الإمامة إليهم عن طريق أبي هاشم أولاً ، ثم التبشير بحق العم في الإرث دون أبناء العم أو بني البنات ، ولا شك أن ذلك الحق وجد مقابل إدعاء العلويين بحقهم في الخلافة وإمامة الأمة كونهم أبناء وأحفاد علي وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا يخفى أن ولادة مذهب الرواندية كان بمباركة عباسية لاشك فيها .

كانت الرواندية شيعة لولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم .

كانت هذه الفرقة ترى أن العباس أولى الناس بالإمامة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه عمه وعصبته ، ويقول الله عز وجل (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وإن الناس اغتصبوا حقه وظلموا أمره إلى أن رده الله إليهم . إلا أنهم أجازوا إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام) بإجازة العباس لها ، وذلك لقوله : يا بن أخي هلم إلى أن أبايعك ، فلا يختلف عليك اثنان .

ويقول داود بن علي العباسي على منبر الكوفة حين بويع لأبي العباس : لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا علي بن أبي طالب ، وهذا

(١). شرح نهج البلاغة ٢/٢٩١ وعمدة الطالب ص ١٠٢ .

القائم فيكم (يعني أبا العباس السفاح) (١).

المبدأ الثاني الذي أعتمده: اختيار ميادين الدعوة بدقة فائقة، لقد أرادوا ميداناً خالياً من العقائد المسبقة وخالياً من الولاء لأي من الأئمة السابقين، فقد تجنبوا الكوفة لأن ولاء أهلها لعلي وبنيه، وتجنبوا الحجاز لولاء أهلها لأبي بكر وعمر، كما تجنبوا الشام لأن ولائها كان لعثمان وآل أبي سفيان، كما تجنبوا الجزيرة ومواطن انتشار الخوارج، واختاروا خراسان حيث (العدد الكثير، والصدور الفارغة التي لم تقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل) ثم أنها في حاجة إلى أي داعية عدل وانصاف، إذ لم يزالوا يتالون ويمتثنون ويظلمون ويكظمون، ويتحينون الفرغ ويؤملون الدول (٢).

وإضافة لذلك فقد رأت قيادة الدعوة الكتمان وعدم التصريح بأسماء رؤوس الدعوة، وإنما جعلتها للرضا من آل محمد، وبذلك فإنهم يضمنون عدم استفزاز مشاعر شيعة علي، بل سيضمنون تعاطفهم، غير أنهم تعمدوا تجنب من عرف بولائه لآل علي (٣). إلا أنهم أباحوا لدعاتهم التصريح بأسمائهم بعد أن يثقوا بولاء من استهدف بالدعوة لهم (٤).

ومن مبادئهم في بث الدعوة اختيار القبائل المضطهدة واستغلال العصبية القبلية التي نشبت بشكل مخيف بدأ يهدد كيان الدولة الأموية بأوخم العواقب، فبالإضافة إلى فراغ صدور الخراسانيين من النزاع والأهواء، فقد اختاروا من العرب قبائل اليمن وربيعة، تلك القبائل التي وضعتها عصبية السلطة وتعسف الولاة في موقف المناويء. والمستعد للوثوب مع أي داعية، لقد استطاع أبو مسلم أن يفيد الدعوة العباسية من نزاع القبائل العربية في خراسان فائدة كبيرة. وأن

(١). مروج الذهب ٢/١٨٧.

(٢). انظر: عيون الأخبار ١/٢٠٥ وأخبار الدولة العباسية ص ٢٠٤ والبدء والتاريخ ٦/٥٩.

(٣). تاريخ الطبري ٧/٤٩ والكامل ٤/٢٠١.

(٤). انظر: أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٤.

يوجه مشاعر الحذر والترقب والعداء إلى مصلحته بذكاء منقطع النظير .

ولكي يضمن العباسيون نتائج ذلك الوضع المضطرب لصالحهم فقط فقد عملوا على افشال أي دعوة تنازعهم ولواء تلك القبائل واستغلال الأحداث التي بدأت تهدد كيان الدولة الأموية بشكل واضح . فقد عملوا على افشال ثورة زيد بن علي كما رأينا ، كما استطاعوا أن يتخلصوا من طموحات عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار الذي أعلن الثورة في الكوفة سنة ١٢٧ هـ ودعوته إلى نفسه^(١) ، وقد حاول عبد الله بن معاوية الاستفادة من دعوة أبي هاشم التي بدأت تعطي أكلها في الانتشار ، فادعى أنه خليفته في الإمامة^(٢) ، وذكر الرواة أنه انتقل إلى خراسان طمعا في نصرة أبي مسلم . حين تخرج موقفه في الكوفة وأطرافها . فحبسه الأخير ، ثم اغتاله وهو في سجنه^(٣) .

وإزاء كل ذلك فقد دعم العباسيون دعوتهم بإشاعة نبوءة تبشر بمصير الأمر إليهم ، فقد رويت أخبار كثيرة جعلت الناس على ثقة من انتصارهم ، وفي ذلك دعم كبير لروح الاقدام وعدم التردد في المضي معهم إلى نهاية الشوط .

وقد ذكرنا آنفا ما رووه عن محمد بن الحنفية وولده أبي هاشم ، وقد اختاروا وقتا لبث هذه النبوات واشاعتها يكون فيه الناس أقرب إلى النزوع إلى استشراف الغيب والتطلع إلى المستقبل ، فقد تحركوا بسرعة أثر مقتل زيد بن علي وابنه يحيى يهولون ظلم الأمويين ويستثيرون ضدهم المشاعر ، وفي تاريخ اليعقوبي أنه بعد مقتل زيد (تحركت الشيعة بخراسان وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون الناس أفعال بني أمية ، وما نالوا من آل الرسول ، حتى لم يبق بلد إلا نشأ فيه هذا الخبر)^(٤) .

(١) . الكامل في التاريخ ٤/٢٧٨ .

(٢) . فرق الشيعة ص ٥٤ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ١٤٨ .

(٤) . تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩٣ .

وتحدث المؤرخون عن خبر قدوم رؤساء دعاة بني هاشم على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فذكروا أن محمداً قال لهم: لن تلقوني بعد وقتي هذا، وأنا ميت من سستي هذه، وكان ذلك أول سنة ١٢٥ هـ، وصاحيكم ابني إبراهيم مقتول، فإذا قضى الله فيه قضاءه فصاحبكم عبد الله بن الحارثية، فإنه القائم بهذا الأمر، وصاحب هذه الدعوة الذي يؤتيه الله الملك. (١)

وقد استمر التبشير بهذه النبؤات مع كل حدث، فقد رووا أن قحطبة حين سار إلى الكوفة على غربي الفرات، وابن هبيرة على شرقه، وقف قحطبة وعبر إليه إعرابي في زروق، فسلم على قحطبة فقال ممن أنت؟ قال: من طيء، فقال الأعرابي لقحطبة: إشرب من هذا الماء واسقني سؤرك، فغرف قحطبة في قصعة فشرب وسقاه، فقال: الحمد لله الذي نساأجلي حتى رأيت هذا الجيش يشرب من هذا الماء. قال قحطبة: أتتك الرواية؟ قال: نعم، قال: ممن أنت؟ قال: من طيء، ثم أحدبني نبهان، فقال قحطبة: صدق إمامي، أخبرني أن لي وقعة على هذا النهر. لي فيها النصر، يا أخا بني نبهان. (٢)

بل أنهم رووا بعد موت قحطبة أثناء عبور الفرات إلى الكوفة أنه بشرهم بالعبور دونه، قال اليعقوبي: وكان ابن هبيرة بواسطة العراق، فتحصن بها وأدخل الطعام والأنزال وانصرف إليها خلال العساكر، وقدم قحطبة العراق فوافى بها عسكرياً ليزيد هبيرة فاستباحه، وصار إلى الزاب. وهو من الفلوجة العليا على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة فلقى يزيد بن هبيرة ليلة الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ١٣٢ هـ، فاقتلوا ساعة من الليل، ثم انهزم ابن هبيرة حتى رجع إلى واسط فتحصن بها، فلما فرغ قحطبة من قتاله قام خطيباً: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال: (أيها الناس إنا والله

(١). تاريخ اليعقوبي ٣/٨٠.

(٢). تاريخ الطبري ٤١٣/٧.

ما خرجنا إلا لإقامة الحق وإزالة دولة الباطل ، وقد أعلمتكم أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أعلمني أن ألقى نباتة بن حنظلة الكلابي . وعامر بن ضبارة المري فأهزمهما واستبيح عسكرها وأقتل مقاتلتها . وأنبأتكم بذلك قبل كونه ، وقد رأيتم صدق ما خبرتكم ، وأن الإمام أعلمني أن لا أعبر الفرات ، وأنكم تعبرونه فلا يفقد من الجيش أحد غيري ، وانه والله لا كذب فيما قال ، فإذا فقدتموني فأمير الناس حميد بن قحطبة ، والسلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته^(١) .

بل رويت بعض هذه النبوءات عما في أيدي الأمويين من الملاحم ، قالوا : أن أبا العباس بعدما بويج له في الكوفة ، وجه عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لقتال مروان بالزاب بالقرب من الموصل ، وإنما قصد مروان إلى الزاب فكانوا يتوهمون أنه زاب الموصل ، فقصد مروان وهو يرى أنه لا يجوزه ، وإنما ذلك الزاب بأقصى المغرب ، فحاربه عبد الله فهزمه ، ثم لم يزل في أثره وهو منهزم لا يلوي على شيء حتى أخرجته من الجزيرة^(٢) . ولا شك فإن لتلك الروايات تأثير مباشر على متلقيها ، توخاها العباسيون في محاولة ذكية . كانت هذه النبوءات بعض أدواتها . لتهيئة الناس لتلقي دولتهم باعتبار قيامها حدث لا بد منه .

وذكروا أن العباسيين لم يكتبوا ذلك حتى عن بني عمهم العلويين ، وهي محاولة فيما يبدو لا قناع العلويين بأن مصير الأمر إليهم لم يكن إلا قدرا محتوما ، وأن لا جدوى من طلابهم أمرا لم يكن لهم ، قالوا :
لما ساير عبد الله بن علي في آخر أيام بني أمية عبد الله بن حسن بن حسن ومعهما داود بن علي ، فقال داود لعبد الله بن حسن : لم لا تأمر ابنك بالظهور؟

(١). تاريخ اليعقوبي ٩١/٣ .

(٢). تاريخ اليعقوبي ٩٢/٣ .

فقال عبد الله بن حسن : لم يأن لهما بعد . فالتفت إليه عبد الله بن علي فقال : هيهات ، ثم تمثل :

سيكفيك الجعالة مستميت خفيف الحياذ من فتیان جرم
أنا والله أقتل مروان ، واسلبه ملكة ، لا أنت ولا ولدك^(١)

وهي رواية تتناقض مع ما ذكره المؤرخون بأن بني هاشم بايعوا أواخر أيام بني أمية محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي ، في محاولة . كما أرى . لجعل العلويين يستنيمون للدعوة ، ويكتفون بجهود دعاة العباسيين لإزالة دولة بني أمية ، فلا يعملون شيئاً يغير من مجرى الأحداث عن طريقها المرسوم بعناية وحذر .



العلويون والخلافة العباسية:

قامت الدعوة العباسية في ظاهرها على الدعوة إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وهو شعار يرضي ذوي الطموح من العلويين ، كما يرضي مَنْ يدين لهم بالولاء من أهل الأمصار الإسلامية التي كانت ميداناً لعمل الدعوة كالعراق وخراسان ، (وتجدر الإشارة إلى أن البيت العباسي لم يضع أصول الدعوة ولم يبذر بذورها ، وإنما الظروف وحدها هي التي ساقته إليه قيادة نظام سري محكم له أجهزته ودعاته وأتباعه ، فجنوا ثماراً زرعتها بنو عمومتهم العلويون)^(٢) ، وحين آلت الخلافة إليهم كان في البيت العلوي مَنْ تطمح إليه الأبصار ، ويشار إليه في مهمات الأمور :

إلا أنهم كانوا في منازعهم على طرفين :

الأول يمثلّه الإمام جعفر بن محمد الصادق ، الذي بدأت مدرسته العلمية

(١). شرح نهج البلاغة ٧/ ١٣٨.

(٢). د. محمود اسماعيل: الحركات السرية في الإسلام ص ٦٩.

الكبرى بالرسوخ والاستقرار، وقد عُرف عن هذا الإمام العظيم عزوفه عن السياسة وتجنب الصراع على السلطة، ولعله أراد بذلك أن يتفرّع لأرساء مدرسته التي بدأت تأتي أكلها؟؟؟ في خضم أفكار جديدة ومفاهيم طارئة بدأت توجه إلى الإسلام سهامها بإثارة الشكوك والتساؤلات بمنهج جديد لم يألفه المسلمون، فنشأ إزاء ذلك منهج الفلاسفة والمتكلمين في النظر العقلي ومسائل الخلاف.

لم يكن الإمام الصادق معنياً بالسياسة أيام الأمويين، وبقي كذلك حين تمخضت الدعوة العباسية عن استتباب الأمر إليها في خراسان والعراق، وفي بقية الأمصار فيما بعد، وقد ذكرت موقفه غير المبالي بدعوة أبي سلمة الخلال بصرف الأمر إليه، وسخريته من تلك الدعوة بالغة السذاجة. ولعل معرفته بأن ما يحدث الآن، كان نتيجة عمل تنظيم محكم، له دعائه وأتباعه الذين خاضوا كفاحاً مريراً لكي يصلوا إلى ما وصلوا إليه، فليس من اليسر أن يستسلموا لرغبة أبي سلمة مهما كانت دوافعه إليها، ولعل لمعرفته تلك دخل في تحديد موقفه مما يرغب فيه أبو سلمة الآن، ولا يغيب عن البال موقفه من الدعوة لبيعة النفس الزكية أواخر أيام الأمويين في مؤتمر (الأبواء) الذي عقده الهاشميون، ومن السخف أن يرد سبب موقفه ذلك إلى المعلومات الغيبية التي ورثها عن أسلافه فقط.

كان الإمام الصادق كأبيه الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، لم ير الكفاح المسلح وسيلة ناجحة في مناهضة الأمويين، وبقي كذلك أيام العباسيين الذين حاولوا أن يؤسسوا عقيدة دينية يستمد منها سلطانهم شرعيته، ويفرض من خلالها على الرعية الطاعة والولاء لهم، وعلى سذاجة المحاولة العباسية إلا أنها وجدت أعواناً لها من الفقهاء والمحدثين الذين استطاعوا تدريجياً أن يرسخوا في أذهان العامة بعضاً من تلك المفاهيم. إلا أن الإمام الصادق كان قد أسس في بعض جوانب مدرسته عقيدة مناهضة، تستمد الكتاب والسنة، وتعتمد مناهج الفلاسفة والمتكلمين وسيلة في الحججاج والاستدلال العقلي، ومحاكمة النصوص

وتوظيفها، وقد تخرجت من تلك المدرسة أمة من الناس ترى الإمامة الحقّة في غير السلطان القائم فعلا. يؤكد ذلك كثرة مؤلفات تلامذته في موضوع الإمامة وشرائطها، ولعل ذلك يعطينا سبب توجس سلطة العباسيين من زعامة الإمام الصادق وخلفائه (عليهم السلام) ومحاولة التنكيل بهم رغم عزوفهم عن السياسة في ظاهر الأمر، وتجنبهم ميادين الكفاح المسلح في النزاع.

وقد مهد لمدرسة الإمام الصادق السبيل في الانتشار والرسوخ، ما أوتي هو (عليه السلام) من سعة في العلم وأفق التفكير وتفهمه العميق للغة عصره في الجدل والحجاج والاستدلال، يقول سيد أمير علي:

(ولم تتخذ الآراء الدينية اتجاهها فلسفيا إلا عند الفاطميين، ذلك أن انتشار العلم في ذلك الحين اطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أن زعامة تلك الحركة الفكرية إنما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي أسسها حفيد الإمام علي بن أبي طالب المسمى بالإمام جعفر، والملقب بالصادق، وكان رجلا بحاثة ومفكرا كبيرا جيد الإمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أول من أسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام.

ولم يكن يخضر محاضراته أولئك الذين أسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب، بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية).^(١)
غير أن اتجاه الإمام الصادق (والطرف الذي يمثله) هذا من السلطات الجائرة رافقة نشوء المذهب الزيدي (الطرف الثاني من العلويين) واتصال أقطابه بالمعتزلة الذين بدأوا يتلمسون طريقهم إلى النزاع السياسي لإشاعة مذهبهم في العدل والتوحيد بقوة سلطة يؤمن لتوجهاتهم الانتشار والذيعوع. ولم يكن المذهب الزيدي في بداية العصر العباسي قد تحددت معالمه إلا في موضوع الإمامة، حيث

(١). مختصر تاريخ العرب ص ١٩٣.

كانوا يرون أنها لا تجب إلا للعلوي الذي استوفى شروطها ثم شهر السيف بوجه الحاكم الجائر. أما أنصار المذهب الزيدي فلم يكونوا على شيء من المذهب إلا في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسنرى ذلك جليا عندما نستعرض أسماء الفقهاء وغيرهم من أهل العلم الذين قاموا مع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وغيرهما، كما أن المعتزلة حين دعوا إلى محمد النفس الزكية وغيره من أعلام البيت العلوي لم يكن دافعهم عقيدة دينية ترى أن الإمامة لا تكون إلا فيهم، وإنما وجدوهم أصلح الطموحين لتولي مهماتها وحمل أعبائها، لصفات خاصة تمثلت فيهم.

أن توجه هؤلاء العلويين إلى الكفاح المسلح ضد العباسيين، كان يورثه طموح سابق عززه توجه الانظار إليهم أواخر أيام الأمويين، إضافة إلى أن قيام الدعوة العباسية (في ظاهره) كان على الرضا آل محمد، ذلك (الرضا) الذي لم يكن ليتجاوز أحدا منهم عند أي من الداعين إلى التغيير، حتى إذا استتبت الخلافة لغيرهم (أدركوا العلويون أن العباسيين قد خدعوه، واستأثروا بالخلافة دونهم، مع أنهم أحق بها منهم، فناذبوهم العدا، ونظروا إليهم كما كانوا ينظرون إلى الأمويين من قبل، فظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إلى حقهم في الخلافة)^(١).

وإزاء مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق وخلفائه في الإمامة، ومذهب زيد بن علي ومن نهج نهجه من العلويين في شروط الإمامة، فقد حاول

(١). تاريخ الإسلام. حسن إبراهيم حسن ج ٢ ص ١٠٨، إلا أنه أضاف: (وكانوا العلويون. في هذا السور يعملون في طي الخفاء بما مهروا فيه من فنون الدعوة والمكايد والخدع). وهو رأي يعوزه الدليل. فلم يعرف ذلك عن العلويين في مناهضتهم للعباسيين، وإنما كانت ثوراتهم أشبه ما تكون بانتفاضة ابياء، تتفجر تحت وطأة الضغط الذي كان مبعثه توجس العباسيين من طموحاتهم، ثم تخمد بمثل السرعة التي شبت بها، وسنرى مثال ذلك في كل ما سنتحدث عنه في ثوراتهم، وفي تاريخ د. حسن هفوات كثيرة لا تستند على مصدر موثوق ولا تعتمد أي دليل.

العباسيون أن يؤسسوا مذهباً يقابل ذلك في الإمامة ، يستمد شرعيته من مركز ديني . وقد قلنا سابقاً أنهم كانوا يرون أن الشرعية انتقلت إليهم بوصيته أبي هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، غير أن اعتداد العلويين بالإمام علي كونه (الوصي والإمام) كما سيجيء في رسالة النفس الزكية إلى المنصور، جعل العباسيين يحاولون الغض من شخصية الإمام علي ليفوتوا على العلويين فرصة التثبيت بشرعية إمامته بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) خاصة وأن علياً أصبح رمزا مقدسا عند أكثر قوى المعارضة المطالبة بتطبيق مبدأ العدل الاجتماعي في الإسلام بمفهومه الذي طبقه الإمام علي بمثابة قل نظيرها في التاريخ .

حاول العباسيون ذلك بطريقتين ، أولهما :

أن علياً لم يكن الأفضل بين الصحابة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ اختار عليه المسلمون أبا بكر الصديق (الذي أمره رسول الله بالصلاة دون علي كما سيجيء في رسالة المنصور إلى النفس الزكية) ثم اختاروا عمر وعثمان ، ثم ولى الأمر فلم يستقم له ، وبذلك نشأ ذلك الجدل السخيف في التفاضل بين الصحابة وخاصة بين علي والخلفاء ، ذلك الجدل الذي لم يزل مستعرا حتى الآن .

كما حاول المنصور وخلفاؤه من بعده أن يطمأنوا من قدر كل الرموز التي كان يعتد بها العلويون ويعتبرون أنفسهم حملة الإرث الذي تركوه . قالوا :

لما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأخوته والنصر الذين كانوا معه من أهل بيته صعد المنبر بالهاشمية ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد (صلى الله عليه وآله) ثم قال :

يا أهل خراسان ، أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منا ، إن ولد علي بن أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير .

فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح ، وحكم الحكمين ،

فاختلفت عليه الأمة، وافتترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته حتى مات على فراشه.

ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه، فوالله ما كان برجل، عرضت عليه الأموال فقبلها، ودس إليه معاوية إنني أجعلك ولي عهدي، فخلعه وانسلخ له مما فيه، وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه.

ثم قام من بعده الحسين بن علي رضي الله عنه، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والأغراق في الفتن، وأهل هذه المدره السوء (وأشار إلى الكوفة) فوالله ما هي لي بحرب فأحاربها، ولا هي لي بسلم فأسالها، فرق الله بيني وبينها، فخذلوه وأبرأوا أنفسهم منه، فأسلموه حتى قتل.

ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه، فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه، وقد كان أبي محمد بن علي ناشده الله في الخروج، وقال له: لا تقبل أقاويل أهل الكوفة فإننا نجد في علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب في الكناسة، وأخشى إذ تكون ذلك المصلوب، وناشده الله بذلك عمي داود، وحذره رحمه الله غدر أهل الكوفة، فلم يقبل وتم على خروجه، فقتل وصلب بالكناسة. (١)

لقد كان الحط من شأن علي وبينه هدفا يسعى إليه العباسيون ويحاولون اشاعته بكل الوسائل، قيل لابن أبي حفصة: ما أغراك ببني علي؟

قال: ما أحد أحب إلي منهم. ولكن لم أجد شيئا انفع عند القوم منه (٢).
الثاني: أن العباس بن عبد المطلب كان الأولى بأرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بني بنته، كونه العم الوحيد الذي بقي بعده على قيد الحياة، وهو

(١). مروج الذهب ٢/٢٣٧.

(٢). العقد الفريد ٥/٨٩.

مبدأ أكدوا عليه كثيراً وأشاعوا القول فيه وشجعوا عليه ، وقد نال ابن أبي حفصة المذكور آنفاً ما لم ينله أحد من الشعراء لقوله :

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثته الأعمام
ولعل المنصور أول من قال ذلك ، في خطبته التي نعى بها على العلويين
توثبهم على سلطانه ، قال مخاطباً أهل خراسان في الهاشمية :

ودفع بحقكم أهل الباطل ، وأظهروا لنا حقنا ، وأصار إلينا أمرنا وميراثنا من
نبينا (صلى الله عليه وآله) فقر الحق في قراره ، وأظهر الله مناره ، وأعز انصاره ،
وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .^(١)

وقد استطاع المنصور - بعد ذلك - أن يرسخ في أذهان العامة ، بمعاونة كثير من
(الفقهاء) أن الخليفة ظل الله في أرضه ، يعمل بمشيئته ويتصرف بتوقيفه ، وهو تأكيد
لمذهب الجبر الذي أسسه الأمويون وحاربه قوى المعارضة ، ومذاهب العدل
والتوحيد التي حمل لواءها المعتزلة ، يقول المنصور في أحد خطبه :

إيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه . أسوسكم بتوقيفه ورشده ، وخازنه
على فيته ، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، إذا شاء أن
يفتحني لا عطائكم ، وإن شاء أن يقفلني عليه أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس
وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله أن يوفقني
للصواب ، ويسددني للرشاد ، ويُلهمني الرأفة بكم ، والإحسان عليكم ، ويفتحني
لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل^(٢) ، ولقد نجح المنصور في ترسيخ هذه المفاهيم ،
يقول سيد أمير علي :

(وإذا كان المنصور عالماً بالطبيعة الإنسانية ، فقد وضع ونفذ طوال حكمه
الطويل ، وبصورة تدريجية تلك المبادئ التي ساعدت على إنشاء هيئة دينية قوية

(١) . مروج الذهب ٢/٢٣٨ .

(٢) . تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ص ٢٦٣ .

متفانية في سبيل الأسرة الحاكمة الجديدة^(١)، على أن د. شوقي ضيف سمي تلك الظاهرة بالانتكاسة الاجتماعية (إذ نظر الناس إلى الخليفة على أنه وريث شرعي. وأن حقه بالخلافة مقدس، ومن غير شك تقع تبعة ذلك على الفقهاء)^(٢). وعلى ذلك فقد أخذ النزاع بين فرعي هاشم جانيه الأدبي والمسلح بلا هوادة. (فقد استبد بالأدب الشيعي غرض واحد هو الخلاف المذهبي وقد كان ذلك طبيعياً أمام دولة جديدة أحدث قيامها قضية جديدة)^(٣). كما استبد بالطموحين من البيت العلوي هاجس الثورة (كلما قام خليفة عباسي، قام داع علوي، يدعو لنفسه، ثم يقاتل فيقتل، أو يعرف أمره قبل الخروج فيحبس أو يسم)^(٤).



مركز تحقيقات تاريخية إسلامية

-
- (١). مختصر تاريخ العرب ص ١٩٩.
 - (٢). د. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ص ٢٩.
 - (٣). أدب الشيعة ص ٥٥.
 - (٤). أدب الشيعة ص ٥٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی



مركز بحوث الكمبيوتر علوم إرسوى

الفصل الثامن

ثورة محمد النفس الزكية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كان عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب شيخ بني هاشم والمقدم فيهم ، وذا الكثير منهم فضلا وعلمًا وكرما^(١) ، وكانوا يقولون : انتهى كل حسن إلى عبد الله بن الحسن ، وكان يقال : من أحسن الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن . ويقال من أفضل الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن ، ويقال : من أقول الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن^(٢) وكان إلى ذلك بهي الطلعة عليه من المهابة والجلال ما يشد إليه أفئدة الناظرين إليه . قال أحدهم : رأيت عبد الله بن الحسن ، فقلت : هذا والله سيد الناس . كان ملبسا نورا من قرنه إلى قدميه .^(٣) وكان رحمه الله كثير الاعتداد بنسبه ونفسه ، إذ كان يسمى المحض لصراحة نسبه ، اجتمعت فيه ولاية الحسن والحسين (عليهما السلام) فأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ، وكان يقول : أنا أقرب الناس من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرتين^(٤) وفي أخباره ما يشير إلى أن ملامح الشرف والتجابه ظهرت عليه وهو في سن مبكرة (فكان أهل الشرف وذوو القدر لا ينوطون به أحدا)^(٥) .

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

وإلى ذلك فأخباره تشير إلى أنه كان يذهب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذهب المعتزلة ، ولم ينص أحد من المؤرخين على ذلك كما فعلوا مع أخيه الحسن^(٦) إلا أن أخباره تشير إلى ذلك ، كما تشير أيضا إلى أنه كان يذهب مذهب الزيدية ، أو أنه كان ذا طموح سياسي فحاول أن يوظف هذه المفاهيم لمصلحته ، إلا أنه لم يدع لنفسه . بل دعى حين تفاقم الأمر على بني أمية إلى ابنه محمد بن

(١) . مقاتل الطالبين ص ١٨٠ والأغانى ٢٠٥/١٨ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ١٨١ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ١٨١ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ١٨١ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ١٨٣ .

(٦) . مقاتل الطالبين ص ١٨٥ .

عبد الله المعروف بالنفس الزكية .

وكان محمد بن عبد الله على جانب كبير من الفضل والعلم والزهد والعبادة والفقہ في الدين . وكان إلى ذلك شجاعاً أيداً جواداً . ولشرفه كان يقال له صريح قريش ، لأنه لم يقم عنه أم ولد في جميع آبائه وأمهاته وأجداده ، وكان هو شديد الاعتداد والفخر بهذا الفضل ، كما سئرى في رسالته إلى المنصور العباسي .

ويبدو فيما لدينا من أخبار أن عبد الله بن الحسين كان شديد العناية بولديه محمد وإبراهيم ، فقد ذكروا أنه كان يروح بهما على العلماء والمحدثين منذ كانا صغيرين ، وأنه كان يلقي عليهما من آداب السيرة والسلوك والحكمة ما أعجب الرواة ، فنقلوا بعضاً من وصاياهما لهما على أنها حكما وأدباً رفيعاً يروى ويدون . فكانه كان يعدّهما لأمر جليل .

لقد أحيط محمد بن عبد الله بعناية خاصة من ذويه وغيرهم ، كان سببها أن اعتقاداً نشأ معه يرى أنه هو المهدي الذي سيرفع الله به الظلم وينشر العدل قالوا : (كان يوجد في الرواية أنه يملك رجل اسمه اسم النبي (صلى الله عليه وآله) واسم أمه على ثلاث أحرف أولها هاء وآخرها دال ، وكانوا يظنون أنه محمد ابن عبد الله بن الحسين وأمه هند) (١) .

لقد شاعت روايات كثيرة كهذه حول محمد منذ ولادته بين الناس حتى قال فيه الشعراء نظير أبيات سلمة بن مسلم الجهني :

إن الذي يروي الرواة ليّنٌ
له خاتم لم يعطه الله غيره
وقوله :

إننا نرجو أن يكون محمدٌ
به يصلح الإسلام بعد فساده
إماماً به يحيى الكتاب المنزّل
ويحيى يتيم بائس ومُعولٌ

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٤٠ .

ويملاً عدلاً أرضنا بعد ملئها ضللاً ويأتينا الذي كنت أأمل
وقوله :

إن كان في الناس لنا مهدي يقيم فينا سيرة النبي
فإنه محمد التقي^(١).

وبالرغم من ورود روايات أخرى عن أهل بيته تنفي عنه ذلك^(٢)، فقد شاع بين
الناس أنه المهدي حقا، ربما لاجتماع صفات الخير الذي ذكرت بعضها منها فيه، وفي
أخباره ما يشير إلى أن ما شاع عنه لم يكن خاصا بظائفة معينة، إذ أن (العوام لهجت
بمحمد بن عبد الله تسميه المهدي)^(٣)، بل اعتقد كثير من أهله وذويه والغريب أنها لم
تكن في عوامهم فقط، بل نص المؤرخون على أنها تعدهم إلى العلماء منهم^(٤) وإلى
العلماء من غيرهم حتى أن سفيان الثوري كان يقول: ليت هذا المهدي قد خرج، يعني
محمد بن عبد الله^(٥).

ولعل شيوع هذه العقيدة بين طوائف كثيرة من الناس أدخل في روعه أنه حقا
المهدي المبشر به.

أولعل طموحه السياسي المبكر جعله يتقاضى عما يقال فيه مادام ذلك يخدم
طموحاته ويمهد لها الأسباب، فقد نص المؤرخون على أنه (لم يزل منذ كان صبيا
يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه. ويسمى المهدي)^(٦).

وثمة خبر نقله أبو الفرج له أهمية كبرى في توجه طوحه، ألا وهو لقاءه
بواصل بن عطاء والمعتزلة، ونحن نعلم أن المعتزلة بدأوا الآن يتوخون العمل
السياسي ويحاولون توظيف السلطة لخدمة معتقداتهم، وكان تأثير يزيد بن الوليد

(١). مقاتل الطالبين ص ٢٤٣.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٢٤٥.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٢٠٥.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٢٣٣.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٢٠٥.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٢٣٩.

الأموي بأفكارهم وعملهم معه على خلع الوليد ونجاحهم في ذلك يمثل انتصارا كبيرا لهم ، غير أن هذا التغيير لم يكن بأداة دينية بحتة . وإنما كانت أدواته غضب قبائل اليمن لقتل سيدهم خالد بن عبد الله القسري ، كما أن وفاة يزيد المبكرة وتولي خصومه السلطة مثل نكسة كبرى لهم ، ويبدو الآن انهم تحولوا إلى محمد بن عبد الله ، اظهر الرجال وأكثرهم شعبية ، ويبدو لي أن مؤتمر الأبواء الذي عقد فيما بعد بمبادرة عباسية لم يكن إلا لمعرفة الطموحين من أبناء علي وما تنطوي عليه نفوسهم .

كانت ولادة محمد النفس الزكية في حدود سنة (١٠٠هـ) أي في بداية انطلاق الدعوة العباسية إلى الآفاق . وحين بدأت هذه الدعوة تأتي أكلها كان محمد قد قارب الثلاثين من عمره . وبذلك يكون قد استوى عوده ، وعرف فضله بين طبقات كثيرة من الناس ، بين جميع أهل بيته وذويه ، ويبدو واضحا أن الفرع العلوي من بني هاشم لم يكن على علم بما كان يجري بين العباسيين ودعاتهم في الآفاق . لعلمهم كانوا يعتقدون أن تحرك الخراسانيين في شرق الدولة الإسلامية إنما كان حركة عفوية ، وليس عملا منظما . ويبدو واضحا أن العباسيين حاولوا جاهدين أن يستمر العلويون بهذا الاعتقاد حتى لا يبادر أحدهم إلى استغلال ما آل إليه وضع الدولة الأموية لصالحه ، خاصة وأن انظار بني هاشم وعامة الناس لم تكن لتتجه إلى أحد منهم دون العلويين ، والملفت للنظر أن السلطات الأموية في الشام كانت على علم بتحركات محمد بن عبد الله ، إلا أنها لم تشأ أن تؤاخذة على شيء منها مادام لم يثر حربا أو يصرح بعصيان ، بل ذهب مروان بن محمد إلى أبعد من ذلك حين أمر عامله على الحجاز برعايته^(١) ويعزو المؤرخون هذا الموقف إلى نبوءة اعتقدها الأمويون ترى أن آل علي لا نصيب لهم في الملك ، وعليه فلا خوف منهم^(٢) ولعل دعوته لم تكن على شيء من التنظيم والدقة والاتساع بحيث لم يجد فيها الأمويون خطرا يهدد مصالحهم فاغضوا عما

(١). مقاتل الطالبين ص ٢٥٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٢٤٧.

يصلهم من أنبائها . ولربما استنام محمد بن عبد الله لنصائح العباسيين بالإخلاق إلى السكينة انتظاراً للتأج التي ستمخض عنها الاضطرابات التي اعتورت سلطان الأمويين في الشام وخراسان والعراق ، خاصة (وأن دعاة بني هاشم خرجت إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد واختلاف كلمة بني مروان ، فكان أول ما يظهرون فضل علي بن أبي طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية لمن يدعو إليه ^(١) .

مؤتمر الأبواء ^(٢) :

تحدثت بعض المصادر عن مؤتمر عقده الهاشميون من بني علي والعباس في الأبواء للنظر في أمورهم أواخر أيام الدولة الأموية ، وقد تمخض هذا المؤتمر عن بيعة الهاشميين لمحمد بن عبد الله بن الحسن واعتراض الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) على هذه البيعة . ولعل الأصفهاني كان من أكثر المؤرخين إحاطة بأخبار هذا المؤتمر .

فقد سجل مادار فيه من حديث بتفصيل لم نجده عند غيره من المؤرخين ، غير أننا يجب أن نأخذ بعض ما جاء فيه بتحفظ وحذر ، ولم يصرح أحد بتاريخ انعقاده ، غير أنهم اشاورا إلى أنه انعقد بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ .

إن ولاية خلفه الوليد بن يزيد كانت بداية اضطرابات شديدة اضعفت كيان الدولة الأموية ، كما أن نهايته كانت نكسة للمعتزلة الذين بدأ طموحهم السياسي يتصاعد بشكل ظاهر ، ولعلمهم الآن اتصلوا بمحمد بن عبد الله وحاولوا أن ينظموا معه خلايا تدعوا إليه ، وتشير بعض الرويات إلى أن محمد كان يدعو لنفسه منذ زمن بعيد ^(٣) إلا أنه جد في ذلك بعد مقتل الوليد بن يزيد ، والغريب أن الأمويين ،

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٣٣ .

(٢) . الأبواء ، قرية بين مكة والمدينة ، بها ماتت أمينة بنت وهب أم رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٤٤ .

وخاصة مروان بن محمد لم يعر الأنباء التي كانت تصله عن تحركاته أية أهمية،
ومهما يقال في تعليل ذلك، فإن دعوة محمد لم تكن لتشكل خطرا على الدولة
الأموية بقدر ما تشكله من خطر على دعوة بني العباس الذين حاولوا أن يعالجوا
ذلك بمعرفة ما تنطوي عليه نفوس الطالبيين، وما تمخضت عنه طموحاتهم من
خطط، لمجابتها بما يناسبها.

وفي مارواه أبو الفرج إشارة إلى أن مؤتمر الأبناء انعقد بمبادرة عباسية لاقت
ترحيبا من عبد الله بن الحسن الذي كان يرشح ابنه محمدا ويدعو إليه.

وقد ابتدأ صالح بن علي اجتماع الهاشميين بكلمة سجلها أبو الفرج، قال:
وقد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا
الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك
حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن، وأثنى عليه، ثم قال:
قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي، فهلما فلبنا بيه.

وكانت استجابة العباسيين فيما روى مطلقة وسريعة، قالوا: انبرى أبو جعفر
وقال: لأي شيء تخذعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور^(١)
أعناقا ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى - يريد محمد بن عبد الله - قالوا: قد
والله صدقت أن هذا لهو الذي نعلم، فبايعوا جميعا محمدا. ومسحوا على
يده^(٢).

غير أن تلك الروايات تؤكد أن جعفر بن محمد الصادق لم يوافق المجتمعين
على بيعة محمد بن عبد الله.

قالوا: وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، فتكلم

(١). اصور: أميل.

(٢). مقاتل الطالبيين ص ٢٠٦.

بمثل كلامه ، فقال جعفر : لا تفعلوا ، فإن هذا الأمر لم يأت بعد ، أن كنت ترى -
يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ، ولا هذا أوانه ، وإن كنت إنما
تريد أن تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فإننا والله لا ندعك
وأنت شيخنا ونبايح ابنك .

فغضب عبد الله وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ، والله ما اطلعك الله
على غيبه ، ولكن يحملك هذا الحسد لأبني .

فقال : والله ما ذاك يحملني ، ولكن هذا وأخواته وأبناؤهم دونكم ، وضرب
بيده على ظهر أبي العباس ، ثم ضرب على كتف عبد الله بن الحسن ، وقال : إنها
والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ، ولكنها لهم ، وإن ابنك لمقتولان^(١) .

غير أنه من السذاجة بمكان أن نذهب مع القائلين أن الإمام الصادق (عليه
السلام) نبه في نفوس العباسيين أمرالم يكن فيها . قالوا : إن أبا جعفر وعبد
الصمد تبعوا الإمام الصادق فقالا : يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال : نعم والله أقوله
وأعلمه ، وأن أبا جعفر حدث بعد ذلك أنه أنصرف لوقته فرتب عماله وميز أموره
تميز مالك لها .

إن الحوار الذي دار بين الإمام الصادق وعبد الله بن الحسن فيما بعد إثر
وصول دعوة أبي سلمة للبيعة إلى أحدهما يؤكد لنا أن الإمام الصادق كان على
معرفة بما كان يجري بين العباسيين ودعاتهم في خراسان ، كما كان على ثقة من
ولاء الخراسانيين لبني العباس واعتقادهم بشرعية إمامتهم ، كما أنه من السخف
الأخذ بهذه الرواية ، إذ لم يكن العباسيون بحاجة إلى من ينبهم إلى أمر عملوا له
منذ ثلاثين سنة ، وإنما أرادوا بهذا الاجتماع معرفة ما يدور بخلد العلويين ، كما
أرادوا معرفة مرشحهم ليأخذوا اهبتهم لما سيحدث من أحداث .
إن موقف الإمام الصادق (عليه السلام) يذكرنا بموقف أسلافه بعد الحسين .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٠٧ .

الذين لم يروا في الكفاح المسلح وسيلة ناجحة ، بخلاف زيد بن علي بن الحسين الذي أعلن الثورة سنة ١٢١ هـ فتأسست إثر مقتله قاعدة المذهب الزيدي في وجوب اشهار السيف بوجه الحاكم الجائر . والملاحظ أن هذا المذهب أسسه زيد بن علي حفيد الحسين ، واعتقده أيام العباسيين الحسنيون من أبناء علي ، ولم يشارك فيه من الفرع الحسيني إلا القليل ، ولعل الإمام الصادق كان يبغى عن تخليه عن السياسة ومشاكلها التفرغ لمدرسته العلمية التي أنشأها في المدينة والعراق . وبدأت الآن تعطي ثمارها ناضجا ، وأفكارها واضحة في كل ما احتدم في ذلك العصر من أفكار ووسائل جديدة في الحجاج والاستدلال واستنباط الاحكام تعتمد مناهج الفلاسفة والمتكلمين .

إعلان الخلافة العباسية :

غير أن جهود العباسيين التي انتهت بدخول جيوشهم الكوفة واستقامة أمرهم فيها ، كادت أن تمنى بنكسة كبرى إزاء محاولة أبي سلمة الخلال الذي بدأ ينظم النواحي التي أصبحت في قبضته ، ويرسل إليها العمال والولاة .

فحين اقتيد إبراهيم الإمام من الحميمة إلى سجنه حيث لاقى مصيره ، أمر أهله وذويه بمغادرة مقره في الحميمة إلى الكوفة ، (فخرج أبو العباس السفاح وأخوه أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد أبناء إبراهيم الإمام وعيسى وصالح واسماعيل وعبد الله وعبد الصمد أبناء علي بن عبد الله بن العباس وعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس من الحميمة من أرض السراة يطلبون الكوفة ، وقد كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس وابنه موسى ابن داود بالعراق ، فخرجا يطلبان الشام فتلقاهما أبو العباس وأهل بيته بدومة الجندل ، فسألهم داود عن خروجهم ، فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويدعون إلى البيعة لأبي العباس ،

فقال: يا أبا العباس يظهر أمرك الآن في الكوفة، ومروان بن محمد شيخ بني أمية بحران مظل على العراق في فرسان العرب، فقال: يا عم، من أحب الحياة ذل، ثم تمثل بقول الأعشى:

فما مئة إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها
فقال داود لابنه موسى: صدق ابن عمك ارجع بنا معه، فإما أن نهلك أو نموت كراما

(^(١)) إلا أن أبا سلمة الذي استقام له أمر الكوفة انزل هؤلاء دارا وكنم أمرهم عن جميع القادة والجنود، نحووا من أربعين ليلة، وتحدث الروايات أنه حين كنم أمر أبي العباس كتب إلى ثلاثة من العلويين يعرض عليهم الخلافة، وهم جعفر بن محمد الصادق، وعمر بن علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسن ابن الحسن، أما جعفر بن محمد وعمر بن علي فلم يثقوا بما يدبره أبو سلمة، وهما يعرفان أنه داعية العباسيين، وأما عبد الله بن الحسن فقد سر بالكتاب، وركب إلى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، يعرض عليه دعوة أبي سلمة، فغير أن الصادق سأله: متى صار أهل خراسان شيعتك؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحدا منهم باسمه ونسبه؟

كيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك؟

غير أن عبد الله فيما يبدو كان على ثقة من دعوة أبي سلمة^(٢).

وبينا كان أبو سلمة ينتظر رد العلويين على رسائله إليهم. كان بعض قادة جيوش العباسيين القادمة من خراسان قد وصلهم طرف من أخبار أبي العباس، وربما شعروا بما يدبره أبو سلمة، فبادروه ودخلوا على أبي العباس وأخرجوه للبيعة^(٣).

وأعقبه داود بن علي الذي أكد شرعية خلافة أبي العباس وفقا لما ذهب إليه

(١). شرح نهج البلاغة ٢٩١/٣ وتاريخ الطبري ٤٢٨/٧.

(٢). عمدة الطالب ص ١٠٢.

(٣). تاريخ الطبري ٤٢٤/٧.

الكيسانية، ثم الرواندية فيما بعد، قال :

ألا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده إلى أبي العباس^(١) إلا أن هذا المبدأ تغير فيما بعد أيام المهدي العباسي . الذي ردهم إلى إثبات الإمامة للعباس بن عبد المطلب ، ثم إلى بنيه^(٢) .

ومن الكوفة أرسل أبو العباس جيشا بقيادة عمه عبد الله بن علي لمروان بن محمد على الزاب قرب الموصل . كما أرسل أخاه أبا جعفر لقيادة الجيش الذي يحاصر الآن ابن هبيرة في واسط ، أما مروان فلم يزل مهزوما حتى قتل ، وأما ابن هبيرة فلم يزل محاصرا إلى أن استسلم بعد أن أعطي الأمان ، ثم اغتيل فيما بعد غدرا^(٣) وأما أبو سلمة فلم يغفر له العباسيون فعلته تلك فاغتالوه بعد زمن يسير^(٤) وبدأ العباسيون حكمهم بانتقام قاس من الأمويين لم يسلم منه حتى الموتى ، بل ولم يسلم منه كثير ممن أعطوا الأمان ، حين استفزهم أحد الشعراء^(٥) .

موقف السفاح من العلويين:

يبدو أن أحدا من العلويين لم يتخلف عن بيعة أبي العباس السفاح سوى محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، ولكنهما لم يعلنوا الخلاف عليه ولم يجاهرا بالعصيان ، وإنما تقبضا عن السلطة ، واستخفا عنها ، ويعزو المؤرخون سبب ذلك إلى بيعة الهاشميين لمحمد بن عبد الله في الأبواء ، غير أن أحدا من العلويين لم يحاول أن ينهج مع العباسيين نهجه رغم تأييد بعضهم له ، ويبدو أن

(١). تاريخ الطبري ٤٢٧/٧ .

(٢). أخبار الدولة العباسية ص ١٦٥ .

(٣). انظر: تاريخ الطبري ٤٥٥/٧ .

(٤). انظر: تاريخ الطبري ٤٤٩/٧ .

(٥). انظر: تاريخ اليعقوبي ١٠٥/٣ والكامل للمجرد ١١٧١ و١١٧٩ .

الخليفة كان يتوجس منه خيفة، ويرغب لو أنه ظهر وأعلن الطاعة ليضمن عدم خروجه ومطالبته بأمر حسم لصالحه، إلا أنه كان يظهر رغبته تلك يرفق لم يخالطه شدة، كما لم يبد إصرارا على تلك الرغبة، فكان يرضى بأي عذر يقدمه له العلويون.

روى أن السفاح كان يسأل عبد الله بن الحسن عن ابنه حتى ضاق عبد الله ذرعا، فأشار عليه أخوه حسن أن يقول للخليفة إذا سأله: أن عمهما الحسن أعلم الناس بهما، ففعل، فأرسل إلى الحسن ليسأله عنهما، فقال:

يا أمير المؤمنين، أكلمك على هبة الخلافة، أو كما يكلم الرجل ابن عمه؟

قال: بل كما يكلم الرجل ابن عمه، فإنك وأخاك عندي بكل منزلة.

قال: اني أعلم أن الذي هاج لك ذكرهما بعض ما بلغك عنهما، فانشدك الله هل تظن أن الله قد كتب في سابق علمه أن محمدا وإبراهيم وال من هذا الأمر شيئا، ثم أجلب أهل السموات والأرض بأجمعهم على أن يردوا شيئا مما كتب الله لمحمد وإبراهيم أكانوا راديه؟ وإن لم يكن كتب لمحمد ذلك أنهم حائزون إليه شيئا منه؟

قال: لا والله ما هو كائن إلا ما كتب الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، فقيم تنغيصك على هذا الشيخ نعمتك التي أوليته

وإنما معه؟

قال: فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسي هذا ما بقيت، إلا أن يهيجني

لشيء فأذكره، فقطع ذكرهما، وانصرف عبد الله إلى المدينة^(١) غير أن بعض

الروايات تؤكد أنه لم يكن مطمئنا لهم، ولربما بث العيون، ودس بينهم من يوافيه

بأخبارهم ويحصى تحركاتهم وما يظهر منهم^(٢).

(١). انظر: مقاتل الطالبين ص ١٧٤ وتاريخ بغداد ٧/١٩٤.

(٢). انظر: العقد الفريدة ٥/٧٤.

ومهما يكن فقد كان أبو العباس برا بعبد الله وذويه ، رفيقا بهم رغم ما ظهر من فلتات لسان عبد الله في بعض المناسبات ^(١) ، إلا أنه لم يسامح أنصار محمد ، والداعين إليه ، فقد تحدثت بعض مصادر التاريخ أنه أصر على اغتيال ابن هبيرة بعدما أعطاه الأمان حين علم بمراسلته للعلويين ، ^(٢) وهو خبر لم يؤكد المؤرخون ، إلا أننا لا نجد سببا غيره يدفع أبا العباس إلى الغدر به .
كما أنه قتل أبا سلمة الخلال للسبب نفسه كما قدمت .

وقد حاول أبو العباس أن يأخذ بيعة محمد إمام الناس ليضمن انصرافهم عنه ، وكان محمد يتغيب في البادية يدعو لنفسه ، فأرسل السفاح زياد بن عبد الله الحارثي إلى المدينة أميرا سنة ١٣٣ هـ وقدمها محمد بن عبد الله أيضا ، فجمع الحارثي الناس ودعا محمدا ، ودعاه معهم للبيعة ، وإنما أراد بذلك أن يحضر الناس بيعة محمد وحده ، إلا أن محمدا استخفى ثانية فلم يحضر ^(٣) وكتب السفاح إلى عبد الله بن الحسن معاتبا :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد
فكتب إليه عبد الله معتذرا :
وكيف لأريد ذاك وأنت مني وزندك حين يقدح من زنادي
وكيف أريد ذاك وأنت مني بمنزلة النياط من الفؤاد
وكيف لأريد ذاك مني وأنت مني وأنت لغالب رأس وهاد ^(٤)

على أن السفاح فيما يبدو رضي من عبد الله بن الحسن ضمانا بأن لا يرى من ولديه ما يكره ، قالوا : إن عبد الله كان يسحر عند السفاح ، فأخرج له كتابا من ولده محمد إلى هشام بن عمرو والتغلبى يدعو نفسه فلما قرأه عبد الله قال

(١) انظر: مقاتل الطالبين ص ١٧٥ .

(٢) -

(٣) . انساب الأشراف ٨٣/٣ .

(٤) . انساب الأشراف ٨٣/٣ والأغاني ٢٠٦/٨ ومقاتل الطالبين ١٧٦ .

للسفاح : لك عهد الله ألا ترى من محمد وإبراهيم ما تكره . وتبدو أن السفاح
اطمئن لتعهد عبد الله بأكثر من ذلك .

موقف المنصور من العلويين :

على أن أبا العباس لم يلبث أن مات سنة ١٣٦ هـ^(١) ، وخلفه أبو جعفر
المنصور ، الذي جمع فيه القدر كل صفات رجل الدولة الذي لا يقف دونه شيء
لتحقيق مآربه وضمان سلامة مركزه من أي خطر ، كان أبو جعفر حازما يقظا
وحين يعزم على تنفيذ أمر لا يرده راد ، وكان إلى حزمه وإقدامه ما كرا داهيا لا
يعينه أي الطرق سلك لتنفيذ مآربه ، وكان يرى في القسوة وتشديد العقوبة وسيلة
ناجحة لتمكين مهابة سلطانه في نفوس رعيته ، ذكر أن عبد الصمد بن علي
العباسي قال للمنصور : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعمو ، قال :
لأن بني مروان لم تبل رمهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم
قد رأونا بالأمس سوقه واليوم خلفاء ، فليس تمهد هيتنا في صدورهم إلا بنسيان
العمو واستعمال العقوبة^(٢) وحين اعتلى المنصور عرش الدولة الإسلامية داهمة
خطر ثلاثة رجال من الطامحين ، أولهم عمه عبد الله بن علي ، الذي هزم مروان
يوم الزاب واستقر بالشام واليا عليها ، وثانيهما أبو مسلم الخراساني المتربص
بخراسان بين أنصاره الكثر وفي بلاده التي تدين له بالطاعة والولاء .

أما عبد الله بن علي فقد أعلن أنه أولى بخلافه أبي العباس من أبي جعفر ،
فأعلن العصيان في الشام ودعا إلى نفسه ، فبعث المنصور لحربه أبا مسلم الخراساني
الذي استطاع أن يهزمه بيسر ، ولم يلبث عبد الله بن علي أن استسلم للمنصور
الذي أودعه السجن ثم اغتاله .

وأما أبو مسلم فقد قبض عن المنصور ، وحاول العودة إلى خراسان ليمتنع

(١) . تاريخ الطبري ٧ / ٤٧٠ .

(٢) . السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦٧ .

بها ، فما زال به المنصور حتى أقنعه بالعودة عليه وأوقعه بين فكلي الأسد كما هو مشهور ومتداول في كتب التاريخ .

ويقي ثالثهما ، وهو محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الذي مازال متخفياً ، ينتقل بين النواحي داعياً إلى نفسه ورافضاً خلافة بني العباس ، وتحدث الروايات أن المنصور كان كثير التنويه بمحمد أيام الأمويين ومن أكثر الداعين حماسة إلى عقد البيعة له يوم الأيواء ، وأنه كان يظهر احترامه ويقول فيه : أنه مهدينا أهل البيت ^(١) . وإذا علمنا أن أبا جعفر كان من أعلام الدعوة العباسية حسبنا أن ما كان يظهر منه تجاه محمد لم يكن إلا رياء يقنع به محمداً والعلويين بأن ما يحدث لم يكن إلا لصالحهم .

غير أن المنصور بدأ يترقب تحركات محمد منذ أن بويح لأبي العباس وتذكر بعض الروايات أنه تفقد محمد وأخاه عندما كان أميراً للحاج سنة ١٣٦ هـ وهمه تخلفهما عن حضوره ، وحين بلغته وفاة أبي العباس وهو في الطريق أفضى إلى أبي مسلم تخوفه من شر عمه عبد الله بن علي وشيعة علي ^(٢) .

بدأ المنصور اجراءاته ضد محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم بسؤال من يفد عليه من العلويين أو من يلتقي معهم في مناسبة أو أخرى عن محمد وسبب تخفيه ، ولكنه اجراء لم يتخذ الشدة وسيلة ، قالوا :

لما استخلف أبو جعفر لم يكن همه إلا طلب محمد والمسألة عنه ، وعمما يريد فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً فسألهم في خلوة ، فكلهم يقول : يا أمير المؤمنين إنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل هذا اليوم ، وهو يخافك على نفسه ، ولا يريد لك خلافاً ، ولا يحب لك معصية ، إلا الحسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، وقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، والله لا ينام عنك فرأيتك ، قالوا :

(١) . تاريخ الطبري ٥١٧/٧ .

(٢) . تاريخ الطبري ٤٧٢/٧ .

فأيقظ من لا ينام^(١) وأن أبا جعفر سأل عبد الله بن الحسن عن ابنه عام حج ، فقال له فيهما مقالة الهاشميين ، فأخبره أنه غير راض أو يأتيه بهما^(٢) وفي رواية أخرى أنهما تغالطا ، وكاد أبو جعفر أن يودي بعبد الله بن الحسن لولا أن أمير المدينة استوهب منه^(٣) حدث ذلك عام حج أبو جعفر سنة ١٤٠ هـ ، إلا أنه لم يعد من الحجاز حتى أمر بحبس عبد الله بن الحسن في محاولة لإحراج ابنه^(٤) .

وقد بدأت إجراءات أبي جعفر - بعد حبس عبد الله بن الحسن - تأخذ جانب الشدة والجد منذ عزل زياد بن عبد الله الحارثي عن أمرة المدينة سنة ١٤١ هـ^(٥) وهي بلا شك مركز مسرح تحركات محمد وإبراهيم ، فقد كانت الأخبار تأتيه بتعاطف عاملة مع العلوي المتربص به ، وأن محمدا قدم المدينة مرة فبلغ ذلك زيادا فتلطف به وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلسا ، ووعده محمدا سوق الظهر ، فالتقيا به ، ومحمد معلن غير مختف ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال : يا أيها الناس ، هذا محمد بن عبد الله بن حسن ، ثم أقبل إليه ، فقال : الحق بأي بلاد الله شئت ، وتواري محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبي جعفر^(٦) . أما أنا فأشك في صحة هذا الخبر ، ولكن مما لاشك فيه أن زيادا لم يكن لأجادا في طلب محمد ، ولربما تعاطف معه ولكن من طرف خفي .

وأن عيون أبي جعفر كانت تؤكد عليه ذلك ، مما دفعه إلى أن يرسل أبا الأزهر وهو رجل من أهل خراسان إلى المدينة بكتب عزل فيها زيادا وولى عبد العزيز بن عبد

(١) . تاريخ الطبري ٥١٨/٧ ومقاتل الطالبين ص ٢١٠ ، غير أن الطبري نقل عن بعض رواة تلك الأحداث أن الحسن بن زيد كان إذا علم من أمرهما علما كف حتى يفارقا مكانهما ذلك . ثم يخبر أبا جعفر فيجد الرسم الذي ذكر ، فيصدق به بما وقع إليه (تاريخ الطبري ٥١٢/٧) وبذلك استطاع هذا العلوي أن يجمع لنفسه بين ولاءه للدولة وحضوته لديها ، وبين تعاطفه مع بني أبيه .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢١٠ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢١٢ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٢١٣ . ٢١٥ .

(٥) . تاريخ الطبري ٥١١/٧ .

(٦) . تاريخ الطبري ٥٢٩/٧ .

المطلب بن عبد الله المدينة - وكان يلي فيها القضاء - وشد زيادا في الحديد واصطفاء أمواله وأخذ عماله وأشخاصهم إلى أبي جعفر^(١) إلا أن أبا جعفر لم يلبث حتى استعمل على المدينة محمد بن خالد القسري، وأمره بالجد في طلب محمد وبسط يديه في النفقة في طلبه، ووجد هذا الوالي أموالا كثيرة في بيت المال أنفقها كلها ولكن دون جدوى. وأمر أهل المدينة أن يلزموا بيوتهم سبعة أيام وطافت رسله وجنده بيوت الناس يكشفونها بيتا بيتا، إلا أن أبا جعفر استبطأه، وهاله أن تنفق كل هذه الأموال بدون فائدة، فعزله برجل صعلوك وجده حريا أن لا يداهن في أمر محمد وإبراهيم ولا يرى لهما ولا لبيتهما حرمة، ذلك هو رباح بن عثمان بن حيان المري^(٢) وكانت ولايته سنة ١٤٤هـ وبدأ رباح ولايته بحبس القسري وكاتبه ومحاسبتها على الأموال، وجد في طلب محمد كل الجد، وجد أبو جعفر في طلبهما ووضع العيون والارصاد في كل مكان، وفي هذه السنة حج أبو جعفر، وارسل وهو في الطريق إلى رباح أن يأخذ بقية بني الحسن فيضعهم في الحبس مع عبد الله الذي لم يزل محبوسا بها منذ ثلاث سنوات.

فأخذ رباح حسنا^(٣) وإبراهيم^(٤) ابني حسن بن حسن. وحسن^(٥) بن جعفر بن حسن بن حسن، وسليمان وعبد الله ابني داود^(٦) بن حسن بن حسن، وعباس^(٧) بن

(١). تاريخ الطبري ٥٢٩/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٣١/٧.

(٣). الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان متألها، فاضلا، ورعا، يذهب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذهب الزيدية، توفى في محبسه بالهاشمية في ذي العقدة سنة ١٤٥هـ وهو ابن ثمان وستين سنة (المقاتل ص ١٨٥، تاريخ بغداد ٢٩٤/٧ وطبقات ابن سعد ٢٣٤/٥).

(٤). أبو الحسن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الحسين، كان يشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) توفى بمحبسه في شهر ربيع الأول سنة ١٤٥هـ وعمره ٦٧ سنة، وهو أول من توفى من الحسينيين في الحبس (المقاتل ص ١٨٨ وطبقات ابن سعد ٢٣٥/٥ وعمدة الطالب ص ١٦١).

(٥). الحسن بن جعفر، وأبوه ممن حبسهم المنصور مع عبد الله بن حسن، ثم خلى لهم السبيل بعد مقتل محمد وإبراهيم، انظر: مقاتل الطالبين ص ١٨٩.

(٦). داود وابناه سليمان وعبد الله، ممن خلى أبو جعفر لهم السبيل بعد مقتل محمد وإبراهيم، المقاتل ص ١٨٩.

(٧). عباس بن الحسن بن الحسن، من فتيان بني هاشم، توفى في الحبس في رمضان سنة ١٤٥هـ وهو ابن خمس وثلاثين المقاتل ص ١٩٧.

حسن بن حسن بن حسن وعلی^(١) بن حسن بن حسن بن حسن العابد، وأخاه عبد الله كما حبس معهم موسى بن عبد الله أخو محمد وإبراهيم وكان حديث السن، وعلی بن محمد بن محمد بن عبد الله وكان أبوه قد بعثه إلى مصر، فلما قدم منها أخذ فحبس، وقيل بل دل عليه فيها فأخذه عامل مصر وبعثه إلى أبي صفر وقد بقي هؤلاء في حبس رباح حتى حج أبو جعفر سنة ١٤٤ هـ فتلقاه رباح في الربذة فأعادته إلى المدينة وأمره باشخاص بني الحسن على أن يوافقوه بالزبذة عند عودته، كما أمره أن يشخص معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان، وهو أخو عبد الله بن حسن لأمه، وتحدث الروايات عن قسوة شديدة ارتكبتها المنصور مع الحسينين، وأنه حاول جاهدا أن يعلم من هؤلاء المحبوسين خبرا عن محمد وإبراهيم، ويبدو أن المنصور أراد أولا بحبسه آل الحسن أن يخرج محمد وإبراهيم، ويدفعهما للاستسلام حفظا لدماء ذريتهما، وكاد أن ينجح في ذلك لولا إصرار عبد الله بن الحسن، فقد ذكر أن محمدا أتى أمه هند فقال: إني قد حملت أبي وعمومي مالا طاقة لهم به، ولقد هممت أن أضع يدي في أيديهم، فعسى أن يخلى عنهم فتكبرت ولبست أطمارا ثم جاءت السجن كهيئة الرسول وأخبرت عبد الله، فقال: كلا، بل نصبر، فوالله إني لأرجو أن يفتح الله به خيرا قولي له: فليدع إلى أمره، وليجد فيه، فإن فرجنا بيد الله^(٢).

وفي خبر آخر أن محمدا وإبراهيم استطاعا أن يسائرا أباهما متكررين حين حمل إلى الربذة، يسألانه ويستأذنانه في الخروج، فيقول: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك، ويقول: أن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين^(٣).

أما محمد بن عبد الله العثماني، فقد تحدثت بعض الروايات أن المنصور

(١). علي بن حسن بن حسن بن حسن، كان يقال له علي الخير وعلي الأغر وعلي العابد، ويقال له ونزوجته زينب بنت عبد الله بن حسن الزوج الصالح، مات في الحبس في محرم سنة ١٤٦ هـ وهو ابن خمس وأربعين سنة وابنه الحسين الثالث بفتح، المقاتل ص ١٩٠.

(٢). تاريخ الطبري ٥٣٩/٧ والبداية والنهاية ٨١/١٠.

(٣). تاريخ الطبري ٥٤١/٧، والمقاتل ص ٢٢٣ وابن الأثير ١١/٥.

أخذه خوفاً من يدعو أهل الشام إلى نصره محمد بن عبد الله فلا يتخلف عنه رجل من أهلها، وإن رياح هو الذي أشار على المنصور بأخذه^(١) إلا أن المنصور لم يلبث حتى قتل العثماني وبعث برأسه إلى أهل خراسان وبعث معه رجال يحلفون أنه رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد سئل أحدهم عن سبب قتله، فقال: احتيج إلى رأسه^(٢) إلا أن الحسينيين لم يلبثوا بعد أن نقلوا إلى العراق حتى ماتوا الواحد تلو الآخر، إما تحت وطأة التعذيب أو قتلاً بطرق شتى قالوا: أن أبا جعفر نظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن، فقال له: أنت الديباج الأصفر، وكان يسمى كذلك لجماله، قال: نعم، فأمر بأسطوانة بنيت عليه وهو حي^(٣).



إعلان الثورة:

قلت آنفاً: أن بعض المصادر تحدثت عن دعوة محمد بن عبد الله إلى نفسه منذ أن كان صبياً أيام الأمويين، وإن السلطة الأموية لم تعير تحركاته اهتماماً. إذ لم ترفها خطراً على كيانها، غير أن بيعة أبي العباس السفاح بالخلافة، ومن ثم إجراءات أبي جعفر المنصور الشديدة والحازمة في محاولة الكشف عنه ورصده نشاطه. جعلت تحركاته تأخذ طابعاً آخر أكثر جدية، والروايات التي بين أيدينا تؤكد أن دعواته تفرقوا في بلاد شتى وخاصة خراسان. ويبدو أن أبا جعفر عرف ذلك، وإن بعض قادة الجند الخراساني تعاطفوا معه. بل أن أحدهم واسمه عبدويه أراد اغتيال أبي جعفر عام حج مكة، غير أن عبد الله بن الحسن نهاه عن ذلك احتراماً لعظمة الموضع الذي هو فيه^(٤) وفي خبر آخر أن محمد وإبراهيم حجاً

(١). تاريخ الطبري ٥٤٣/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٤٨/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٤٦/٧ والمقاتل ص ٢٠٠ والبداية والنهاية ٨١/١٠.

(٤). تاريخ الطبري ٥٢٧/٧.

في ذلك العام، وأرادوا اغتيال أبي جعفر، فقال لهم الاشر بن محمد بن عبد الله :
إنا اكفيكموه : فقال محمد : لا والله لا أقتله أبدا غيلة حتى أدعوه، فنقض أمرهم
ذلك، وما كانوا اجمعوا عليه^(١). أن في هذه الروايات اشارة إلى أن دعوة محمد
في هذا العام بلغت من الخطورة مبلغا لا يستهان به، ولكن يبدو أن اجراءات أبي
جعفر، وكثرة عيونه وارصاده، ثم حبس عبد الله بن الحسن وذويه أريكت خطط
محمد النفس الزكية، كما أن اجراءات رياح في المدينة وشدته وسعيه الحثيث
للقبض على محمد دفعت الأخير إلى إعلان ثورته ربما قبل أن يستتم له أمره.

على أن الحجاز لم يكن المسرح الوحيد لتحركات محمد، فقد أفادت بعض
المصادر أنه كان يتنقل بين نواحي متباعدة، وانه دخل البصرة، ودعا فيها الناس
إلى نفسه^(٢) ولربما دخلها ليجتمع ما فيها مع من المعتزلة، وأن أبا جعفر بلغه ذلك
وهو قادم عليها، فخرج منها محمد قبل دخوله^(٣).

كما أن محمدا أرسل ابنه عليا إلى مصر يدعو أهلها إليه، وتشير الروايات
التي بين أيدينا أن محمدا دعا إلى نفسه في أكثر أمصار الدولة الإسلامية، وانه
لقى استجابة في أكثرها، ويؤكد المؤرخون أن أهل خراسان كانوا أكثر الناس
استجابة له وميلا إليه.

على أن رواة أحداث ثورة النفس الزكية أكدوا أن محمدا أخرج فخرج قبل
مواعده^(٤)، وكان قد بعث أخاه إبراهيم إلى البصرة على أن يخرجها في يوم واحد،
إلا أن اجراءات رياح بن عثمان المري وتشده في طلب محمد أخرجته فخرج قبل
الموعد الذي فارق عليه أخاه إبراهيم^(٥)، ويذكر أبو الفرج سببا مباشرا آخر عجل

(١). تاريخ الطبري ٥٢٥/٧ والكامل في التاريخ ٣٧٢/٤.

(٢). تاريخ الطبري ٥٢١/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٢١/٧.

(٤). تاريخ الطبري ٥٥٢/٧.

(٥). انظر: تاريخ الطبري ٥٥٢/٧.

بمخرج محمد قبل أن يتم أمر دعائه الذين أنفذهم إلى الآفاق، وهو أن عبد الله بن حسن انفذ إلى محمد أخاه موسى وكان حديث السن ليصير إلى أبي جعفر، ويزول عما كان عليه فيما اظهره له.

وأسر إلى موسى غير ذلك، فصار إلى المدينة فأقام بها حولا يدافع رياح بن عثمان ثم استبطأه وكتب إلى أبي جعفر في أمره يعلمه بتربصه، فكتب إليه يأمره أن ينحدر إلى العراق، ففعل ذلك، وقال للرسول: أن رأيتم أحدا قد أقبل من المدينة في طلبكم فاضربوا عنق موسى، وكان قد أحس بخبر محمد، وبلغ ذلك محمدا فظهر^(١)، إلا أن الرواة ذكروا سببا آخر في ارسال موسى إلى المدينة^(٢). وقد ذكرت أسباب أخرى عجلت بمخرج محمد، منها إلحاح أنصاره عليه، قالوا:

أن بعضهم دخل على محمد فقالوا له: ما تنتظر بالخروج، والله ما تجده هذه الأمة أحدا أشأم منك عليها، فما يمنعك أن تخرج ولو لوحدك^(٣). ولعل مكيدة أبي جعفر مما عجل بمخروجه، فقد حدث الطبري أن أبا جعفر كان يكتب إلى محمد على السن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه، فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم^(٤).

ومهما يكن فقد خرج محمد بن عبد الله في أول رجب من سنة ١٤٥ هـ،

(١). مقاتل الطالبين ص ٢٦٠ وفيه أن محمدا لما علم بخطة رياح أرسل ابن خضير فاستنقذ موسى.

(٢). في رواية عن موسى بن عبد الله نفسه، أن أبا جعفر أرسل إلى عبد الله بن الحسن أن أرسل إلى أحدكم وأعلم أنه غير عائد إليكم أبدا، فابتدره بنو أخوته يعرضون انفسهم عليه، فجزاهم خيرا، وأرسل موسى، وأن أبا جعفر ضربه بالسياط، ثم أرسله إلى المدينة ليأتيه بأخويه، فأقام بها شهرا ثم أعيد إلى العراق (الطبري ٥٤٤/٧).

وفي رواية أخرى عن موسى أيضا، أن عبد الله بن الحسن أرسل إلى أبي جعفر أنه كاتب إلى ولديه، فأرسل موسى عسى أن يلقاهما، وكتب إليهما أن يأتياه، وقال لموسى: أن يبلغهما عنه ألا يأتياه، وإنما أراد أن يفلت موسى من يد أبي جعفر لحدثه سنة (الطبري ٥٤٤/٧).

(٣). تاريخ الطبري ٥٥٣/٧، مقاتل الطالبين ص ٢٦١.

(٤). تاريخ الطبري ٥٥٤/٧

وقيل بل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، فأتى المذار وبلغ رياحا ذلك فركب بجنده يطلبه بالمذار، إلا أن محمدا تنكب عن طريقه، فرجع إلى المدينة، وحاول رياح أن يجمع إليه أنصارا من أهل المدينة من ذوي عمال السلطة^(١) إلا أن محمدا حين دخل المدينة لم يلق كيدا من هؤلاء ولا من غيرهم، وكان قد دخلها ليلا في مائة وخمسين رجلا. فتوجه إلى السجن وأطلق من فيه، ومنهم محمد بن خالد القسري أمير المدينة قبل رياح وابن أخيه وكاتبه رزام، كما أمر برياح وبعض حاشيته فحبسوا مكانهم، وفي الغد صلى بالناس وصعد المنبر وخطب في أهل المدينة وقال:

أما بعد أيها الناس، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر مالم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه، وتصفيرا للكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ((أنا ربكم الأعلى)) وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك، وحرّموا حلالك، وآمنوا من أخفت، وأخافوا من آمنت، اللهم فاحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا. أيها الناس إنني والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوة ولا شدة، ولكنني اخترتكم لنفسي، والله ما جئت وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه بيعة.^(٢)

وبدأ محمد ينظم أمور المدينة، فاستعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي، وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة^(٣) ولم يتخلف أحد من وجوه الناس عن بيعته سوى نفر يسير، قالوا: وأن الإمام مالك بن أنس استفتي في الخروج معه، وقيل له

(١). تاريخ الطبري ٥٥٩/٧ وانظر: أنساب الأشراف ١٠٦٣.

(٢). تاريخ الطبري ٥٥٨/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٥٩/٧.

أن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال : إنما بايعتم مكرهين ، وليس علي مكره يمين ، فاسرع الناس إلى محمد^(١) ولا شك فإن لشخصية محمد المحيية تأثير لا يستهان به في سرعة استجابة الناس له .

واستعمل محمد بن عبد الله الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب علي مكة ، وأخذها بعد قتال يسير ، وتشير بعض الروايات أن عامل المنصور عليها السري ابن عبد الله ، أثر العافية لربما لتعاطفه مع محمد^(٢) .

واستعمل القاسم بن اسحق علي اليمن ، وموسى بن عبد الله بن الحسن علي الشام يدعوان إليه ، فقتل قبل أن يصل^(٣) كما ارسل عليا ابنه إلى مصر فلم يتم له فيها أمر^(٤) .

يبدو أن خروج محمد بالمدينة وبقاءه فيها على قلة ما فيها من المال والرجال سر أبا جعفر ، ولربما كان ذلك هدفا توخاه وعمل له . قالوا أنه لما بلغه خبر خروج محمد هتف : أنا أبو جعفر ، استخرجت الثعلب من حجره^(٥) ومن الواضح جدا أن إعلان الثورة في مدينة لا عدة فيها ولا رجال سوف لن يكتب لها النجاح ولكن يبدو أن محمدا قد استنام إلى وعود قادة الجيش الخراساني التي كتبها أبو جعفر علي الستهم إليه ، وقد نصحه بعض مريديه أن يترك المدينة إلى مصر ليقاتل في مثل رجال أبي جعفر وعدته ، وألا يبقى بالمدينة منتظرا مصيره ، وقد حدث محمد بن خالد القسري الذي كان محبوسا بالمدينة منذ عزله برياح فأطلقه محمد قال :

لما ظهر محمد وأنا في حبس ابن حيان فأطلقني ، فلما سمعت دعوته التي دعا إليها علي المنبر قلت هذه دعوة حق ، والله لأبلىن الله فيها بلاء حسنا ، فقلت : يا

(١) . تاريخ الطبري ٥٦٠/٧ .

(٢) . تاريخ الطبري ٥٧٣/٧ وانظر: انساب الأشراف ٣/٩٧ .

(٣) . تاريخ الطبري ٥٦١/٧ ومقاتل الطالبين ص ٣٠٠ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٢٠١ .

(٥) . تاريخ الطبري ٥٦٤/٧ وانظر: انساب الأشراف ١٠٦/٣ .

أمير المؤمنين ، إنك قد خرجت في هذا البلد ، والله لو وقف على نقب من أنقابه مات أهله جوعا وعطشا ، فانهض معي ، فإنما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف ، فأبى علي . . . فكتبت إلى أمير المؤمنين ، فأخبرته بقله من معه ، فعطف علي فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه^(١) علي أن آخرين أشاروا على قائد الثورة برأي مماثل لرأي القسري ، فقد روى المدائني أن محمدا استشار أصحابه في الخروج عن المدينة أو المقام بها ، فقال عبد الحميد بن جعفر : أنت في أقل بلاد الله فرسا وطعاما ، وأضعفه رجلا ، وأقله مالا وسلاحا ، تريد أن تقاتل أكثر الناس مالا ، وأشدّه رجالا وأكثره سلاحا . وأقدره على الطعام؟ الرأي أن تسير بمن اتبعك إلى مصر ، فتقاتل بمثل سلاحه وكراعته ورجاله وماله ، غير أن آخرين هولوا عليه ترك المدينة متأسين برسول الله (صلى الله عليه وآله) حين قال عام أحد : رأيتني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة^(٢) فترك محمدا ما أشار به عبد الحميد بن جعفر متناسبا لاختلاف الظروف عما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي أنه ارتكب خطأ آخر حين أمر بحفر الخندق حول المدينة وبذلك فقد حصر نفسه وجنده .

أما أبو جعفر ، فقد أكدت بعض الروايات أنه لم يظهر أكثرا بخروج محمد بالمدينة ، ولكن اجراءاته كانت أكثر حزمًا . وكان يتوخى في أكثرها أن يبقى محمدا في المدينة ويحرمه من مصادر المال والرجال من الأمصار الأخرى .

قالوا أنه دعا جعفر بن حنظلة البهراني ، وكان أعلم الناس بالحرب ، فقال له : يا جعفر قد ظهر محمد ، فما عندك؟ قال : وأين ظهر؟ قال : بالمدينة ، قال : فاحمد الله ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع ، ابعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادي القرى . فيمنعه ميرة الشام ، فيموت معه جوعا ، ففعل^(٣) ثم أن المنصور

(١). تاريخ الطبري ٥٦١/٧ ، الكامل ٥/٥ مجالس ثعلب ٢٢/١ .

(٢). مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ .

(٣). تاريخ الطبري ٥٧٧/٧ .

انتقل من بغداد إلى الكوفة عملاً بنصيحة عمه عبد الله بن علي الذي لم يزل محبوساً ليجثم على أكباد أهل الكوفة الذين لم يزالوا شيعة للبيت العلوي . وليحفظها بالمسالح فيمنع الدخول إليها ، والخروج منها^(١) إلى أن يوافيه جنده من بعض الاطراف ، فكتب إلى محمد بن عبد الله كتاباً طويلاً حفظته كتب التاريخ كما حفظته كتب الأدب . أرى من المناسب أن اسجل هنا نصوص المراسلات بينهما لما فيها من حجاج كان بداية ما احتدم بين فرعي هاشم من إدلاء بحق وراثته النبي الأكرم في ولاية أمر الأمة .

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله بالمدينة كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا ويصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت وإن اطلق من في حبسي من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبائعك واتبعتك أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحدا منهم بشيء كان منه أبداً .

فإن أردت أن تتوثق لنفسك ، فوجه إلي من أحببت يأخذ لك الأمان والعهد والميثاق به ، وكتب علي العنوان : من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله .^(٢)
فكتب محمد بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد :

(١) . تاريخ الطبري ٥٦٥/٧ .

(٢) . تاريخ الطبري ٥٦٦/٧ انظر الرسالة في: الحقائق الوردية للمحلي ج ١ ورقه ١٦٤ ، والكامل للمبرد ١١٣/٤ .

﴿طسم ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي
عرضت عليّ، فإن الحق حقنا، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا. وخرجتم له بشيعتنا،
وحظيتم بفضلنا، وإن أبانا عليا كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته
وولده أحياء! ثم قد علمت أنه لم يطلب أحد هذا الأمر له مثل نسبنا وشرفنا
وحالنا وشرف آبائنا، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء. وليس يمت
أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل، وإنا بنو أم
رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية، وبنو بنته فاطمة في
الإسلام دونكم، إن الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد (صلى الله عليه
وآله) ومن السلف أولهم أسلاًسلاً عليّ، ومن النساء أفضلهن خديجة الطاهرة، وأول
من صلى القبلة. ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في
الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشماً ولد علياً مرتين، وإن عبد
المطلب ولد حسناً مرتين، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولدني مرتين من قبل
حسن وحسين، وإنني أوسط بني هاشم نسباً، وأصرحهم أباً، لم تعرق في العجم^(١)،
ولم تنازع في أمهات الأولاد. فما زال الله يختار لسي الآباء والأمهات في الجاهلية
والإسلام حتى اختار لي في النار، فأنا أبن أرفع الناس درجة في الجنة، وأهونهم عذاباً
في النار^(٢)، وأنا ابن خير الأخبار. وابن خير الأشرار. وأنا ابن خير أهل الجنة وابن خير

(١). في ذلك تعريض واضح بالمنصور، وكانت أمه أم ولد بربريه يقال لها سلامة.

(٢). يريد بذلك أبا طالب بن عبد المطلب، ويظن بعض المحدثين أن هذه الفقرة مما تزیده
الرواة على كلام محمد بن عبد الله، ويعزز هذا الظن أن المنصور بدأ منذ الآن في تأسيس عقيدة
دينية تعتمد النسب في حق العباسيين بوراثنة النبي الأكرم.

الأشرار. وأنا ابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار، ولك الله علي إن دخلت في طاعتي. وأحييت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك، وعلى كل أمر أحدثته، إلا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد، فقد علمت ما يلزمك من ذلك، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلي، فأي الأمانات تعطيني، أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله ابن علي، أم أمان أبي مسلم:

فكتب إليه أبو جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كلامك، وقرأت كتابك، فإذا جل فخرك بقراية النساء، لتفضل به الجفاة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء، ولا كالعصبة والأولياء، لأن الله جعل العم أبا، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا^(١)، ولو كان اختيار الله لهن على قنبر قرابتهن كانت أمانة أقربهن رحما، وأعظمهن حقا، وأول من يدخل الجنة غدا، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفاه لهم.

مرآة حقبة تكويرة علوم رسيدي

وأما ما تكررت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها، فإن الله لم يرزق أحدا من ولدها الإسلام لا بنتا ولا ابنا، ولو أن أحدا رزق الإسلام بالقراية رزقه عبد الله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة. ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء. قال الله عز وجل: ((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)) ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة، فأنزل عز وجل: ((وأندر عشيرتك الأقربين)) فأنذرهم ودعاهم، فأجاب اثنان أحدهما أبي، وأبى اثنان أحدهما أبوك. فقطع الله ولايتهما منه، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولازمة ولا ميراثا. وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الأشرار. وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير، وليس في الشر

(١) - في الكامل المبرد: (الولد الأولى) وبعدها (فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام: (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسماعيل ويعقوب)).

خيار، ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار، وستر د فتعلم، ((وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)).

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وأن هاشما ولده مرتين، ومن فاطمة أم
حسن، وأن عبد المطلب ولده مرتين، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) ولدك
مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يلد هاشم
إلا مرة ولا عبد المطلب إلا مرة.

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبا، وأصرحهم أما وأبا، وأنه لم تلدك
العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا،
فانظر ويحك أين أنت من الله غدا، فإنك قد تعديت طورك، وفخرت على من
هو خير منك نفسا وأبا وأولا وآخر إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)
وعلى والد ولده. وما خيار بني أبيك حاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات
أولاد، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل من علي بن
حسين، وهو لأم ولد، وهو خير من جدك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده
مثل ابنه محمد بن علي، وجدته أم ولد، وهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر
وجدته أم ولد، وهو خير منك.

وأما قولك: إنكم بنو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن الله تعالى يقول في
كتابه: ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)) ولكنكم بنو بنته، وإنها لقراية
قريبة، ولكنها لا تحوز الميراث، ولا ترث الولاية، ولا تجوز لها الإمامة، فكيف
تورث بها! ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهارا، ومرضها سرا، ودفنها
ليلا. فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف
فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون.

وأما ما فخرت به من علي وسابقته، فقد حضرت رسول الله (صلى الله عليه
وآله) الوفاة، فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه،

وكان في الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها، وقاتله طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته، وأغلق دونه بابه، ثم بايع معاوية بعده.

ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها. وتفرق عنه أصحابه، وشك في شيعة قبل الحكومة، ثم حكم حكمين رضي بهما، وأعطاهما عهده وميثاقه، فاجتمعا على خلعه، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودرهم ولحق بالحجاز، وأسلم شيعة بيد معاوية ودفعت الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه، ثم خرج عمك حسين ابن علي على ابن مرجانة، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه، وأتوا برأسه إليه، ثم خرجتم على بني أمية، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وأحرقوكم بالنيران، ونفوكم من البلدان، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان. وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء، وحملوهم بلا وطء في المحافل، كالسبي المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بأرؤسكم، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم، وسيننا سلفكم وفضلنا، فاتخذت ذلك علينا حجة.

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلنا للتقدمة مناله على حمزة والعباس وجعفر، وليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين، متسلما منهم، مجتمعا عليهم بالفضل، وابتلى أبوك بالقتال والحرب، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له، وذكرناهم فضله، وعنفتناهم وظلمناهم بما نالوا منه، ولقد علمت أن مكرتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك، فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل فيها في جاهلية والإسلام، ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأيننا، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (صلى الله عليه وآله) غيره، فكان وارثه من عمومته، ثم

طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايته، وميراث النبي له، والخلافة في ولده، فلم يبق شرف ولا فضل في الجاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه.

وأما ما ذكرت من بدر، فإن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعاً، وللحسا جفان عتبه وشيبة. ولكنه كان من المطعمين فاذهب عنكم العار والسبة، وكفاكم النفقة والمؤونة، ثم فدى عقلا يوم بدر، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر، وفديناكم في الأسر، وحزنا عليكم مكارم الآباء، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بشاركم فأدركننا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوا لأنفسكم! والسلام عليك ورحمة الله^(١).

لعل تلك الرسائل كانت بداية النزاع على تراث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بين فرعي بني هاشم ذلك النزاع الذي حشد له العباسيون فيما بعد طاقات أدبية كبيرة ووظفوا له أموالاً طائلة استهوت كثيراً من طلاب المنفعة من الشعراء وغيرهم. إلا أن أبا جعفر لم يلبث أن انتدب عيسى بن موسى ولى عهده لحرب محمد، وأوعب معه من القواد حميد بن قحطبة الطائي ومحمد بن أبي العباس السفاح وعدة من قواد أهل خراسان وجندهم، وجهزهم بالخيول والبغال والسلاح والميرة^(٢). وكان من اجراءات المنصور الحازمة أنه امر عيسى بن موسى أن يأخذ معه أبا العساكر مسمع بن محمد بن شيان لما عرفه من طاعة أهل البصرة له، يضمن بذلك روعهم به إن حاولوا التحرك لصالح العلويين^(٣) كما أخذ معه جماعة من الطالبين ليجعلهم رسلاً بينه وبين أهل المدينة، وحين وصل عيسى إلى مشارف المدينة وزع قيادات جيشه على أنقاب المدينة، وأعلن العفو العام عن أهلها إن جنحوا للسلم. أما محمد فقد اقترف خطأ أخيراً أكثر جسامة حين أمر بحضر خندق حول

(١). تاريخ الطبري ٥٧٠/٧ وكامل المبرد ١١٦/٤. ١٢٠.

(٢). تاريخ الطبري ٥٧٩/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٧٨/٧.

المدينة، اتباعا لأثر الرسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الأحزاب، غير أن هذا الإجراء لم يعجب ذوي الرأي من أصحابه فاعترضوا عليه، ذكروا أن أحد أمراء بني سليم قال له:

يا أمير المؤمنين: نحن أخوالك وجيرانك، وفينا السلاح والكراع، والله لقد جاء الإسلام والخيل في بني سليم أكثر منها، بالحجاز، لقد بقي فينا منها ما أن بقي مثله عند عربي تسكن له البادية، فلا تخندق الخندق، فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به، فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجالة، ولم توجه لنا الخيل بين الأزقة، وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها، وإن الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم^(١).

إلا أن محمدا رفض هذه النصيحة الثمينة، وكان محمد قد أخذ على أهل المدينة المناقب حين أرادوا مغادرتها، إلا أنه حين سمع بعيسى وحميد بن قحطبة قد أقبلوا صعد المنبر، فقال:

يا أيها الناس، إنا قد جمعناكم للقتال، وأخذنا عليكم المناقب، وإن هذا العدو منكم قريب، وهو في عدد كثير، والنصر من الله والأمر بيده، وأنه قد بدلي أن آذن لكم وأخرج عنكم المناقب، فمن أحب أن يقيم أقام، ومن أحب أن يظعن ظعن، فخرج عالم من الناس بذرايرهم وأهليهم إلى الأعراض والأعجاز^(٢).

كان جند محمد عدا أهل المدينة من جهينة وبني سليم لم يتجاوز الثلاثمائة رجل إلا قليلا، فكانوا يقولون: نحن اليوم على عدة أهل بدر يوم لقوا المشركين^(٣) في حين كان جيش عيسى بن موسى قد تجاوز الأربعة آلاف مقاتل، ومعهم من العدة ما ليس لمحمد وأصحابه مثله، إضافة لقادة أكفاء، وكان مع عيسى بن موسى أفراد من آل أبي طالب جعلهم عيسى رسلا بينه وبين محمد

(١). تاريخ الطبري ٥٨١/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٨٣/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٨٨/٧ ومقاتل الطالبين ص ٢٨٤.

وأهل المدينة . وهو إجراء ذكي لا يخلو من تأثير على نفوس محمد وأصحابه .
 نزل عيسى بالأعوص يوم ١٢ رمضان من سنة ١٤٥ هـ، يوم السبت، فأقام يوم
 السبت ويوم الأحد، وغدا يوم الاثنين حتى استوى على سلع، فنظر إلى أهل المدينة
 وإلى من دخلها وخرج منها، وشحن وجوهها كلها بالخيل والرجال، إلا ناحية مسجد
 أبي الجراح، وهو على بطحان فإنه تركه لخروج من هرب، وبرز محمد في أهل المدينة
 وكان عيسى قد دعا أهل المدينة قبل نشوب القتال إلى الأمان وإلقاء السلاح، فلم يجبه
 أحد، ثم دعا بنفسه محمدا إلى الأمان، ومناه بالأموال، فصاح محمد: إله عن هذا،
 فوالله لو علمت أنه لا يثني عنكم فزع ولا يقربني منكم طمع ما كان هذا. ^(١) ونشب
 القتال، وكان في بدايته مبارزة بين أفراد من الفريقين، إلا أن جيش عيسى بدأ يتقدم
 رويدا رويدا نحو الخندق، وما لبث أن كشف أصحاب محمد عنه، ثم وضعوا
 عليه أبوابا فعبروا عليها، حتى كانوا من وراء جند أهل المدينة، ثم قتلوا أشد قتال
 من بكرة حتى صار العصر. ^(٢)

وبالرغم من استماتة أصحاب محمد وغنائهم في القتال غير أنهم لاحظوا أن
 لا أمل لهم بالنصر ازاء جيش العباسيين المتفوقين عددا وعدة. فاقترح عليه أحد
 نصحائه (وهو عبد الله بن جعفر) أن يخرج من المدينة ويلحق بالحسن بن معاوية
 بمكة لأن معه جل أصحابه، غير أن محمدا لم يشأ أن يتخلى عن مثالية المقاتل
 النبيل. فرفض هذا المقترح لأن خروجه سيعرض أهل المدينة للقتل، قال: والله لو
 خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل. وأنت مني في سعة ^(٣)
 وقد ناشده آخر من نصحائه وهو ابن خضير من ولد مصعب ابن الزبير أن يمضي
 إلى البصرة أو غيرها، إلا أن محمدا أجاب، والله لا تبتلون بي مرتين. ولكن
 اذهب حيث شئت، فأنت في حل، إلا أن ابن خضير هذا اخلص لقائده حتى

(١). تاريخ الطبري ٥٨٦/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٩٠/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٥٩١/٧.

النفس الأخير، فقال: وأين المذهب عنك، ثم مضى فأحرق الديوان وقتل رياحا، ثم لحق محمدا بالثنية - التي يحتدم القتال فيها الآن - فقاتل حتى قتل. ^(١) وقد حاول أن يقتل محمد بن خالد القسري، إلا أنه أحس بذلك فقدم باب الدار التي حبس فيها، فلم يستطع ابن خضير أن يقتحم الدار فرجع إلى محمد. ^(٢)

على أن أصحاب محمد كانوا يقاتلون على يأس من النصر رغم تفوقهم في القتال، إذ ليس لديهم من الرجال ما يستثمرون به النصر الذي يحرزون، قالوا: أن يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كان يقول: ويل أمه فتحالو كان له رجال ^(٣) إلا أن مقاومة المدنيين بدأت تضحل أمام هجمات الجيش العباسي، ثم تلاشت مقاومتهم حين صعد الخراسانيون جبل سلع ونصبوا عليه راية سوداء، ثم انصبوا إلى المدينة، إضافة إلى راية سوداء أمرت برفعها على منارة مسجد رسول الله أسماء بنت حسن بن عبد الله بن العباس، مما جعل أصحاب محمد يظنون أن المدينة قد احتلت من قبل المسودة، كما دخلت فرقة من جيش عيسى المدينة من طريق فتحه لهم الغفاريون، فصاروا خلف أصحاب محمد ^(٤)، أما محمد وبضعة من أصحابه فقد رأوا أن يمضوا إلى نهايتهم بشجاعة وإقدام، فأمر محمد بإحراق الديوان حتى لا يؤخذ الناس عليه، واستأذنه ابن خضير بدخول المدينة، فدخل السجن وذبح رياحا المري ^(٥) وأراد أن يقتل القسري، ثم أحرق الديوان وعاد إلى القتال، وعبثا حاول قادة الجيش

(١). تاريخ الطبري ٥٩١/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٩٢/٧ وفي مقاتل الطالبين ص ٢١٧ عن صاحب لرياح يقال له أبو البختري قال:.

أن رياحا لما دخلها المدينة. أميرا. قال لي: يا أبا البختري خذ بيدي حتى ندخل على هذا الشيخ يعني عبد الله بن حسن - وكان محبوسا في دار مروان فأقبل متكئا علي حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيها الشيخ، إن أمير المؤمنين والله ما استعلمني لرحم قرابة، ولا نيد سبقت مني إليه، والله لا تتعلب بي كما تلقيت بزياد وابن القسري، والله لأزهقن نفسك، أو تأتيني بابنيك محمد وإبراهيم.

قال: فرفع إليه رأسه، وقال: نعم، أما والله إنك لأزيرق قيس، المذبوح فيها كما تذبح الشاة.

(٣). تاريخ الطبري ٥٩٢/٧ وكامل ابن الأثير ١٠/٥.

(٤). تاريخ الطبري ٥٩٣/٧.

(٥). تاريخ الطبري ٥٩١/٧.

العباسي أن يجنبوا محمدا وابن خضير الموت^(١)، ولأمر عد محمد أحد أباة الضيم في الإسلام، قال ابن أبي الحديد: لما أحاطت عساكر عيسى بن موسى وهو بالمدينة، قيل له انج بنفسك، فإن لك خيلا مضمرة، ونجائب سابقة، فاقعد عليها والتحق بمكة أو اليمن، قال: إني إذا لعبد، وخرج إلى الحرب يباشرها بنفسه ويمواليه، فلما أحس تلك الليلة وأيقن بالقتل أشير عليه بالاستتار، فقال: إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف، فيكون لهم يوم كيوم الحرة، لا والله لا احفظ نفسي بهلاك أهل المدينة، بل اجعل دمي دون دمائهم^(٢) وتؤكد المصادر أن محمدا قاتل بنفسه قتالا شديدا.

قالوا: أنه نهد إلى الناس بسيفه لا يقاومه أحد إلا قتله لا والله ما يبقى شيئا، وأنه أشبه خلق الله به فيما ذكروا هو حمزة بن عبد المطلب. وفي أنساب الأشراف أنه قتل بيده اثنا عشر رجلا^(٣) يبدو أنه حاول أن يثار لنفسه قبل أن يودي به، فنادى ابن قحطبة أن يبرز إليه، إلا أن حميد نظر إلى نفسه حين أبى الأجابة وبينهما هذه الأغمار من الناس^(٤)، غير أن محمدا لم يلبث حتى رمي بالسهم، ودهمته الخيل، فوقف إلى ناحية جدار وقد تحاماه الناس ووجد الموت فتحامل على سيفه وكسره، فالزيدية تزعم أنه كان سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذا الفقار^(٥) حتى إذا سقط نزل إليه حميد فاحتز رأسه وبعثه إلى عيسى^(٦) وكان قتله لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن خمس وأربعين سنة كما اجمع المؤرخون^(٧) ولم يتفق

(١). تاريخ الطبري ٥٩٤/٧.

(٢). شرح نهج البلاغة ٣٠٧/٣ وانظر: انساب الأشراف ١٠٧/٣ ١٠٨.

(٣). انساب الأشراف ١٠٨/٣ وفي بعض مصادر: أنه قتل يومئذ سبعين رجلا، انظر: البداية والنهاية، ٨٩/١٠ والعبر ١٩٩/١.

(٤). تاريخ الطبري ٥٩٣/٧ وكامل ابن الأثير ١٠٠/٥.

(٥). شرح نهج البلاغة ٣٠٧/٣.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٢٠٧ والبداية والنهاية ٨٩/١٠.

(٧). انظر: تاريخ الطبري ٥٩٧/٧ والبداية والنهاية ٨٩/١٠ وسر السلسلة العلوية ص ٧ وأنساب الأشراف ١١١/٣ ومقاتل الطالبين ص ٢٧٥.

لأحد من الشائرين ما اتفق لمحمد بن عبد الله من طيب الذكر وحسن الثناء بين أعدائه ، قالوا أن بعض أصحاب عيسى وقعوا فيه فقال أحد القواد : كذبتم والله وقتلتم باطلا ، لما على هذا قاتلناه ، ولكنه خالف أمير المؤمنين ، وشق عصا المسلمين ، وانه كان لصواما قواما ، فسكت القوم^(١) .

أما عيسى بن موسى فلم يحاول أن ينتقم من أهل المدينة ، فلم يتعقب أحدا من أصحاب محمد ، ولم يبحث عن أحد منهم ، كما أنه أمر جنده بترك المدينة إلى معسكره بالجرف^(٢) وسمح لنساء محمد بن عبد الله بجثته ، واذن لهن بدفنها ، إلا أنه استثنى بني الحسن من العفو ، فقبض أموالهم كلها ، فأجاز ذلك أبو جعفر^(٣) غير أن أبا جعفر حين ولي جعفر بن سليمان المدينة أمره أن يتعقب من خرج مع محمد ، وان يعاقبهم على الانساب ، قال له : انظر من خرج مع محمد بن عبد الله من قريش فاسجنه ، ومن خرج معه من العرب فاجلده ، ومن خرج معه من الموالى فاقطع يده^(٤) ولم يكن العفو من شيم المنصور إلا أنه أجل انتقامه إلى حين هدوء العاصفة ، إذ تحدثت بعض المصادر أنه عامل أنصار محمد وإبراهيم ، بعد مقتل إبراهيم بقسوة بالغة كما سيأتي فيما بعد .

على أن بعض المصادر ذكرت أن المنصور لم يكتف بوصاته لجعفر بن سليمان ، بل شرع باستدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة ، فمنهم من قتله ، ومنهم من ضربه ضربا مبرحا ، ومنهم من عفا عنه^(٥) ، وفي المقاتل أنه استدعى عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وكان أمر أصدق ، فأمر به فضربت عنقه^(٦) .

كما أنه أمر بالبحر فأقفل على أهل المدينة ، فلم يحمل إليهم من ناحية البحر

(١). تاريخ الطبري ٥٩٧/٧ ، والمقاتل ص ٢٧٤ والبداية والنهاية ٩٠/١٠ .

(٢). تاريخ الطبري ٥٩٩/٧ .

(٣). تاريخ الطبري ٦٠٣/٧ .

(٤). الأخبار الموفقيات ص ١٨٦ .

(٥). البداية والنهاية ٩٠/١٠ .

(٦). مقاتل الطالبين ص ٢٨٦ .

شيء، حتى كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم، وأذن في الحمل^(١).

أنصار ثورة النفس الزكية:

أرى من المناسب أن استعرض أسماء بعض الذين قاموا مع محمد بن عبد الله بالمدينة والقوى التي ناصرته أو دعت إليه، لما في ذلك من دلالة على طبيعة ثورته وسرى أن جمعا لا يستهان به من فقهاء الحجاز قد ناصروه ودعوا إليه، وفي ذلك ما يستدل به على الطابع الديني لثورته.

لقد أجاب محمدا لما ظهر أهل المدينة وأعراضها، وقبائل من العرب منهم جهينة ومزينة وسليم وبنو بكر وأسلم وغفار^(٢) وفي هؤلاء من قاتل معه بشجاعة وأقدام حتى النهاية، قالوا: لما أتى أبو جعفر برؤوس من بني شجاع.

قال: هكذا فليكن الناس، طلبت محمدا فاشتمل هؤلاء عليه، ثم نقلوه وانتقلوا معه، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا^(٣) غير أنا لا نستطيع أن نستدل من إجابة هذه القبائل على توجهات محمد وثورته لعدم معرفتنا بمنازعهم الفكرية، وأما ما عدا هؤلاء فلعل أول ما يتبادر إلى الذهن موقف العلويين.

وقد تحدثنا فيما سبق أن بعضهم لم يكن يرى الكفاح المسلح وسيلة ناجحة، وكان على رأس هذا الطرف الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام). إلا أن الإمام الصادق لم يقف في المقابل في صف السلطة، كما أنه لم يشأ أن يتخلى عن محمد بصورة كاملة فإنه حين استعفى محمدا من مشاركته في أعمال الثورة أرسل إليه ولديه موسى الكاظم وعبد الله، قال أبو الفرج:

كان موسى وعبد الله ابنا جعفر مع محمد بن عبد الله، فاتاه جعفر فسلم

(١). تاريخ الطبري ٦٠٣/٧.

(٢). تاريخ الطبري ٥٨١/٧.

(٣). تاريخ الطبري ٦٠١/٧.

عليه ثم قال : تحب أن يصطلم أهل بيتك ؟ قال : ما أحب ذلك ، قال : فإن رأيت أن تأذن لي فإنك تعرف عنتي ، قال : قد أذنت لك ، ثم التفت محمد بعد ما مضى جعفر ، إلى موسى وعبد الله ابني جعفر ، فقال : الحقا بأبيكما ، فقد أذنت لكما ، فانصرفا ، فالتفت جعفر ، فقال : مالكما ؟ قالا : قد أذن لنا ، فقال جعفر :

ارجعا ، فما كنت بالذي أبخل بنفسي وبكما عنه ، فرجعا فشهدا محمدا^(١) .

ونقل أبو الفرج أيضا عن الحسين بن زيد قوله :

شهد مع محمد بن عبد الله بن الحسن من ولد الحسين أربعة : أنا وأخي عيسى وموسى وعبد الله ابنا جعفر^(٢) وذكر الحسين بن زيد هذا أنه رأى عبد الله بن جعفر وهو يبارز رجلا من المسودة ويقتله^(٣) .

وكان عيسى بن زيد من أشد الطالبين اندفاعا في ثورة محمد ، فكان يقوله له : من خالفك أو تخلف عنك من آل أبي طالب فأمكنني منه اضرب عنقه^(٤) . قالوا : وكان المنصور حين بلغه خروج عيسى وأخيه مع محمد يقول :

العجب لخروج ابني زيد ، وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه^(٥) .

ومن خرج مع محمد من الطالبين :

الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر^(٦) .

وحمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي^(٧) .

وعلي وزيد ابنا الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان ابوهما مع المنصور^(١) .

(١) . مقاتل الطالبين : ص ٢٥٢ .

(٢) . مقاتل الطالبين : ص ٢٧٧ .

(٣) . مقاتل الطالبين : ص ٢٧٨ .

(٤) . مقاتل الطالبين : ص ٢٨٣ .

(٥) . مقاتل الطالبين : ص ٢٧٨ .

(٦) . تاريخ الطبري ٦٠٤/٧ ومقاتل الطالبين ص ٢٧٨ .

(٧) . تاريخ الطبري ٦٠٤/٧ ومقاتل الطالبين ص ٢٧٨ .

وقد ذكرنا أنه أول من أغرى المنصور بالتشدد في أمر محمد وإبراهيم، وقد كافأه المنصور فيما بعد، فولاه أمرة المدينة سنة ١٥٩ هـ^(٢)

والقاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣).

والمرجى علي بن جعفر بن اسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٤).

والحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (صاحب فخ فيما بعد) وكان شابا فتيا، قال: لما خرجت مع محمد بن عبد الله قال لي: يا بني ارجع لعلك تقوم بهذا الأمر من بعدي^(٥). والافطس الحسن بن علي بن علي بن الحسين^(٦).

ويبدو أن المنصور كان شديد الرغبة في معرفة من يخرج مع محمد أو يتخلف عنه من الطالبيين، وذكروا أنه أمر عيسى بن موسى حين وجهه إلى المدينة أن يصادر أموال من يتخلف عنه من الطالبيين، وأنه قبض قطيعة أبي زياد التي كانت للإمام جعفر الصادق (عليه السلام)^(٧) على أن بعض الروايات أكدت أنه لم يقتل في الحرب مع محمد بن عبد الله أحد من قومه^(٨) إلا أن ذويه تفرقوا في البلاد، فكان لكل منهم شأن سنأتي على ذكره فيما بعد.

ومن آزر محمدا من فقهاء المدينة:

مالك بن أنس، استفتي في الخروج مع محمد بن عبد الله، وقيل له: أن في

(١). الكامل للمبرد ٥/٢٢٢.

(٢). البداية والنهاية ١٠/١٠٦.

(٣). مقاتل الطالبيين ص ٢٧٨.

(٤). مقاتل الطالبيين ص ٦٠٤.

(٥). مقاتل الطالبيين ص ٢٧٩.

(٦). مقاتل الطالبيين ص ٢٨٤.

(٧). مقاتل الطالبيين ص ٢٧٣ وتاريخ الطبري ٧/٦٠٣.

(٨). تاريخ الطبري ٧/٦٠١.

اعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين،
فأسرع الناس إلى محمد بن عبد الله^(١) إلا أن البلاذري نقل خبرا مفاده:

أن المتصور حين صادر أموال عبد الله بن الحسن وضمها إلى بيت المال، أخذ
مالك ابن أنس رزقه من ذلك المال بعينه اختيارا منه^(٢).

وعبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد الدراوردي، كان أبوه من دار بجرد
(موضع بفارس) كان من فقهاء أهل المدينة وساداتهم، خرج مع محمد فولاه
السلاح، توفي سنة ١٨٢ هـ^(٣).

والمندر بن محمد بن المنذر بن الزبير، كان رجلا صالحا، فقيها، حمل عنه
الحديث، قيل أنه لم ير من أصحاب محمد فارس أشد منه^(٤).

وأبو بكر بن أبي سبرة، الفقيه الذي يروي عنه الواقدي، خرج مع محمد
وكان معه راية له، وهو معلم بعذبة حمراء^(٥).

وعبد الواحد بن أبي عون، من دوس، كان ثقة يحمل عند الحديث، كان
منقطعا إلى عبد الله بن الحسن، فطلبه أبو جعفر فيمن طلب بعد مقتل محمد،
فتواري عند محمد بن يعقوب بن عيينة، ومات عنده^(٦).

وعبد الله بن يزيد بن هرمز، مولى الأزدي، خرج مع محمد بن عبد الله يحمل
في محفة وقال: ما في قتال، ولكن أحب أن يتأسى بي الناس، وقد حدث مالك
بن أنس قال: كنت آتي ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخي الستر، ثم
يذكر أول هذه الأمة، ويذكر العدل، ثم يبكي حتى تخضل لحيته، ثم خرج مع

(١). تاريخ الطبري ٥٦٠/٧ وفيه بعد ذلك ولزم مالك بيته، ومقاتل الطالبين ص ٢٨٣ والبداية
والنهاية ٨٤/١٠ وعمدة الطالب ص ١٠٥.

(٢). أنساب الأشراف ٨٨/٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٢٨٣، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٤٢ وتاريخ الطبري ٧/٧.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٢٨٤.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٢٨٣.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٢٨٥، تاريخ الطبري ٧/ كامل الأثير ٥/٢٢٢.

محمد فقييل له : والله ما فيك شيء ، قال : قد علمت ولكن يراني الجاهل فيقتدي به . ورؤي مع محمد بن عجلان ، فلما حضر القتال تقلد كل واحد منهما قوسا ، ولما قتل محمد ، اقتيد ابن هرمز إلى عيسى بن موسى ، فلم يهجه . مات سنة ١٤٨ هـ^(١) .

وعبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري ، الأوسي ، كان من خيار أهل المدينة ، ثقة روى عند هيثم وغيره حديثا كثيرا ، خرج مع محمد فكان على شرطته توفي سنة ١٥٣ هـ^(٢) .

ومحمد بن عجلان ، مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة عبد شمس ، كان من خيار أهل المدينة وفتيهم وعابدهم بلا مدافع ، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفتي الناس فيها ويحدثهم ، خرج مع محمد ، فلما ولي جعفر بن سليمان ، قيده فقييل له : كيف ترى رأي أهل البصرة في رجل قيد الحسن البصري .

قال : شر والله ، فقييل له : أن ابن عجلان بهذه يعني المدينة . كالحسن بتلك فكره ، وقيل أن جعفر استدعاه ، ثم أمر بقطع يده . وهو ساكت ، إلا أن من حضره من فقهاء المدينة وأشرفها ، قالوا له : أصلح الله الأمير ، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة ، وعابدهم ، وإنما شبه عليه ، فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه فولى ابن عجلان ولم يتكلم حتى أتى منزله . توفي سنة ١٤٨ هـ^(٣) .

وعبد الرحمن بن أبي الموالي كان مخالطا لبني الحسن ، وكان يعرف موضع محمد وإبراهيم ، ويختلف إليهما ، فكان يقال أنه داع من دعائهما ، وبلغ ذلك أبا جعفر المنصور ، فأخذه مع من أخذهم من بني الحسن ، وجيء به إلى الربذة ،

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٨١ ومشاهير علماء الأمصار ص ١٣٧ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٠ مشاهير علماء الأمصار ص ١٣١ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٢ وتاريخ الطبري ٦٠٥/٧ وتاريخ بغداد ٤٣٤/١٠ وابن الأثير ٥/٢٢٢ .

وعذب عذابا شديدا ليدل عليهما ، فلم يفعل .^(١)

وعبد الله بن عمر العمري ، خرج مع محمد هو وأخوه ، وكان محدثا كثير الحديث ، روى عنه نافع روايات كثيرة ، فلما قتل محمد استخفى ، ثم طلب فوجد فأتي به أبو جعفر ، فحبسه في المطبق سنين ، ثم عفا عنه .^(٢)

وعبد الله بن الزبير الأسدي ، المحدث ، قالوا : كان من وجوه محدثي الشيعة روى عنه عباد بن يعقوب ونظراؤه .^(٣)

وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، كان من رجال أهل المدينة علما وفقها وصدقا بالحديث ، وكان من ثقة أصحاب محمد ، يعلم علمه في تواريخه ، وكان محمد إذا جاء المدينة مستخفيا نزل في داره ، فلما خرج ولى عبد الله بن جعفر ديوان العطاء .^(٤)

وعبد العزيز بن المطلب المخزومي ، خرج مع محمد فولاه قضاء المدينة .^(٥)

ومصعب بن ثابت بن عبد الله الزبير ، كان من جلة أهل المدينة ومتقنيهم^(٦) مات سنة ١٥٧ هـ ، وابنه مصعب ، كان شاعرا أديبا راويا ، كان يحرض بشعره الناس وله في محمد بن عبد الله مرات جياد ، إلا أنه انحاز فيما بعد إلى العباسيين فنال لديهم حظوة .^(٧)

وعبد الله بن عامر الأسلمي ، كان من قراء أهل المدينة ، ثقة روى عنه وكيع وأبو نعيم وعبيد الله بن موسى وأبو ضمرة ، ولما مات رثاه علي بن إبراهيم بن عبد

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٧ والعبر للذهبي ٢٦٤/١ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٩ وابن الأثير ٢٢٢/٥ وتاريخ بغداد ١٠/٤٣٤ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٩٠ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٢٩١ وتاريخ الطبري ٧/ وابن الأثير ٢٢٢/٥ ومشاهير علماء الأمصار ص ١٣٨ .

(٥) . المقاتل ص ٢٨٢ .

(٦) . مشاهير علماء الأمصار ص ١٣٨ ومقاتل الطالبين ص ٢٨٥ .

(٧) . المقاتل ٢٨٥ تاريخ الطبري ٦٠١/٧ مروج الذهب ٢/٢٧٠ .

الله بن الحسن. (١)

وعبد الله بن عطاء، كان إمرأ صدق، وكان من خاصة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، وروى عن عبد الله بن الحسن، خرج معه بنوه جميعا، إبراهيم واسحاق وربيعة، وجعفر، وعبد الله، وعطاء، ويعقوب، وعثمان، وعبد العزيز، فكان أبو جعفر المنصور يقول: العجب لعبد الله بن عطاء، أنه بالأمس على بساطي، ثم يضربني بعشرة أسياف، فلما ظهر عيسى بن موسى، تغيب فمات متواريا، فلما خرج بنعشه، بلغ خبره جعفر بن سليمان، فأنزله من نعشه وصلبه، ثم كلم فيه، فأنزله بعد ثلاثة، وأذن في دفنه. (٢)

وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، كان إمرأ صدق، خرج مع محمد فلما قتل أتى به أبو جعفر، فسأله عن المال الذي كان عنده، فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين، قال: ومن أمير المؤمنين؟ قال: محمد بن عبد الله بن الحسن رحمة الله وصلواته عليه، وانه قال للمنصور: قد بايعت أنا وانت رجلا بمكة، فوفيت أنا ببيعتي وغدرت، فشمته فرد عليه، فأمر به فضربت عنقه (٣) وغير هؤلاء كثيرون، من ذلك نرى أن جمعا من فقهاء الحجاز قد خرجوا مع محمد مؤيديه ومناصرين، غير أن أحدا من هؤلاء لم ينسب إلى المذهب الزيدي بما استقر عليه، (فيما بعد) من مبادئ وأصول وأحكام، مما يجعلنا نعتقد أنه لم تتحدد معالمه بعد، وغاية ما في الأمر أنه يمثل منهج الإمام زيد بن علي في وجوب مقاومة السلطة الظالمة متى ما وجد الأعوان، على ذلك، وانه كان من رأي هؤلاء الفقهاء الذين راعهم تعسف العباسيين أن محمد بن عبد الله بن الحسين في علمه ورجاحة عقله وتدينه وفي نسبه الشريف أيضا ما يؤهله لتطبيق أهدافهم في وضع مناهج الإسلام

(١). المقاتل ص ٢٨٦ و ٢٩٧.

(٢). المقاتل ص ٢٨٦ و ٢٩٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٢٨٦.

وأحكامه موضع التطبيق متى ما وصل إلى مركز الخلافة، لم يكن تأييد هؤلاء الفقهاء لمحمد لأنهم يرونه الإمام الشرعي وفقا لمبادئ مذهب معين وإنما وجدوه أخرى الرشحين لمنصب الخلافة لتطبيق حدود الإسلام ومنهجه وأحكامه إزاء تعسف سلطة العباسيين .

غير أننا حين نتحدث عن القوى التي ناصرت ثورة محمد النفس الزكية يجب أن نبدأ بالمعتزلة، تلك الجماعة التي تشكلت سنة ١٠٠ هـ حين اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، ومهما اختلف المؤرخون في سبب تسميتهم بالمعتزلة فإنها أصبحت منذ تأسيسها فرقة كلامية تعتمد المنطق في جدلها الديني وتعتبر العقل أساسا للمعرفة . ويجب أن نذكر هنا أن للأساس الذي اعتمده في تكوينها الفكري وهو حرية الاختيار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعدا سياسيا يناقض المبدأ الذي اعتمده السلطة الأموية ومهدت له منذ أيام معاوية وحراريت معارضية بقسوة بلغت القتل والتمثيل، وهو مبدأ (الجبر) الذي بررت به السلطة الأموية تعسفها وانتزاعها على أمور الأمة، وحاولت الخلافة العباسية تأكيده، وبرغم قلة المصادر التي تحدثت عن نشاط المعتزلة السياسي (لضياع آثارهم) إلا أننا نستطيع أن نرجح أنهم حاولوا في البداية تحقيق هدفهم السياسي بإشاعة ثقافتهم أولا ثم محاولة التسلل إلى السلطة باحتواء بعض الخلفاء وأرباب السلطة بعد إقناعهم باعتراف آرائهم في القدر وغيره، وقد نجحوا مع الخليفة الأموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي اعتنق أصول الاعتزال، فأزروا على منافسة الوليد بن يزيد حتى ظفر بالخلافة، على أن موت يزيد المبكر أصاب الاعتزال بنكسة خطيرة، والأخبار تحدثنا أن المعتزلة لم يرحبوا بالخلافة العباسية، ولكنهم لم يعلنوا معارضتهم لها، بل اكتفوا بإسداء النصيح، وقد كان العباسيون الأوائل يتقبلون وعظهم بصدور رحبة لاطمئنانهم أن لا طموح لديهم في السلطة، إلا أن شيوخهم أبو تولى المناصب التي عرضها عليهم المنصور. ^(١)

(١). مروج الذهب ٢/٢٧٩.

غير أنه لا مجال للشك في أن المعتزلة تعاطفوا مع العلويين في صراعهم مع بني عمومتهم العباسيين، ذلك للتقارب الفكري بين التشيع الزيدي وبينهم، وخاصة في أحد أهم أصولهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لقد دخل المعتزلة معترك السياسة بكل ثقلهم الفكري، إلا أنهم كانوا يبحثون عن علم يستفيثون بظله لتحقيق أهدافهم في إقامة دولة العدل والتوحيد. ويبدو أن المعتزلة وجدوا في محمد بن عبد الله الرجل الذي طالما بحثوا عنه، وقد نصت بعض الروايات أنه التقى بهم وتباحث معهم في بداية نشاطه السياسي.^(١)

وإنه كان يحمل أهم مبادئهم ذات البعد السياسي، وهي العدل وحرية الاختيار ومفهوم العدل الاجتماعي في الإسلام، ومما لاشك فيه أن محمد بن عبد الله كان يعول كثيرا على استجابة المعتزلة لحركته، ولعل ذلك يفسر لنا سبب اهتمامه بالدعوة إلى نفسه في البصرة مركز المعتزلة وميدان نشاطهم، كان رأس المعتزلة آنذاك عمرو بن عبيد، وكان مطاعا فيهم^(٢)، إلا أن المصادر اختلفت في مدى استجابته لدعوة الثائر العلوي، فقد أكد البلاذري أن محمدا ذهب بنفسه إلى البصرة، ولقى عمرو فطالت بينهم النجوى، إلا أن عمرا لم يجبه، ووعظه وحذره الدماء وسوء العواقب.^(٣)

وان المنصور قدم البصرة واستدعى عمرا وقال له: أن الناس مجمعون على أنك بايعت محمدا، فقال عمرو: والله لو قلدني الناس أمرهم على أن اختار لهم إماما ما اخترته، فكيف أباع؟

إلا أن المنصور لم يطمئن إلى رد عمرو بن عبيد، لعلمه أن المعتزلة كانت

(١). مقاتل الطالبين ص ٢٣٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٢٠٩.

(٣). انساب الأشراف ١٨٧/٣.

تلتقي بالزيدية في أكثر من منحى ، وتتفق معها في كثير من توجهاتها السياسية ، فكتب على لسان محمد كتابا إلى عمرو بن عبيد ، فلما قرأه قال للرسول : ليس له جواب عن ذلك .

قل له : دعنا عافاك الله نعيش في هذا الظل . ونشرب هذا الماء البارد حتى يأتينا الموت ، فلما رجع الرسول إلى المنصور وأخبره ، قال : هذه ناحية قد كفيناها .^(١)

إلا أن أبا الفرج روى خبرا عن أبي فضالة النحوي عن موقف المعتزلة أثناء تخفي محمد يفاير بشكل وآخر ما روينا عن البلاذري أنفا ، قال : اجتمع واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد في بيت عثمان بن عبد الرحمن المخزومي من أهل البصرة ، فتذكروا الجور ، فقال عمرو بن عبيد : فمن يقوم بهذا الأمر ممن يستوجبه وهو له أهل ؟

فقال واصل : يقوم به والله من أصبح خيرا هذه الأمة ، محمد بن عبد الله بن الحسن .

فقال عمرو بن عبيد : ما أرى أن نبايع ، ولا نقوم إلا مع من أختبرناه ، وعرفنا سيرته .

فقال له واصل : والله لو لم يكن في محمد بن عبد الله أمر يدل على فضله إلا أن أباه عبد الله بن الحسن ، في سنه وفضله ، وموضع . قد رآه لهذا الأمر أهلا ، وقدمه فيه على نفسه لكان لذلك يستحق ما نراه له ، فكيف بحال محمد في نفسه وفضله ؟^(٢)

وفي خبر آخر :

خرج جماعة من أهل البصرة من المعتزلة منهم واصل بن عطاء وعمرو بن

(١) . أنساب الأشراف ٣/٨٨

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٩٣ .

عبيد وغيرهما حتى أتوا سوقة فسألوا عبد الله بن الحسن أن يخرج لهم ابنه محمدا حتى يكلموه .

فطلب لهم عبد الله فسطاطا ، واجتمع هو ومن شاوره من ثقاته أن يخرج إليهم إبراهيم بن عبد الله ، فأخرج إليهم إبراهيم ، وعليه رباطان ومعه عكازة ، حتى أوقفه عليهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر محمد بن عبد الله وحاله ، ودعاهم إلى بيعته . وعذرهم في التأخر عنه فقالوا : اللهم إنا برجل هذا رسوله ، فبايعوه ، وانصرفوا إلى البصرة .^(١)

أن هذا النص يؤكد أن المعتزلة وعلى رأسهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد قد بايعوا محمدا لقيادتهم إلى أهدافهم السياسية ، وثمة أخبار أخرى تؤكد أن المنصور كان يشك في تحركات عمرو بن عبيد ويتوجس منها خيفة ، وانه حاول أن يختبره فدرس عليه العيون والأرصاد فلم يجد عنده ما يخشاه ، فكان يشكر ذلك له .

وعلى اختلاف ما أوردته المصادر نستطيع القول أن عمرو بن عبيد أثر العافية ولربما صح قوله : لا نبايع إلا من اخترناه ، وان السلطة شكرت له موقفه . ولعله لم يشأ أن يقف موقفا حاسما وأثر انتظار النتائج ، إلا أنه لم يكتب له أن يعيش إلى أيام إعلان الثورة ، فقد مات في سنة ١٤٤ هـ^(٢) غير أنه من المؤكد أن المعتزلة وفيهم من أصحاب عمرو بن عبيد شاركوا في أعمال الثورة في البصرة مشاركة فعالة كما سيأتي .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٩٣ .

(٢) . طبقات ابن سعد ج ٧ ق ٣٣ .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب
السويدي

الفصل التاسع

ثورة إبراهيم بن عبد الله الحسين



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی

كان إبراهيم بن عبيد الله بن الحسن كما وصفه المؤرخون جارياً على شاكلة أخيه محمد في الدين والشجاعة والشدة^(١) ووصف بالدهاء والحصافة^(٢) قالوا أنه كان يحضر مجالس أبي جعفر العامة أثناء تخفيه^(٣) وقد جمع ضروبا من العلم والأدب جعلته ذا تأثير واضح على مريديه والوافدين عليه. فقد كان يقول شيئاً من الشعر^(٤) أورد أبو الفرج بعضاً منه، وكان راوية للأدب، وذكروا أنه نزل على المفضل الضبي في وقت استتاره - وكان المفضل زدياً - فقال له إبراهيم: ائتني بشيء من كتبك انظر فيه. فإن صدري يضيق إذا خرجت، فأتاه بشيء من أشعار العرب فاختر منها قصائد وكتبها مفردة في كتاب، قال المفضل فلما قتل إبراهيم أظهرتها، فنسبتها إلي، وهي القصائد التي تسمى (اختيار المفضل) السبعين قصيدة ثم زدت عليها وجعلتها مائة وثمانية وعشرين.^(٥)

واستشهد المؤرخون على تضلعه باللغة، أنه كان في يوم جالساً فسأل عن رجل من أصحابه، فقال بعض من حضر: هو عليل والساعة تركته يريد أن يموت، فضحك القوم منه، فقال إبراهيم: والله لقد ضحكتم منها عربية، قال الله عز وجل: ((فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه)) يعني كاد أن ينقض فوثب أبو عمرو بن العلاء فقبل رأسه، وقال: (لا تزال والله بخير ما دام مثلك فينا).^(٦) لقد عانى إبراهيم مع أخيه أثناء تخفيه والدعوة إلى محمد واستقطاب الأنصار كثيراً، وحين ظهر محمد بالمدينة أرسله إلى البصرة فمر بالموصل والأنبار وبغداد والمدائن والنيل وواسط والأنبار^(٧) إلا أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ دخوله

(١). المقاتل ص ٣١٥.

(٢). التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ١٥٦/٣.

(٣). تاريخ الطبري ٦٢٣/٧.

(٤). انظر مقاتل الطالبين ص ٣١٦.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٣٣٩، وفهرست ابن الذرير ص ١٠٢ وامالي القاضي ١٣٠/٣.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٣٣٧.

(٧). تاريخ الطبري ٦٢٤/٧.

البصرة وقد أورد الطبري روايتين تقول الأولى أنه دخلها في أول سنة ثلاث وأربعين ومائة، منصرف الناس من الحج وفي الثانية أنه دخلها أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة عندما ظهر محمد وغلب على المدينة والبصرة ويلىم عليه بالخلافة^(١).

وهذا التاريخ يختلط بتاريخ ظهور إبراهيم في البصرة وإعلانه الثورة فيها كما سنرى.

إلا أن البلاذري يورد رواية مختلفة قال: قدم محمد وإبراهيم البصرة، فنزلا على أبي حفص مولى آل كدير المازني، ثم رجع محمد إلى المدينة، فتحول إبراهيم فنزل عند المغيرة بن الفزع، ثم تحول إلى بني راسب، ثم جعل يتنقل... فكان خروجه في أول يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة.^(٢)

ورواية البلاذري فيما يبدو لي أقرب إلى الصحة، من روايات الطبري التي ذكرناها آنفا، ونستطيع أن نجمع بين هذه الروايات إذا رجحنا أن محمدا وإبراهيم قدما البصرة سنة ١٤٣ هـ واتفقا على موعد إعلان الثورة فيها، بل ولربما غادر إبراهيم البصرة قبيل إعلان الثورة إلى المدينة واجتمع مع أخيه ليتفقا على تفاصيل ما يجب عمله، ثم عاد إليها، ليعد عدته بانتظار الموعد الذي افترقا عليه.

لقد كان اختبار البصرة اختيارا موقفا لثورة تعلن في الحجاز الفقيرة من المال والرجال، بعد أن حل أبو جعفر في الكوفة وحال دون تحركها لنصرة العلويين بشتى الطرق، فقد كانت البصرة، مركزا للمعتزلة الذين التقوا مع الثائر العلوي في كثير من توجهاته السياسية، وأعربوا عن تأييدهم له كما أسلفت ثم أنها كانت أحد الميادين التي استجابت لدعوته. والتقت فيها الدعوة الزيدية، أو قل منهجها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع توجهات الكثير من الفقهاء والمحدثين

(١). تاريخ الطبري ٦٣٤/٧.

(٢). انساب الأشراف ١٢٢/٣.

إضافة إلى المعتزلة .

وقد أحست السلطة العباسية بأهمية البصرة، إلا أنها لم تحاول اتخاذ نفس الإجراءات التي اتخذتها في الكوفة .

قالوا: لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البهراني - وكان ذا رأي - فقال: هات رأيك، قد ظهر محمد بالمدينة، قال: وجه الأجناد إلى البصرة، قال: انصرف حتى أرسل إليك، فلما صار إبراهيم إلى البصرة، أرسل إليه فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، فقال: إياها خفت: بادره بالجنود، قال: وكيف خفت البصرة؟

قال: لأن محمد ظهر بالمدينة، وليسوا بأهل حرب، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب، فلم يبق إلا البصرة،^(١) وخبر آخر نقله المسعودي، مفاده أن المنصور استدعى رجلا اسمه اسحاق بن مسلم العقيلي، وكان شيخا ذا تجربة ورأي، وحدثه عن خارج فرج عليه بالمدينة فقال: اشحن البصرة بالرجال، فلما خرج إبراهيم بالبصرة استدعاه ثانية وسأله عن سبب اقتراحه بشحن البصرة بالرجال، أجاب:

ذكرت لي خروج رجل إذا خرج لم يتخلف عنه أحد، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش، فقلت: أنه رجل سيطلب غير موضعه، ففكرت في مصر فوجتها مضبوطة، والشام والكوفة كذلك، وفكرت في البصرة فخفت عليها منه لخلوها، فأشرت بشحنها.^(٢)

وثمة روايات أخرى مثل هذه اجتمعت على أهمية البصرة في اسناد ثورة يقودها علوي في الحجاز .

(١). تاريخ الطبري ٦٢٨/٧ .

(٢). مروج الذهب ٢٣٣/٢ .

إعلان الثورة في البصرة:

اجمع المؤرخون على أن محمدا وإبراهيم اتفقا أن يظهرأ في المدينة والبصرة في يوم واحد، إلا أنهما خالفا الموعد المضروب بينهما، وكذلك المؤرخون اختلفوا في سبب تغيير الموعد الذي اتفقا عليه.

قالوا أن محمدا خرج قبل الموعد الذي افترقا عليه. لأسباب ذكرنا بعضها. وفي رأي آخرين أن إبراهيم تأخر عن الموعد المضروب لمرض ألم به. (١) إلا أن روايات أخرى أكدت أن محمدا خرج قبل مواعده وكتب إلى أخيه يأمره أن يظهر، ففعل مكرها، روى أبو الفرج عن عفو الله بن سليمان، وكان من انصار إبراهيم قوله:

أتينا إبراهيم يوما وهو موعوب، فأخبرني أن كتاب أخيه محمد جاءه يخبره أنه قد ظهر، ويأمره بالخروج، قال: فوجم من ذلك واغتم له، فجعلت أسهل الأمر عليه، وقلت: قد اجتمع لك أمرك، ومعك المضاء والطهوي والمغيرة وأنا وجماعة، تخرج بالليل فتقصد السجن، فتفتحه فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس فطابت نفسه. (٢)

كان إبراهيم قد نزل دار أبي فروة، ودعا الناس فكان أول من بايعه غيلة من مرة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد، وعمرو بن سلمة الهجيمي، وعبد الله بن يحيى بن الحصين بن المنذر الرقاشي، وندبوا الناس إليه، فأجابه بعدهم فتيان العرب منهم: المغيرة بن الفزع، حتى ظنوا أن ديوان أحصى أربعة آلاف، (٣) وتحول إلى وسط البصرة، وقد اقترح عليه أصحابه ذلك ليوافيه الراغبون في الانضمام إليه وهم مريحون. (٤)

(١). عمدة الطالب ص ١٠٤.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٣١٩.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٣١٨، تاريخ الطبري ٦٢٨/٧.

(٤). تاريخ الطبري ٦٢٨/٧.

وكان إبراهيم يتنقل بين بيوت أنصاره حتى إذا آن له أن يظهر، خرج ليلة الاثنين غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة على ما اجمع المؤرخون عليه. (١) فصار إلى بني يشكر في بضعة عشر فارسا، واشعل في مقبرتها نارا منذ أول الليل ايدائنا بظهوره، حتى إذا انتصف الليل وافاه أصحابه ومن وعده من بني تميم وغيرهم (٢) فتحرك إلى دار الإمارة.

كان أمير البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد المهلب، وقد أكد المؤرخون أنه كان متعاطفا مع إبراهيم بن عبد الله، فلم يتخذ أي إجراء إزاء تحركاته، ولم يحاول أن يؤاخذ أحدا من أصحابه المترددين عليه (٣) بل أن بعض الروايات افادت أن سفيان كان ممالكا لابراهيم، وان إبراهيم كان قد أعلمه موعد خروجه، وكان أبو جعفر قد ارسل قائدين من قواده في جند إلى البصرة تحسبا للطوارئ، فلما علم سفيان موعد خروج إبراهيم ارسل إلى القائدين فاحتسبهما عنده تلك الليلة حتى خرج، فأحاط به وبهما فأخذهم (٤) وبذلك فقد احتل إبراهيم دار الإمارة بسهولة وذكروا أنه قيد سفيان قيادا خفيفا، وإنما أراد أن يري أبا جعفر أنه عنده محبوس (٥) إلا أنه لم يحاول أن ينتقم منه استبقاء لولاء قومه اليمانيين، روى الجاحظ:

لما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم، أمر الربيع فخلع سواده، ووقف به على رؤوس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة، ثم قال: يقول لكم أمير المؤمنين: قد عرفتم ما كان من احساني إليه، وحسن بلائي عنده، والذي حاول من الفتنة والغدر والبغي وشق العصا، ومعاونة الأعداء، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لو فيكم (٦).

-
- (١). مقاتل الطالبين ص ٣٢١، تاريخ الطبري ٦٣٥/٧ وعمدة الطالب ١٠٩ العقد الفريد ٨٥/٥ وكامل ابن الأثير ١٧/٥ وتاريخ اليعقوبي ١٢٢/٣.
(٢). تاريخ خليفة بن خياط ٤٥٠/٢.
(٣). انساب الأشراف ١٢٦/٣ وتاريخ الطبري ٦٣٣/٧.
(٤). تاريخ الطبري ٦٣٠/٧ وتاريخ خليفة ٤٥٠/٢.
(٥). انساب الأشراف ١٢٧/٣.
(٦). البيان والتبيين ١١٢/٢.

وكان في البصرة إضافة لهذين القائدين وجندهما جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي ، فلما علما أن إبراهيم أخذ دار الإمارة أقبلا في ستمائة من الرجال والفرسان و النشابة يريدانه^(١) فارسل إليهما إبراهيم المضاء والطهوي وأمرهما أن يقولا لهما: يقول لكما ابن خالكما - أمهما أم الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسن - أن احببتم جوارنا ففي الأمن والرحب ، لا خوف عليكم ولا على أحد تأمنانه . وإن كرهتما جوارنا ، فحيث شئتما فاذهبا ولا تسفكا بيننا وبينكم دما ، وإياكما أن تبدأ بقتال^(٢) غير أن الأمير بن العباسيين ازمعا على القتال ، لكنهما لم يصبرا عليه إلا قليلا ، فانهزما ولم يكن قد خرج إليهما مع المضاء بن القاسم الجزري غير ثمانية عشر فارسا وثلاثين رجلا ، أما إبراهيم فأمر ألا يتبع مدير وإلا يعرض لأحد منهم^(٣) وبذلك سيطر إبراهيم على البصرة ، ووجد في بيت المال أموالا كثيرة ، فقوي بذلك ، كما استطاع أن يستولي على دواب الجند الذين بعثهم أبو جعفر مددا لسفبان المهلبى ،^(٤) وبدأ ينظم شؤون البصرة ، فولى سلام بن أبي واصل الحذاء بيت المال^(٥) واستقضى عباد بن منصور على البصرة^(٦) وبدأ الآن يحاول مد سيطرته على الأهواز وفارس وواسط ، وكان قد أرسل إبراهيم المغيرة بن الفزع إليها أميرا ، ولعل ذلك يفسر لنا عدم استطاعة عامل العباسيين على الأهواز مقاتلة المغيرة الذي لم يكن إلا في مائتي رجل^(٧) على أن بعض الروايات ترى أن المغيرة خرج إلى الأهواز بعد خروج إبراهيم من البصرة متوجها إلى الكوفة^(٨) .

كان احتلال الأهواز عملا مهما لحماية البصرة وإمدادها بالمال والرجال ،

(١). تاريخ الطبري ٦٣٥/٧ .

(٢). المقاتل ص ٣٢٣ .

(٣). تاريخ الطبري ص ٦٣٥/٧ ، والبداية والنهاية ٩٣/١٠ .

(٤). تاريخ الطبري ٦٣٥/٧ وتاريخ خليفة ٤٤٩/٢ .

(٥). مقاتل الطالبين ص ٣٥٥ .

(٦). مقاتل الطالبين ص ٣٧٢ و ٣٨٠ .

(٧). تاريخ الطبري ٦٣٦/٧ وتاريخ خليفة ٤٥٠/٢ .

(٨). تاريخ الطبري ٦٣٦/٧ .

لذلك كان أول إجراءات أبي جعفر محاولة استعادتها من سيطرة إبراهيم كما سيأتي .

وأرسل إلى فارس عمرو بن شداد ، فمر بطريقه إليها برام هرمز وفيها يعقوب بن الفضل ، فاستبعبه ، فشخص معه إليها ، وكان عامل المنصور على فارس اسماعيل بن علي بن عبد الله ، ومعه أخوه عبد الصمد ، فلما علما بمسير عمرو بن شداد إليها ومعه يعقوب ابن الفضل انحازا إلى دار بجرد فتحصنا بها ، وبذلك وقعت فارس بيد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل وصارت مع البصرة والأهواز في سلطان إبراهيم .^(١)

ووجه إبراهيم إلى واسط هارون بن سعد ، وكان رجلا شجاعا فقيها محدثا ، قدم إلى البصرة من الكوفة مع نفر من أصحاب زيد بن علي ، قالوا : وكان إبراهيم واجدا عليه إلا أن ذلك لم يمنعه من عرض خدماته على إبراهيم ، واقترح عليه أن يوجهه إلى أهم الأعمال إليه ، فاستكفاه واسطا واستعمله عليها ،^(٢) وكان لشخصية هارون ومنزلته بين الفقهاء ، والمحدثين أثر واضح في التحاق وجوه أهل واسط به ، كما سار معه إلى واسط أشهر فرسان البصرة ، غير أن أبا جعفر لم يشأ أن يترك واسطا هدفا سهلا ، فأرسل إليها جيشا يقوده عامر بن إسماعيل المسلي ، وبزغم بيعة أهل واسط لهارون ، إلا أنه أمر واسط لم يستقم له ، وبقيت الحرب بينه وبين عامر المسلي سجالا ، ثم توادعا حين توجه إبراهيم إلى باخمرا إلى أن يلتقي الفريقان فيكونان تبعا للغالب^(٣) وكانت واسط موقعا مهما في حرب إبراهيم إذ أنها تمهد له الطريق إلى الكوفة .

وفي البصرة لم يستفز إبراهيم انتصاراته المتوالية على خصومه فيها ، فحاول إشاعة العدل وروح الإسلام ، فرأى الناس منه ما لم يتعودوا رؤيته من أبي جعفر ورجاله ، فلم يحاول أن يستخرج الأموال من عمال أبي جعفر بوسائل الشدة

(١). تاريخ الطبري ٦٣٦/٧

(٢). تاريخ الطبري ٦٣٧/٧ والمقاتل ٣٣١.

(٣). تاريخ الطبري ٦٣٧/٧.

والتعذيب، قالوا: أنه أرسل إلى أحدهم فسأله: هل عندك؟ قال: لا والله، قال: خلوا سبيله، فخرج وهو يقول: ليس هذا من رجال أبي جعفر،^(١) وأنه رحمه الله كان يقول: هل هي إلا سيرة علي بن أبي طالب أو النار،^(٢) ويقول: لا حاجة لي في مال لا يؤخذ إلا بالعذاب^(٣) ولعل ذلك يفسر لنا سبب التفاف الفقهاء والمحدثين وأهل الورع والتقوى حوله وأسراعهم إلى نصرته واقتناعهم بأن الخروج معه جهاد في سبيل الله. وحين نقرأ سير بعض هؤلاء سنجد في ثناياها أن قيامهم مع إبراهيم كان بدافع شعور أكيد بخيبة أمل مع العباسيين، وأنهم كانوا يرون وجوب التغيير ووضع الأمور في مسارها الصحيح، وأنهم وجدوا في الشائر العلوي محطاً لأمالهم، وموضعاً لثقتهم، ولعل من أطرف السير التي احتفظت بها كتب التاريخ سيرة رجل اسمه بشير الرحال، كان شيخاً كبيراً، ما فتئ ينعى على الناس سكوته عن الحق واستنابتهم للظلم قالوا: أن السعر غلاماً مرة بالبصرة فخرج الناس على الصعبة والذلول إلى الجبانة يدعون، فكان القصاص يقومون فيدعون فيتكلمون ثم يدعون فوثب بشير فقال:

شاهت الوجوه، ثلاثاً، عصى أمر الله في كل شيء، وانتهكت المحارم، وسفكت الدماء، واستؤثر بالفيء، فلم يجتمع منكم اثنان فيقولان، هل نغير هذا، وهلم بنا ندعوا الله أن يكشف هذا حتى إذا غلت أسعاركم بكيلجة^(٤) جثم على الصعب والذلول من كل فج عميق تصيحون إلى الله أن يرخص أسعاركم، لا أرخص الله أسعاركم وفعل بكم وفعل^(٥).

وأنه حضر يوماً الصلاة، فرفع رأسه فقال:

-
- (١). مقاتل الطالبين ص ٣٣٢.
 - (٢). مقاتل الطالبين ص ٣٣٣.
 - (٣). مقاتل الطالبين ص ٣٣٤.
 - (٤). الكيلجة: مكيال وجمعه كيالجة.
 - (٥). مقاتل الطالبين ص ٣٤٠.

عليك أيها المنبر لعنة الله وعلى من حولك ، فوالله لولاهم ما نفذت لله معصية ،
وأقسم بالله لو يطيعني هؤلاء إلا بناء حولي لأقمت كل أمرء منهم على حقه وصدقته ،
قائلا للحق أو تاركاً له ، وأقسم بالله لئن بقيت لأجهدن . في ذلك جهدي أو يريحني
الله من هذه الوجوه المشوهة المستنكرة في الإسلام^(١) .

وأنه كان يقول للسائل يقف عليه :

يا هذا إن لك حقاً عند رجل هاهنا ، وإذا أعانني عليه هؤلاء أخذت لك حقك .
فأغناك^(٢) .

وكان يعرض بأبي جعفر ، فيقول :

أيها القائل بالأمس : إن ولينا عدلنا وفعلنا وصنعنا ، فقد وليت فسأي عدل
أظهرت ، وأي جور أزلت . وأي مظلوم أنصفت ؟ آه . ما أشبه الليلة بالبارحة . إن في
صدري حرارة لا يطفئها إلا برد عدل أو حر سنان^(٣) .

وأخرى بهذه السيرة إن تجد في إبراهيم بن عبد الله المثل الذي تطلب وتبحث عنه ،
وقد صدق في فعله أقواله كل الصديق ، فقد ثبت مع إبراهيم ولم يفارقه حتى قتل معه .
ومن أزر إبراهيم من الفقهاء ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله ، كان يجهر
في أمر إبراهيم جهراً شديداً ويفتي الناس بالخروج معه حتى إن زفر ابن الهذيل قال له
يوماً : والله ما أنت بمنته عن هذا حتى نؤتى فتوضع في أعناقنا الحبال^(٤) .

وكتب هو ومسعر بن كدام إلى إبراهيم يدعوانه إلى إن يقصد الكوفة وضمنا له
نصرته ومعونته وأخرج أهل الكوفة معه^(٥) وكان يرى القتال مع إبراهيم كالقتال مع
رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ، ويقول في نصرته : هي بدر الصغرى^(٦) .

وقال لرجل قتل أخوه مع إبراهيم : قتل أخيك حين قتل يعدل قتله لو قتل

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٤٠ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٤١ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٤١ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٢٦١ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ٢٦١ و ٢٦٦ .

(٦) . مقاتل الطالبين ص ٢٦٦ و ٢٦٥ .

يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة،^(١) ويبدو إن تسمية القتال مع إبراهيم ببدر الصغرى قد شاعت بين الفقهاء والمحدثين، فقد كان شعبة بن الحجاج يقول: إنها بدر الصغرى^(٢).

وكان قد كتب إلى إبراهيم حين خرج إلى قتال عيسى بن موسى، أما بعد: فإني قد جهزت إليك أربعة آلاف درهم ولم يكن عندي غيرها، ولولا أمانات للناس عندي للحتت بك فإذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل أبوك في أهل صفين، أقتل مدبرهم وأجهز على جريحهم، ولا تفعل كما فعل أبوك في أهل الجمل، فإن للقوم فئة^(٣).

وتؤكد بعض الروايات إن أبا حنيفة بقي وفيما لذكرى محمد وإبراهيم أبني عبد الله ابن الحسن، وإن أمره رفع إلى المنصور فأمر بحمله إلى بغداد حيث اغتاله بالسم^(٤).

ومن خرج مع إبراهيم عباد بن العوام كان شيخا كبيرا، فلما قتل إبراهيم طلبه المنصور، فسأله فيه المهدي فوهبه له. وهدم الرشيد داره ومنعه من الحديث وحبسه مدة ثم خلى عنه، فأقام ببغداد، ومات سنة خمس وثمانين ومائة^(٥).

ومن خرج معه من الفقهاء وأهل العلم شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي. كان من سادات أهل زمانه، قال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق توفي بالبصرة سنة ستين ومائة^(٦).

ومنهم ابن داود الطهوي، كان ثقة روى عنه أبو نعيم والحسن بن الحسين

(١). مقاتل الطالبين ص ٢٦٤.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٢٦٥.

(٣). عمد الطالب ص ١٠٩ والمقاتل ص ٢٦٧.

(٤). الملل والنحل ص ١٥٨ مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ وعمده الطالب ص ١١٠ والعبير ١/ ٢١٤.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٢٥٩ و٢٦٢ و٢٧٦ وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٧٢ وتذكرة الحفاظ ٢٤١/١ وتهذيب التهذيب ٩٩/٥ وتاريخ بغداد ١١/ ١٠٤.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٢٦٥ وترجمته تهذيب ٤/ ٢٢٨ والمعارف ٢١٩.

السعدي وغيرهما من المحدثين^(١).

وهارون بن سعد، كان من أصحاب زيد بن علي عليه السلام قدم على إبراهيم مع جماعة من الزيدية، فأرسله إلى واسط، وكان رجلا صالحا فقيها، فلما قدم واليا على واسط، خطب الناس، ونعى على أبي جعفر أفعاله، وقتله آل رسول الله وظلمه الناس، وأخذ الأموال، ووضعها في غير مواضعها، وأبلغ في القول حتى أبكى الناس، ورقت لقوله قلوبهم، فاتبعه الفقهاء، ولم يتخلف عنه منهم أحد فتبعه عباد بن العوام، ويزيد بن هارون^(٢) وهشيم بن بشير^(٣) والعباس بن راشد^(٤) والعوام بن حوشب^(٥) وهو شيخ كبير وأسامة بن زيد^(٦) فلما قتل إبراهيم انحدر هارون إلى البصرة، فمات بها حين دخلها^(٧).

ولبطة بن الفرزدق، وكان شيخا كبيرا جليلا راويا للحديث قال أحدهم لما قتل إبراهيم مررت به فقال لي: ما الخبر؟
فقلت: الشر، والله انهزم أصحابنا.
قال: قف ها هنا نعش جميعا أو نعت جميعا.
فقلت: ليس بذلك، ووليت هاريا، فلم أجازه كثيرا حتى أدركه القوم

- (١). مقاتل الطالبين ص ٢٨٠ وترحمين في خلاصة تهذيب الكمال ص ٢٥٨.
(٢). يزيد بن هارون، من محدثي أهل واسط، ثقة كثير الحديث، وله سنة ١١٨ هـ وتوفي هو ابن سبع أو ثمان وثمانين أيام المأمون (طبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٦٢، انظر: تاريخ واسط في مواضع كثيرة.
(٣). وكان رجلا شجاعا، قالوا: وكان موقف هشيم في حروبه مشهرا وقتل ابنه معاوية، وأخوه الحجاج في بعض الواقع (ص ٢٥٩، وتاريخ واسط (انظر الفهرس) وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢ ص ٦١ وفيه انه ولد سنة خمس ومائة، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة ٤
(٤). العلاء بن راشد الواسطي، من المحدثين، انظر: تاريخ واسط (الفهرس).
(٥). العوام بن حوشب بن يزيد بن رويم، محدث ثقة، وكان صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر مات سنة ثمان وربعون ومائة وقد شهد الحرب وهو شيخ كبير المقاتل ص ٢٥٩ وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٦٠.
(٦). قالوا: لما قتل إبراهيم نادي منادي المسوده: آمن الناس اجمعون إلا العوام بن حوشب وأسامة بن زيد [المقاتل ص ٢٦٠]
(٧). مقاتل الطالبين ص ٢٥٩.

فسمعتة يقول : (لا ملجأ من الله إلا إليه) فقتل وعلقت في أذنه رقعة مكتوب فيها :
رأس لبطة بن الفرزدق^(١) .

وكان ممن خرج مع الحذاء من أصحاب زيد :

عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي . كان متيقظا ثباتا . كما وصف مات
سنة تسع وثمانين أو إحدى وتسعين ومائة^(٢) .

وأبو خالد الأحمر ، سليمان بن حيان ، من ثقات أهل الكوفة ، مات بالكوفة
سنة تسع وثمانين ومائة^(٣) .

ويونس بن أبي إسحاق ، أبو إسرائيل المتوفى سنة تسع وخمسون ومائة^(٤) .

وحمزة بن عطاء البرني ، وخليفة بن حسان الكيال وكان أفرس الناس^(٥) .

وممن خرج معه من المحدثين والفقهاء :

عبد الله بن جعفر المدائني^(٦) .

وعبد الواحد بن زياد العدي أبو بشر ، كان بنهر أبان ، وكان قد تقدم إلى

إبراهيم ألا يخفى عليه مخرجه ، فلما ظهر ، أقبل من نهر أبان حتى عبدهس ،

فهرب وإليها وخلف في بيت المال سبعين ألف درهم ، فأخذها عبد الواحد وقدم

بها على إبراهيم^(٧) وكان عبد الواحد من ثقات المحدثين متقنا ضابطا ، مات

سنة ١٧٦ هـ .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٦٩ .

(٢) . المقاتل ص ٢٥٦ وترحية في المعارف ١٩٩ . وخلاصة التذهيب ص ٥٨ وتذكرة الحفاظ ٢٥٧/١
مطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٨٥ .

(٣) . المقاتل ص ٢٥٩ وترحمين في تاريخ بغداد ٢١/٩ وخلاصة التذهيب ١٢٨ ومشاهير علماء
الأمصار ص ٧١ ابن سعد ٢٧٢ / ٦ .

(٤) . المقاتل ص ٢٥٧ وترجمته في خلاصة التذهيب ص ٢٧٩ ومشاهير علماء الأنصار ص ١٦٨
والطبقات ج ٧ ق ٢ ص ٢٥٢ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ٢٥٧ .

(٦) . مقاتل الطالبين ص ٢٥٧ .

(٧) . مقاتل الطالبين ص ٢٦١ وترجمته في مشاهير علماء الأنصار ص ١٦٠ .

وأيوب بن سليمان ، غلب على نهر أبان ، وكان محدثا راويا ، روى عنه
الواسطيون^(١) .

وأبو العوام القطان ، عمران بن داود ، من محدثي أهل البصرة ، ومن
أصحاب الحسن البصري^(٢) وإبراهيم الأزرق كان من أصحاب عمر وابن عبيد
خرج مع إبراهيم متقلدا سيفين^(٣) .

وعباد بن منصور ، ولاء إبراهيم قضاء البصرة^(٤) .

ومن دعا إلى إبراهيم وحث على نصرته ، غير أبي حنيفة :

سليمان بن مهران الأعمش ، الفقيه المحدث المشهور ، المتوفى سنة ثمان
وأربعين ومائة عن أربع وثمانين سنة^(٥) قالوا : أنه كان يقول أيام إبراهيم ما
يقعدكم ؟ أما أني لو كنت بصيرا لخرجت^(٦) .

ومسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري المتوفى سنة خمس وخمسين

ومائه وكان محدثنا متقنا^(٧) دعا إلى إبراهيم رغم كونه يرى رأي المرجئة قالوا انه

كتب إلى إبراهيم يدعوه إلى أن يأتي الكوفة ويعده بنصره^(٨) .

وصالح المروزي كان يحرض الناس على نصرته إبراهيم^(٩) .

وشعبة بن الحجاج ، كان يقول في نصرته إبراهيم لمن سأله : ما يقعدكم ؟ هي

بدر الصغرى^(١٠) .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٦١ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٧١ وترجمة في خلاصة التذهيب ٢٥١ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٨١ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٣٧٢ .

(٥) . انظر ترجمة في : المعارف ٢١٤ وخلاصة التذهيب ١٣١ وطبقات ابن سعد ٦ / ٢٣٨ .

(٦) . مقاتل الطالبين ص ٣٦٦ .

(٧) . ترجمة في مشاهير علماء الأنصار ص ١٦٩ وطبقات ابن سعد ٦ / ٢٥٣ .

(٨) . مقاتل الطالبين ص ٣٦٦ .

(٩) . مقاتل الطالبين ص ٣٦٥ .

(١٠) . مقاتل الطالبين ص ٣٦٥ .

وأمثال هؤلاء من الفقهاء والمحدثين ، وأهل العلم والورع والتقوى كثيرون^(١) رأوا في حركات هذا العلوي تصحيحا للمسار الذي سارت عليه الدولة الإسلامية منذ تأسيس دولة بني أمية ، ولم يفعل العباسيون إلا أخذ موقع الأمويين .

إن هذا العدد الكبير من الفقهاء والمتدينين على اختلاف مذاهبهم يؤكد إن هناك إجماعا على تأييد تحركات إبراهيم بن عبد الله الحسيني ، ففيهم الشيعي الزيدي الذي كان يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشهار السيف بوجه الحاكم الجائر ، وفيهم الشيعي الذي كان يتبع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي لم ير الكفاح السماح وسيلة ناجحة فانصرف إلى العلم وتأسيس مذهب يحفظ للمسلمين من مبادئ الدين تلك التي تحاول السلطات الآن توظيفها لصالحها .

وفي هؤلاء المرجئ الذي لا يرى الكفاح ولا يرى إلا أرجاء الأمر إلى الله فيحكم بمشيئته بما يشاء وهو مذهب لم يرحنه أهل البيت للمسلمين .

وفيهم المعتزلة الذين تبلورت الآن لهم من الأصول تلك التي تحمل أبعادا سياسية تضعهم على النقيض دائما مع السلطات القائمة .

وفيهم الفقهاء الذين لم يروا رأى هؤلاء ولا هؤلاء ، ولكنهم رأوا إن السلطة على غير ما يجب إن تكون عليه ، وتملككم شعور أكيد بوجوب التغيير ، فوجدوا في الثائر العلوي ما يمثل طموحهم ، ويضع آمالهم على الطريق .

ولا شك ، فإن الذي جمع هذه الأطراف هو شخصية إبراهيم المعتدلة وما كان عليه من نزاهة وما اشتهر به من عبادة وعلم ، وليس آراؤه في الإمامة ، ومن الواضح أننا من خلال سيرتنا مع تحركاته لم نجد يدعوه إلى إمامة أسرته وفق معتقد مذهبي معين . وإنما كانت دعوته إلى إمامة آل الرسول تشبه إلى حد ما

(١) انظر: مقاتل الطالبين ص ٣٥٤-٣٨٦ وتاريخ الطبري ٧ / ٦٣٤ وعمدة الطالب ١٠٩ .

دعوة القرشيين بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلى ضرورة إن تتولى عشيرة النبي الراحل ما كان يتولاه من أمور المسلمين وان استجابة هذا الحشد من الفقهاء كان على أساس انه من أسرة الرسول الكريم التي ينظر إليها الناس على اختلاف مذاهبهم في الإمامة وشرائطها بمنظار الإجلال والاحترام، خاصة عندما يكون الداعي إلى نفسه منهم، من يحمل مبادئ الرسول الكريم صافية مستقيمة ويدعو إلى تطبيق مفهوم العدل الاجتماعي في الإسلام مثلما عرفه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحاول تطبيقه بمثابة قل نظيرها في التاريخ، حتى أصبح رمزا لكل الفتات المضطهدة في تاريخ الدولة الإسلامية منذ وفاته عليه السلام، تلك المفاهيم التي يحاول حفيده الآن تطبيقها ثانية حين أعلن: إن هي إلا سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام أو النار.



نهاية إبراهيم:

كان نجاح إبراهيم في البصرة ونواحيها ساحقا فقد استقامت له البصرة والأهواز وفارس وكسكر، وكادت واسط إن تستقيم له بعد إن بايعه أهلها وانقادوا إلى وإليه عليها هارون بن سعد، وكثر أنصاره حتى قيل انه أحصى ديوانه من أهل البصرة فكان ستون ألفاً^(١) وقيل: بل مائة ألف^(٢).

وعلى الجانب الآخر كان أبو جعفر المنصور الذي حل بالكوفة التي تدين بالولاء للعلويين، فجعلها تحت وطأته ولكنه لم يكن ليجلس على فراش ممهد فلقد كانت الكوفة كالنار المخبأة تحت الرماد، تنتظر الصيحة لشب به ولم يكن معه جند كثير. فقد فرق جنده إلى أطراف بعيدة ولم يكن في معسكره غير ألفي رجل، قالوا: فكان يأمر بالخطب فيحزم ثم يوقد بالليل فيراها الرائي فيحسب إن هناك

(١). تاريخ اليعقوبي ٣ / .

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٢ ومقاتل الطالبين ص ٢٨١.

ناسا، وما هي إلا نار تضرم وليس عندما أحد^(١).

كان أبو جعفر قد أرسل جندا كثيرا مع ابنه المهدي إلى الري، وآخر مع محمد بن الأشعث إلى أفريقيا. وأرسل ما تبقى لديه مع عيسى بن موسى إلى المدينة لقتال محمد بن عبد الله، وبقي هو في أخلاط من الناس^(٢) ويبدو إن إبراهيم كان تنقصه الحنكة العسكرية رغم شجاعته إذ لو سار إلى أبي جعفر الآن لما كان في انتصاره سوى شك قليل، ولكنه رضي بما حققه ولم يتحرك باتجاه الكوفة إلا بعد إن وصله الخبر بمقتل أخيه محمد، وبذلك فقد سمح لأبي جعفر إن يجمع إليه جنده ويلم أطرافه،^(٣).

كان أبو جعفر ذا مقدره غريبة، وكان دائما يجمع إلى رأيه آراء الدهاة من أصحابه، ثم يعمل بما يراه صالحا له، وكان دائما يرى إن الغاية تبرر الوسيلة فلم يكن ليقف أمام إجراءاته شيء من دين أو مروءة أو عدل.

أما إبراهيم فلم يكن ليخضع الصفوة من أنصاره بالمشورة، وإنما بعرض ما ارتأه على اقناء جنده فيأخذ بما أجمعوا عليه، وبذلك فقد حرم نفسه من إلا فاده بما اقترحه ذوو الرأي من أصحابه، وكانت مثاليته تقف حائلا دون تنفيذنا أنجح الطرق لتحقيق أهدافه.

حين ظهر إبراهيم بالبصرة. وكان ذلك متوقعا عند مستشاري أبي جعفر لحاجة الثار بالمدينة إلى ميدان آخر أكثر حيوية. قرر المنصور إن يشحن البصرة بالجنود وان يشغل الأهواز عنه كونها الباب الذي يؤتى منه^(٤) ريشما يعالج أمر الكوفة وقد نفذ المنصور رأي أحد مستشاريه، فأرس إلى البصرة جندا مع قائدين إلا أنهما لم يفعلا شيئا بسبب تعاطف أمير البصرة مع إبراهيم فكانت العدة التي

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٩.

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٨.

(٣). انظر: تاريخ اليعقوبي الإسلامية ٢ / ٧.

(٤). تاريخ الطبري ٧ / ٦٢٩.

قدما بها على البصرة غنيمة باردة لإبراهيم^(١).

وأما الأهواز التي كانت قد بايعت إبراهيم، فوجه إليها أحد قواده وهو المغيرة بن الفرع أحد بني بهدلة بن عوف، وكان المغيرة فيما يبدو رجلا شجاعا شليد القلب^(٢) فأخذ الأهواز ونفي عنها أميرها محمد بن الحصين رغم وفرة عدد جنده إلا إن المنصور لم يلبث إن كتب إلى ابنه المهدي وهو في الري إن يعث إلى الأهواز حازم بن خزيمه على رأس جيش لاستعادة الأهواز^(٣).

وعبثا حاول المغيرة إن يثبت بجنده القليل أمام زحف خزيمه الذي عسكر غير بعيد عن قصبة الأهواز في إثني عشر ألف مقاتل^(٤) فلما دخلها خزيمه أباحها لجنده ثلاثة أيام فانتهبوها^(٥) وعاد المغيرة إلى البصرة فدخلها في اليوم الذي قتل فيه إبراهيم^(٦).

وأما واسط التي وليها هارون بن سعد، فقد ضم إليه إبراهيم جيشا كثيفا، فأخذها، ولم يتخلف عنه أحد من الفقهاء^(٧) فوجه إليها المنصور عامر بن إسماعيل المسلمي في خمسة آلاف وقيل بل في عشرين ألف مقاتل، فكانت بينهم وقعت انتهت إلى الموادعة حين شخص إبراهيم إلى الكوفة لملاقات جند المنصور السائر إليه، على إن يكونا مع الغالب، فلما قتل إبراهيم انحدر هارون إلى البصرة، فمات بعيد دخولها على إن عامر المسكي صالح أهل واسط على إن لا يقتل أحدا منهم بواسطة، فكان جنده يقتلون كل من يجدونه من أهل واسط خارجا منها^(٨).

وفي الكوفة التي وصفها مستشاروا المنصور له بأنها قدر يفور سيكون المنصور

(١). تاريخ الطبري ٦٣٠/٧.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٣٢٥.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٣٢٥ وتاريخ الإسلام للنهبي ٢٣/٦ والبداية والنهاية ١٠/ ٩٣.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٣٢٦.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٣٢٩.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٣٣٠.

(٧). مقاتل الطالبين ص ٣٥٩.

(٨). تاريخ الطبري ٦٣٧/٧.

طبقها لو نزلها^(١) فكان أول إجراءاته إن ترل الكوفة وجعلها تحت وطأته، إلا انه لم يكن إلا في معسكر ضئيل العدة والعدد، إلا انه حاول إن يهرب أهل الكوفة ويجعلهم يشعرون أنهم أمام أمر شديد فجعل جنده هذا يطوف في الكوفة كلها كل ليلة، وأمر مناديا ينادي: من أخذناه بعد عتمة عقد أحل بنفسه^(٢) كما كتب إلى عامله على الشام أن يحمل إليه جند الشام، فكان يقدمون عليه إرسالا وبعضهم على أثر بعض فكان إذا جنهم الليل أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق، فإذا أصبحوا دخلوا فلا يشك أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأولين^(٣) وبذلك استطاع إن يروع أهل الكوفة، وإلى ذلك فقد حاول المنصور إن يمنع أهل الكوفة آتيان إبراهيم، فوضع المراسد والمسالح في الطريق، فرموا قتلوا ناسا لم يكن إبراهيم هدفهم^(٤) وفي داخل الكوفة التي كانت تهم بالوثوب لولا مكان أبي جعفر ونزوله بها^(٥) فقد كان المنصور إذا اتهم أحدا من أهلها بالميل إلى إبراهيم أمر أحد اتباعه بطلبه، فكان هذا يمهل حتى إذا غسق الليل، وهدأ الناس النصب سلما على منزل الرجل فطرق في بيته حتى يخرج فيقتله، وبأخذ خاتمه ولكثرة ما قتل ذكروا أن رجلا قال لابنه والله لو لم يورثك أبوك إلا خواتيم من قتل من أهل الكوفة كنت أيسر الأبناء^(٦) وبذلك استنامت الكوفة تحت وطأة أبي جعفر. غير أن إبراهيم الذي قنع بما أحرزه في البصرة فلم يبادر أبا جعفر وهو في قلة من جنده إنما منحه فرصة اغتتمها أبو جعفر ببراعة وسرعة ليرمي - على حد تعبيره - كل كوره بحجرها وكل ناحية بسهها وبدأ الآن يجمع الجند لحرب إبراهيم، فما أن بلغه خروج محمد وجعفر ابني سليمان من البصرة حتى وجه إليهما جندا مع قائدين وأمرهما أن يحبساهما أينما لقياهما وان

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٠.

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣١.

(٣). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٠.

(٤). انظر: تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٢.

(٥). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٢.

(٦). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣١ ومقاتل الطالبين ص ٣٢٠.

يعسكرا معهما^(١) .

وكتب إلى حرب الرواندي وكان بالوصل رابطة في آفين لمكان الخوارج بالجزيرة ، يأمره بالقفل إليه فشخص ، فلما كان بياحمشا اعترض له أهلها ، وقالوا : لا ندعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقاتلهم فأبارهم وحمل منهم خمسمائة رأس ، فقدم بها على أبي جعفر الذي اعتبر ذلك أول الفتح^(٢) ولم يزل أبو جعفر يجمع إليه جنده ويلم أطرافه ، حتى إذا بلغه انتصار جيشه في المدينة ومقتل محمد بن عبد الله كتب إلى عيسى بن موسى إن يقدم عليه ويدع كل ما هو فيه ، فلم ينشب عيسى أن قدم ، فوجهه على الناس^(٣) .

وجعل على ميسرته سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الذي كتب إلى البصرة فلحقت به باهله عربها ومواليها^(٤) .

وبذلك أصبح لأبي جعفر جيش كثير يستطيع أن يوجه به إبراهيم وهو مطمئن إلى النتائج .

تحدث الروايات إن خبر مقتل محمد بن عبد الله بلغ أخاه في البصرة قبل الفطر بثلاثة أيام ، حتى إذا كان يوم الفطر صعد إبراهيم المنبر ونعى أخاه متمشلا بهذه الأبيات :

أبا المنازل يا خير الفوارس من
الله يعلم أنني لو خشيتهم
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم
ثم بكى ، فقال :

اللهم إنك تعلم إن محمدا إنما خرج غضبا لك ونفيا لهذه المسودة وإشارا

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٠ .

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٠ البداية والنهاية ١٠ / ٩٢ .

(٣). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٩ .

(٤). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٨ .

لحقك، فارحمه واغفر له، واجعل الآخرة خير مرد له ومنقلب من الدنيا، ثم جرض بريقه، وتراد الكلام في فيه، وتلجلج ساعة، ثم انفجر باكيا متحبا فبكى الناس. (١)

على إن مقتل محمد أثار حفاظ البصريين من أنصار إبراهيم إثارة شديدة، وأشعل في قلوبهم حماسا وزادهم بصيرة في قتال أبي جعفر (٢).

ولم يلبث إبراهيم حتى عسكر من الغد، واستخلف على البصرة أحد قواده وخلف معه ابنه حسنا. غير انه حين أزمع الشخوص نحو أبي جعفر أشار إليه بعض قواده وفيهم ثملة الطهوي إن يقيم بالبصرة ويوجه إلى أبي جعفر الأجناد، فإذا هزم له جند أمدهم بجند، قالوا: إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ووجه الأجناد فإذا هزم لك جند أمدتهم بجند، وإن هزم لك قائد أمدته بقائد فخيئ مكانك واتقاك عدوك، وجيئ الأموال وثبتت وطأتك تم رأيك بعد.

إلا إن الكوفيين اعترضوا على هذا الرأي على وجاهته، قالوا:

إن بالكوفة رجالا لو قدر أنك ماتوا دونك وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك، فلم يزالوا به حتى شخص (٣) إلا إن الطبري أورد خيرا بعد ذلك مفاده إن إبراهيم تمثل بأبيات فهم سامعها انه ندم على مسيره ولكنه لم يجد بدا من الاستمرار (٤) وحين بلغ كرخا وهو في طريقه إلى الكوفة عرض عليه عبد الواحد بن زياد بن لييد رأيا لم يأخذ به. فقد ذكر إن عبد الواحد قال: إن هذه بلاد قومي، وأنا أعلم بها، فلا تقصد قصد عيسى بن موسى وهذه العساكر التي وجهت إليك، ولكني اسلك بك إن تركتني طريقا لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة فأبي عليه فعرض عليه رأيا آخر، قال له: فأنا معشر ربيعه أصحاب

(١). مقاتل الطالبين ص ٣٤٢ وكامل ابن الأثير ٥ / ٢٢٢ وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٢٤ ومروج الذهب ٢ / ٢٣٤.

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٣٨. والبداية والنهاية ١٠ / ٩٢.

(٣). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٢.

(٤). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٢.

بيات فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتا، قال: أني أكره البيات^(١) وفي رواية أبي الفرج إن الزيدية اعترضت على رأي عبد الواحد، فقالت: إنما البيات من فعل السراق وإنها الزيدية. اعترضت أيضا على عودة إبراهيم إلى البصرة قائلة أترجع عن عدوك وقد رأيتك. وفي رواية أبي الفرج إن عبد الواحد عرض رأيا ثالثا على إبراهيم قال: فخذق على عسكري، فقالت الزيدية:

أجعل بنيك وبين الله جنة؟

فقال عبد الواحد: أما لولا إن يقال أني أوردتك ثم لم اصدرك لعرفت وجه الرأي^(٢).

لقد كان يقف دون إنفاذ مشورة ذوي الرأي والخبرة والدهاء من أنصار إبراهيم مثل الفارس النبيل التي التزم بها إبراهيم دون النظر إلى العواقب، وحماسة الزيدية التي حجبت عنهم وجوه الرأي، ولو إن إبراهيم فعل مثل المنصور في استخلاص آراء الصفوة من ذوي الرأي والتجربة والتقدير لربما كان لحركته شأن غير الذي كان، إلا إن إبراهيم كان يعرض تلك الآراء على إفتاء عسكرية ثم يتبع ما أجمعوا عليه بدافع من حماسة غير محسوبة النتائج ويبدو إن فكرة البيات راودت أكثر من واحد من قواد إبراهيم، قالوا: أن المضاء بن القاسم التغلبي أراد أن يبيت عيسى بن موسى، فمنعه بشير الرحال^(٣).

على أن بشير الرحال حال دون تنفيذ رأي آخر اقترحه أحد فواد إبراهيم لا يقل وجاهة ومضاء مما ذكرنا آنفا. فقد ذكر عن سعيد بن هريم أن أباه أخبره، قال: قلت لإبراهيم: انك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة فإن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة ولي بعد بها أهيل فدعني أسر إليها مختفيا فادعوا إليك في السر ثم أجهر فإنهم أن سمعوا داعيا إليك أجابوه،

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٣.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٣٤٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٣٤٤.

وإن سمع أبو جعفر الهيئة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان قال: فأقبل على بشير الرجال، فقال: ما نقول يا أبا محمد؛ قال: لو أنا وثقنا بالذي تصف لكل رأيا، ولكننا لا نأمن أن نجيبك منهم طائفة، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلا فيطأ البريء والنطف^(١) والصغير والكبير، فتكون قد تعرضت لأثم ذلك، ولم تبلغ منه ما أملت، فقلت لبشير: أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه، وأنت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل أو ليس كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجه السرية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت! فقال: إن أولئك كانوا مشركين كلهم، وهؤلاء أهل ملتنا ودعوتنا وقبلتنا، حكمهم غير حكم أولئك، فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له وسار حتى نزل باخمري وهي على ستة عشرة فرسخا من الكوفة^(٢).

غير أن الطبري يروي عن خالد بن أسيد الباهلي، أن سلم بن قتيبة الباهلي - هو أحد فواد المنصور - عرض على إبراهيم رأيا يشبه الرأي الذي عرضه عبد الواحد، قال: أن سلما أرسل إلى إبراهيم حكيم بن عبد الكريم: أئلك قد أصحرت، ومثلك أنفس به عن الموت، فخذق على نفسك لا تؤتى إلا من ماتى واحد، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكرة فتخفف في طائفة حتى تأتية فتأخذ بقفاه. غير أن إبراهيم كعادته - عرض ذلك الرأي على أصحابه الذين أخذهم الحماس مأخذا بعيدا عن تقدير النتائج وفق خطة، محسوبة بدقة فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم! لا والله لا تفعل. قال: فتأيتة؟ قالوا: ولم وهو في أيدينا متى أردناه. فقال إبراهيم للحكيم: قد تسمع فارجع راشدا^(٣). على أن سلما هذا عرض رأيا آخر حين تصاف المعسكران للقتال، إذ قال لإبراهيم: أن الصف إذا أنهزم بعضه تداعى، فلم يكن لهم نظام، فاجعل عسكريا كراديس إذا هزم كردوس ثبت كردوس إلا أن أصحاب إبراهيم تنادوا:

(١). النطف: الرجل المميب المنهم.

(٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٣.

(٣). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٤.

لا إلا قتال أهل الإسلام، يريدون قول الله تعالى: لا يقاتلون في سبيله صفا) وهكذا ضاعت على إبراهيم وجوه الرأي إزاء حماسة أصحابه، وما كان عليه من قلة التجربه السياسية والعسكرية. رغم ما كان عليه من شجاعة وحصافة، إلا أن المضاء عرض عليه أثناء ذلك رأيا اخيرا لعله آخر ما عرض على إبراهيم، قال المضاء: أن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مغرب الشمس من السلاح والكرع وإنما معك رجالا عراة من أهل البصرة^(١) فدعني أبيته، فوالله لا شتن جموعه، فقال: إني أكره القتل، فقال المضاء: تريد الملك وتكره القتل^(٢).

وهكذا حالت مثالية الثائر العلوي مرة أخرى دون تحقيق هدفه في النصر ووقف بجيشه الذي كان يغلبه الحماس وتنقصه الحنكة، وعلى مسيرته برد بن لبيد اليشكري^(٣) وعلى ميمته عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (عليه السلام)^(٤) وقيل بل كان على الميمنة عبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي^(٥) ووقف هو في القلب ومعه العلماء والفقهاء وأهل البصائر^(٦) وكان على مقدمه الجيش العباسي حميد بن قحطبة. ولم يلبث العسكران حتى أنشب القتال بينهما رجل خرج من عسكر عيسى، فقال: يا أصحاب إبراهيم، أنا والله قتلت محمدا. فخرج إليه أربعة رهط من عسكر إبراهيم، كأنهم الصقور، فابتدروه بأسيا فهم قال راوي الخبر، فوالله ما قلت خالطوه حتى رجعوا برأسه والله ما نصره أحد من أصحاب عيسى^(٧).

وبدأ القتال بين الفريقين شديدا، والتحم حميد بن قحطبة بجنده مع جيش إبراهيم إلا انه صدم صدمة عنيفة أجبرته على التراجع ثم الهزعية، وظهر إبراهيم

-
- (١). كان جيش إبراهيم أحد عشر ألفا سبعمائة فارس والباقون رجالة (انساب الاشراف ١٢٧/٣) فيها كان عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفا (الطبري ٧ / ٦٤٢).
- (٢). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٤.
- (٣). مقاتل الطالبين ص ٣٤٣ والعيون والحدائق ٢٥٣/٣.
- (٤). مقاتل الطالبين ص ٣٤٣. الحدائق الوردية ١٧٦ / ٢.
- (٥). انساب الاشراف ١٢٧/٣.
- (٦). الحدائق الوردية ١٧٦. / ١.
- (٧). مقاتل الطالبين ص ٣٤٥.

ظهورا بينا وقد أثرت هزيمة حميد بن قحطبه على بقية جند عيسى الذي تفرق عنه الناس فلم يبق معه إلا نفر يسير، إلا أنه ثبت في مكانه، إلا أن هزيمة جنده توالى حتى دخل أوائل المنهزمين مشارف الكوفة. ^(١) وتوالى أنباء الهزيمة على أبي جعفر وهو بالكوفة، حتى ظن أن جند إبراهيم سيدخلون عليه من أحد أبوابها، فأعد على كل بواب من أبواب المدينة إبلا ودواب حتى إذا أتى من ناحية خرج هو من الأخرى ^(٢).

بيد أن تلك الهزيمة تحولت فجأة إلى هجوم كاسح يقوده حميد بن قحطبة الذي كان في أول المنهزمين، ويبدو أن المفاجأة أذهلت جند إبراهيم فتضعفت صفوفهم، ولم يلبث اندفاعهم أن تحول إلى تراجع غير منظم إلا أن إبراهيم ثبت في القلب، وثبت معه بضعة مئات من أهل البصائر ثباتا عجيبا.

لقد وردت روايات كثيرة في سبب ذلك التحول المفاجئ لكلا الجيشين.

قالوا: عندما تقهقر جند عيسى وتبعهم أصحاب إبراهيم كان محمد بن أبي العباس في ناحية، فلما رأهم لف أعلامه وانهمزم، وأخذ على المسناة منهزما، وكان في المسناة تعريج فنظروا إليه، وقد صار في طرفيها وبعد عنهم، فكان يتبين لهم أنه خلفهم، وأنه كين، فصاحوا الكمين، الكمين، فانهزموا، وجاء سهم بينهم فأصاب إبراهيم فسقط ^(٣).

وفي رواية عيسى بن موسى نفسه، أن ابنا سليمان جعفر ومحمد صمدا لإبراهيم حين أنهزم الناس، فخرجا عليه من ورائه ولا يشعر المندفعون بأعقاب جند عيسى حتى نظر بعضهم إلى بعض وإذا القتال من ورائهم فكروا نحوه، وعقب عيسى وجنده في آثارهم راجعين.

قال عيسى لمحدثه، فوالله يا أبا العباس، لولا ابنا سليمان يومئذ لافتضحنا

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٤.

(٢). تاريخ الطبري ٣ / ٢٤٤ تاريخ اليعقوبي ٣ / ٣٢٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٣٤٦.

فكان من صنع الله أن أصحابنا لما انهزموا اعترض لهم نهر ذو ثنتين مرتفعتين
فحالتا بينهم وبين الوثوب، ولم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم^(١).

وفي ما نقله اليعقوبي: أن سلم بن قتيبة الباهلي خرج على أصحاب إبراهيم
من ناحية بخيل فتوهوا كميناً فانهزموا، وبقي إبراهيم في أربعمئة فحاربوا اشد
محاربة^(٢).

ولعل ما نقله اليعقوبي يطابق رواية عيسى بن موسى، إذ كان سلم أحد قواد
محمد وجعفر ابني سليمان^(٣).

وفي رواية أخرى عن أحد شهود المعركة: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم
رايات إبراهيم في آثارهم، فنادى منادي إبراهيم: إلا تتبعوا مدبراً، فكرت الرايات
راجحة ورآها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا، فكروا في آثارهم، فكانت
الهزيمة^(٤) ولئن صحت هذه الرواية، فإن إنسانية العلويين قد تغلبت مرة أخرى
فخسروا قضيتهم^(٥) وأما إبراهيم ثبت في القلب، وثبت معه أربعمئة أو خمسمئة
من حماة أصحابه يقاتلون دونه، ويذبون عنه إلا أنه لم يلبث أن قتل بسهم عاثر،
وقد وصف بعض أصحابه لحظاته الأخيرة بصور مختلفة. ولعل أتم الروايات تلك
التي تحدث بها المفضل الضبي، الذي قص سيرة إبراهيم منذ أن كان متوارياً عنده
في داره حتى خروجه من البصرة متوجهاً إلى الكوفة وهي رواية فيها شيء من
إسهاب سجل خلالها الأبيات التي تمثل بها إبراهيم خلال مسيرة من المرید حتى
باخمرى، ثم قال:

ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد فتمثل إبراهيم بهذه الأبيات:

(١). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٥.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٢٣.

(٣). انظر: انساب الاشراف ٣ / ١٢٨.

(٤). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٧. عمدة الطالب ص ١٠٩.

(٥). سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب ص ٢٧.

نبشت أن بني خزيمه أجمعوا
أن يقتلوني لا تصب أرماحهم
أرمي الطريق وان رصدت بضيقه
أمرًا خلالهم لتقتل خالدًا .
ناري ويسعى القوم سعيًا جاهدا .
وأنازل البطل الكمي الحاردا .

فقلت : من يقول هذه الآيات يا بن رسول الله ؟ .

فقال : يقوله خالد بن جعفر بن كلاب في يوم شعب جبلة ، وهو اليوم الذي
لقيت فيه قيس تميما .

قال : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فطعن رجلا . وطعنه آخر ، فقلت له :
أتباشر الحرب بنفسك وإنما العسكر منوط بك ؟ .

فقال ، إليك عنى يا أخا بني ضبة . كأن عويضا أخا بني قزارة كان ينظر إلينا في
يومنا هذا :

ألت فناس والمامها أحاديث نفس وأحلامها .
يمانية من بني مالك تطياول في المجد أعمامها .
وان لنا أهل جرثومة نرد الحوادث أيامها .
نرد الكتيبة مفلولة بها أفنها وبها ذامها .

والتحمت الحرب ، واشتدت ، فقال لي : يا مفضل حركني بشيء ، فذكرت
أبياقا لعويص القوافي لما تقدم بشعره ، فأنشدته قوله :

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت بسير إنمما أنت حاله .
إبى كل حر أن يبيت بوثره وتمنع منه النوم إذ أنت نائم .
أقول لفتيان كرام تروحووا على الجرد في أفواههن التمام .

قفوا وقفة من يحيى لا يخز بعدها . ومن يخترم لا تتبعه اللوائم .

وهل أنت أن باعدت نفسك منهم لتسلم ، فيما بعد ذلك سالم ؟ .

فقال : أعد ، وتبينت في وجهه انه سيقتل ، فتنبعت وندمت فقلت أو غير

ذلك ؟ .

قال: لا بل أعد الأبيات، فأعدتها، فتمطى على ركابه فقطعها. وحمل فغاب عني، وآتاه سهم عائر فقتله، وكان آخر عهدي به^(١).
 وسئل آخر يدعى أبا صلابة: كيف قتل إبراهيم؟ قال:
 إني لأنظر إليه واقفا على دابة محمد بن يزيد، ينظر أصحاب عيسى وقد ولوه أكتافهم، ونكص عيسى برأيه القهقري، وأصحابه يقتلونهم، وعلى إبراهيم قباء زرد فأذاه الحر، فحل إزاره فاتته نشابة عائرة فأصاب لبنه فرأينه اعتنق فرسه وكر راجعا وأطافت به الزيدية^(٢) وأنزل عن مركبه وهو يقول (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أردنا أمرا وأراد الله غيره، فأنزل إلى الأرض وهو مشخن، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، ورأى حميد بن قحطبة اجتماعهم فأنكرهم، فقال لأصحابه: شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه فشدوا عليهم فقاتلوهم اشد قتال حتى أخرجوهم عن إبراهيم وخلصوا إليه فحزوا رأسه، فأتوا به عيسى بن موسى، فبعثه إلى المنصور^(٣) فكان قتل إبراهيم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة^(٤) هو ابن ثمان وأربعين سنة^(٥) وبذلك انتهت ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن التي كانت أكثر التورات خطرا على الخلافة العباسية.
 أن نهاية ثورة إبراهيم السريعة لم تكن بسبب تخلى أصحابه عنه وقت الشدة مثلما حدث للتأثرين قبله، بل كانوا من اشد الناس اندفاعا واستماتة في سبيله فلم يكن لينقصهم الحماس، ولا الأقدام. كما لم يكن لينقصهم الأيمان بقضيتهم.

- (١). مقاتل الطالبين ص ٣٧٥ والأغانى ١٧ / ١٠٩ وشرح ابن أبي الجديد ١ / ٣٢٤ وبعض الخبر في أمالي القاضي ١ / ٢٥٨.
 (٢). مقاتل الطالبين ص ٣٤٨ وتاريخ الطبري ٧ / ٦٤٧.
 (٣). تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٧.
 (٤). مقاتل الطالبين ص ٣٤٩، تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٧ لسر المسئلة العلوية ص ٨ عمدة الطالب ص ١١٠ والبداية والنهاية ١٠ / ٩٥.
 (٥). عمدة الطالب ص ١١٠، العبر ١ / ٢٠٠.

فالأحداث تشهد انهم كانوا متمسكين بمبادئهم، مستهدفين التضحية لأجلها.
ولكن كانت تنقص الدربة والتجربة، وما فوته عليهم الحماس الزائد من
فرص الإفادة من آراء ذوي الخبرة ومحترفي الحرب.

ولم يكن إبراهيم نفسه لتقصه الشجاعة أو يعوزه الأقدام، ولكنه لم يكن
ليحترف القيادة، كان يتلقى الرأي الجيد والخطة المحكمة مستشاريه، فيلقبها على
إقناء جيشه المتحمسين، فتضيع عليه وجوه الرأي. كان أصحابه شديدي الطاعة
له، ولم يروا مخالفته في احلك الظروف. ولو استطاع أن يستثمر طاعتهم
واقبيادهم له كما يجب أن يستمرها القائد المتمرس بخدع الحرب وانتهاز الفرص
لما كان أملاً ضئيلاً في النصر. قال أحدهم:

شهدت باخري، فإني لأنظر إلى إبراهيم وهو في فسطاطه، وبين يديه علم
منهـب مركوز، فسمعتة يقول: أين أبو حمزة؟ فأقبل شيخ قصير على فرس،
قلما دنا عرفت وجهه، فإذا هو شيخ كان يعمل القلائس عند باب دار ابن مسعود
بالكوفة، فقال له: خذ هذا العلم قف به على الميسرة ولا تبرح، قال: فأخذ
العلم ووقف في الميسرة، والتقى الصفان، وقتل إبراهيم، فانهزم أصحابه وانه
لواقف مكانه، فقيل له: إلا ترى صاحبك قد قتل وذهب الناس؟ قال: إنه قال
لي: لا تبرح، فقاتل حتى عقربه، ثم قاتل راجلاً حتى قتل^(١).

وذلك مثل يمكن أن يتكرر في جيش يرى في قائده مالا يراه كثير من الجنـد في
قادتهم.

أما جيش المنصور، فلم يكن يمتلك ذلك الحماس، ولم يكن ليمتلك عقيدة
يلدفع عنها ويقاوم من أجلها، ولكنه كان جنـداً يحترف القتال واستقام إلى رغبات
قواده، يتجه حيث يريدون، دون أن يكون لهم رأي إلا في تفاصيل الحرفة
ومناقشة أي الطرق النجـح في تحقيق رغبات سادتهم. كما لم يكونوا على عداء مع

(١). مقاتل الطالبين ص ٣٤٥.

الثائرين بالسلطة (من العلويين خاصة) لربما كانوا على العكس يرون فيهم من جلال الدين وهدى المتقين ما لم يكونوا ليرونه في سادتهم، إلا انهم تعودوا على قبض أعطيا تههم والمضي قدما لتحقيق رغبات السادة الحاكمين، ذكر أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم: والله ما رأيت رجلا أنصح من الحجاج لبني مروان.

فقام المسيب بن زهير الضبي فقال: يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك، وفعلنا ذلك. فهل نصحناك أم لا؟^(١)

ولم تتمخض حركات محمد وإبراهيم ابني عبد الله عن معتقد خاص بهما، رغم ما كان يشاع عن محمد بأنه هو المهدي المنتظر، من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما اعتقده بعض الزيدية بأنه فعلا هو المهدي المنتظر، وانه لم يميت ولم يقتل، إنما جاء متأخرا عن زمانه، ولكن ذلك لم يكن رأي جمهور المذهب الزيدي، ولا رأى فرقة منهم بعينها، كان رأي جماعه عن (الجارودية) إحدى فرقة المذهب الزيدي التي ظهرت فيما بعد^(٢) وهو رأي لم نجد ما يسند في كتب الفرقة والنحل ولا فيما تركت الزيدية من آراء متكلميها وكتبهم. إلا أن الزيدية أصبحت بعد مقتل محمد وإبراهيم عقيدة دينية مصبوغة بالدم، ترى الكفاح طريقا لا بديل له، وحين كان أنصار محمد وإبراهيم أخلاط من الفقهاء وأهل العلم والحديث، والتقاء الورعون والمتطلعون إلى التطبيق عدالة الإسلام ومفاهيمه. أصبحوا بعد مقتل إبراهيم - فرقة دينية لها حدودها في المعتقد، وكذلك في العمل السياسي.

أكد المؤرخون أن عيسى بن موسى أمر مناديا بنادي بالأمان بعد مقتل إبراهيم وهزيمة جيشه إلا أن ذلك الأمان لم يستمر طويلا، فقد كان أبو جعفر شديدا مع

(١). مروج الذهب ٢ / ٣٣٦.

(٢). الفصل في الأهواء والملل والنحل ٥ / ١٩٠٠.

أنصار إبراهيم الذين تفرقوا في البلاد هربا من بطشه . (فأخذ أصحاب إبراهيم
وعماله فقتلوا في البوادي والنواحي)^(١) وكان أبو جعفر قد ولي أمر البصرة سلم
بن قتيبة الباهلي ، وكتب إليه يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلمهم ،
ويبدو أن سلما هذا كان متعاطفا مع إبراهيم وأنصاره فكتب إلى المنصور : بأي
ذلك أبدا ؛ بالدور أم بالنخل ؟ فكتب إليه أبو جعفر أما بعد ، فإني لو كتبت لك
بإفساد تمرهم لكتبت إلى تستأذني بأية تبدأ بالبرني أم بالشهريز ؟ وعزله وولي
محمد بن سليمان ، فقدم وعات^(٢) ومضى قدما في تنفيذ أمر أبي جعفر فهدم دورا
كثيرة ، قالوا : أنه هدم دار يعقوب بن الفضل ودار أبي مروان في بني بشكر ، ودار
عون بن مالك ، ودار عبد الواحد بن زياد . وكان قد قتل مع إبراهيم^(٣) ودار
الخليل بن الحصين في بني عدي ، ودار عفو الله بن سفيان^(٤) وهرب عبادين
العواء ، فهدمت داره ، ولم يزل متواريا حتى مات أبو جعفر^(٥) وأخذ المغيرة بن
الفرع ، بعد أن أعطى الأمان فقطع يديه ورجليه ، ثم قتله وصلبه^(٦) على أن مقتل
إبراهيم بن عبد الله أثار في طوائف كثيرة من الناس سخطا ونزوعا إلى التمرد رغم
إجراءات المنصور القاسية في معاقبة أنصاره وملاحقتهم . ويبدو أن شخصية
إبراهيم المحببة لدى الناس والمعتدلة ، ثم ما كان عليه من علم وفقه وعبادة جعلت
طوائفا كثيرة من الناس تشعر بكثير من الأسى والغیظ لمقتله . فقد رثاه الشعراء
بقصائد جيا^(٧) متجاوزين بذلك مشاعر الخوف ، واحتمال التعرض للعقوبة
والأذى . وعدا الشعراء ، فقد رأى الفقهاء وأهل العلم أن مقتل إبراهيم كان

(١) . انساب الأشراف ٣ / ١٣١ .

(٢) . البيان والتبيين ٢ / ٢٨٢ . تاريخ الطبري ٧ / ٦٥٥ .

(٣) . انساب الأشراف ٣ / ١٢٥ .

(٤) . تاريخ الطبري ٧ / ٦٥٦ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ٣٦٧ .

(٦) . انساب الأشراف ٣ / ١٣١ .

(٧) . انظر مقاتل الطالبين ص ٣٨٤ .

خسارة كبرى للدين ، ذكر عن سفيان الثوري انه لما قتل إبراهيم بن عبد الله قال :
ما أظن الصلاة تقبل إلا أن الصلاة خير من تركها^(١) وذكر المؤرخون موقفا
للأعمش الذي كان قد دعا إلى نصرة إبراهيم ، إلا انه لم يخرج معه لكبر سنه
وضعف بصره ذكروا أن مقتل إبراهيم أثار في نفسه نزوعا آخر لم يكن معهودا فيه
من قبل ، حدث أحدهم قال :

قتل إبراهيم وأنا بالكوفة ، فأتيت الأعمش بعد قتله ، فقال : أما هنا أحد
تنكروني؟ قلنا لا . قال : فإن كان هاهنا أحد تنكروني فأخرجوه إلى نار الله ، ثم
قال : أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل ما أرى سرنا حتى نزل بعقوته - يعني
أبا جعفر - فإن قال لي : ما جاء بك يا أعمش؟ قلت : جئت لأيد خضراءك أو تبيد
خضرائي ، كما فعلت بابت بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢) .

على أن مقتل إبراهيم أزاح كابوسا ثقيلا عن صدر المنصور ، قالوا : أنه حين
يلغه مقتله تمثل يقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى ❖❖❖ كما قرعنا بالإياب المسافر^(٣) .

على أنه لم يستطع أن يكتف ما بنفسه من إكبار وإجلال لشخصية إبراهيم ،
فقد ذكر انه لما أتى برأسه فوضع بين يديه بكى حتى قطرت دموعه على خد
إبراهيم ، ثم قال أما واله أن كنت لهذا كارها ، ولكنك ابتليت بي ، وابتليت بك^(٤)
كما ذكر عن أحد موالي المنصور قال : لما أتى برأس إبراهيم بن عبد الله - وضعه
بين يديه وجلس مجلسا عاما وأذن للناس ، فكان الداخل يشتم ويتناول إبراهيم
فيسيء القول فيه ، ويذكر منه القبيح التماسا لرضا أبي جعفر ، وأبو جعفر ممسك
متغير لونه ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني ، فوقف وسلم ثم قال : عظم الله

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٣ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٣ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٢٨٣ .

(٤) . تاريخ الطبري ٦٤٨/ ٧ . مقاتل الطالبين ص ٣٥٢ البدايه والنهاية ٩٤/١٠ .

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك . وغفر له ما فرط فيه من حقدك فاصغروا لولدي أبي جعفر ، وأقبل عليه ، فقال : أبا خالد مرحبا وأهلا ها هنا ، فعلم أن ذلك قد وقع منه (١) .

أما العلويون بالمدينة ، فقد اقتادهم المنصور إلى الكوفة بعيد مقتل إبراهيم . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : لما قتل إبراهيم حسرنا عن المدينة ولم يترك فينا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهرا نتوقع فيها القتل ، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا علي أمير المؤمنين رجلا منكم من ذوي الحجى ، قال : فدخلنا أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ .

قلت : لا يعلم الغيب إلا الله .

قال : أنت الذي يجيبي إليك هذا الخراج ؟ .

قلت : إليك يجيبي - يا أمير المؤمنين - الخراج .

قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا .

قال : أردت أن أهدم رباكم ، وأرزع قلوبكم ، وأعقر نخلكم ، وأترككم بالسراة ، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز ، وأهل العراق ، فإنهم لكم مفسدة . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر . وإن يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل .

قال : فتبسم وقال أعد علي ، فأعدت فقال : مثلك فليكن زعيم القوم ، وقد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة . . . (٢) .

غير أن مقتل إبراهيم أثار في نفس الإمام الصادق (عليه السلام) ما أثاره في نفوس الكثيرين من عار في فضله ، حدث أحدهم قال :

(١) . تاريخ الطبري ٧ / ٦٤٨ تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٢٤ البداية والنهاية ١ / ٩٢ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٣٥٠ .

لما قتل أبو جعفر محمدا وإبراهيم ، وجه شيبه بن عقال إلى الموسم لينال من آل أبي طالب ، ففعل ، فقام إليه رجل فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وأنبيائه المرسلين ، أما ما قلت من خير فنحن أهله ، وأما ما قلت من شرف أنت به أولى وصاحبك به أحرى يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده . أرجع مأزورا .

ثم أقبل على الناس فقال : إلا أخبركم بأبخس الناس ميزانا وإبينهم خسرانا من باع آخرته بدنيا غيره ، وهو هذا . ثم جلس فقال الناس : من هذا ؟ فقيل : جعفر بن محمد (عليهما السلام)^(١) .

على أن مذهب الصادق في العلم ، وسعي مدرسته الحثيث لتوطيد دعائم المذهب الذي يقف على نقبض ما تراه السلطة وخاصة في شرائط الإمامة ، جعل المنصور يتوجس منه خيفة ، وينظر إلى انتشار تلك المدرسة ورسوخها في ضمائر طوائف كثيرة من الناس بحذر وترقب ، ويجب أن نقف قليلا عنه كلمة المنصور له : أنت الذي يجبي لك الخراج ؟ ففي ذلك ما يعني أن طوائفا من الناس بدأت ترى أن الإمامة الحققة ليست في السلطة القائمة فعلا . إلا أن الإمام الصادق (عليه السلام) لم يلبث أن مات سنة ١٤٨ هـ^(٢) .

ربما ذهب ضحية دسية من السلطة كما ترى مصادر الشيعة (ولكن المدرسة العلمية التي كان قد أسهها لم تغلق بوفاة الحسن الحظ بل ظلت تزدهر برئاسة ابنه وخلفه موسى الملقب بالكاظم^(٣) .

ولئن استطاع الإمام الصادق (عليه السلام) بلباقته وحسن تأتبه أن يأمن بطش المنصور ويجنب الآخرين نقمته ، فإن أحدا من العلويين الخارجين مع محمد وإبراهيم لم يأمن بطش المنصور ، ففرقوا في البلاد ، ومنهم :

(١) . تيسير الطالب ص ١١٤ .

(٢) . عمدة الطالب ص ١٩٥ .

(٣) . مختصر تاريخ الوب ص ٢٠٩ .

موسى بن عبد الله ، أخو محمد وإبراهيم ، وكان محمد أرسله إلى الشام يدعو له ، فقتل قبل أن يصلها ، وقيل بلى رجع إلى محمد فشهد معه مقتله ، ثم ذهب إلى البصرة واستر بها ، إلا أن أميرها محمد بن سليمان دل عليه فأرسله إلى المنصور ، الذي ضربه خمسمائة سوط ، فأرصيره حبره حفيظة المنصور فقال : عذرت أهل الباطل في صبرهم - يعني الشطار - فما بال هذا الغلام المنعم الذي لم تره الشمس .

فقال موسى : يا أمير المؤمنين ، إذا صبر أهل الباطل على باطلهم فأهل الحق أولى ، فلما فرغوا من ضربه أخرجوه ، فقال له الربيع : يا فتى ، قد كان بلغني أنك من نجباء أهل بيتك وقد رأيت خلاف ما بلغني ، فقال له موسى : وما ذلك ؟ .

قال : رأيتك بين يدي عدوك تحب أن يبلغ في مكروهمك ، وتزيد في مساءتتك ، وأنت تماحكه في جلدك ، كأنك تصير على جلد غيرك .

فقال موسى :
مركز تحقيقات كويتية

إني من القوم الذين تزيد هم قسوا وصبرا شدة الحدتان .
وقيل أن موسى لم يزل محبوبا حتى أطلقه المهدي ، وقيل بل انه توارى بعد ذلك حتى مات^(١) .

وعبد الله الاشر بن محمد بن عبد الله ، قيل أن أباه أرسله إلى السند داعيا له وفيها عمر بن حفص أحد فواد المنصور إلا انه كان ميالا إلى آل أبي طالب^(٢) وقيل بل أخرجه إليها الزيدية فرارا من المنصور ، إلا أن المنصور بعث إليه من قتله وأرسل إليه رأسه^(٣) وكذلك قتل فيها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله ، وكان هرب إليها^(٤) .

ومنهم علي بن محمد بن عبد الله ، أرسله أبوه إلى مصر فأخذ وأرسل إلى

(١) . مقاتل الطالبين ص ٣٩٤ وزهر الآداب ١/١٢٩ .

(٢) . تاريخ الطبري ٨/٣٣ والبداية والنهاية ١٠/١٠٨ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٣١١ .

(٤) . انساب الأشراف ٣/١٣١ .

أبي جعفر فحبسه مع أهله ثم مات معهم ، وقيل بل مات في حبس المهدي^(١) .
والحسين بن زيد بن علي بن الحسين ، شهد مع محمد وإبراهيم حربهما ، ثم
توارى طويلا إلا انه لم يطلب ، فظهر ، لكنه قضى بقية عمره حزينا على من فقد
من أهله وذويه ، حتى لقب بذي الدمعة ، لكثرة بكائه^(٢) .

الزيدية بعد محمد وإبراهيم:

غير أن متواريا آخر من الطالبين كان له شأن مختلف عما ذكرنا منهم ذلك
هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ، الذي كان أشد الناس اندفاعا إلى الثورة
وأكثرهم حماسا كان يقول لمحمد بن عبد الله : من خالفك أو تخلف عنك من آل
أبي طالب فامكني منه اضرب عنقه ، ثم شهد مع محمد حربه في المدينة فكان على
ميمته ، فلما قتل ذهب إلى البصرة ، فكان مع إبراهيم ، وشهد معه حرب
باخمري ، وكان على ميمته أيضا ، فلما قتل إبراهيم التفت حوله الزيدية .
فقاتل بهم مليا ، ثم قال : ما بعد هذا متلوم ، فأنحاز إلى قصر خراب في
البصرة ، وازمع هو وأصحابه على أن يبيتوا عيسى بن موسى العباسي ، إلا أن
أصحاب عيسى ابن زيد افتقدوه بعد منتصف الليل ، فانتقض أمرهم^(٣) .

وفي عقيدة الزيدية : أن عيسى بن زيد ولي إمامتهم بعد إبراهيم ، قالوا ، أن
محمدا أوصى أن يكون بعده إبراهيم ، فإن أصيب فعيسى^(٤) .

بيد أن أبا الفرج أورد خبرين مناقضين لما سبق ، مفادهما أن عيسى اختلف
مع إبراهيم فاعتزله ، أولهما : أن إبراهيم صلى على جنازة بالبصرة وكبر عليها
أربعا ، فقال له عيسى بن زيد : لم نقصت واحدة ، وقد عرفت تكبير أهل بيتك ؟

(١) . مقاتل الطالبين ص ٢٠١ ونسب قريش ص ٥٣ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٣٨٧ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٤٠٧ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٤٠٨ .

فقال: هذا أجمع لهم، ونحن إلى اجتماعهم محتاجون، وليس في تكبيرة تركتها ضرر إن شاء الله، ففارقه عيسى واعتزله.

والثانية: أن عيسى بن زيد حين قدم البصرة ذكر أن محمدا جعل الأمر إليه ودعا الزيدية إلى نفسه فأجابوه، وأبي البصريون ذلك، حتى قالوا لإبراهيم، أن شئت أخرجناهم عنك من بلادنا، فالأمر لك، وما نعرف غيرك، حتى كادت أن تقع فرقة، فسفروا بينهما سفرا. وقالوا: أنا إن اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر، ولكن نقاتله جميعا، والأمر لإبراهيم، فان ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد، فاجمعوا على ذلك^(١).

إلا أن أبا الفرج شكك في صحة هذين الخبرين، وحدث عن رواته أن عيسى والحسين ابني زيد بن علي كانا مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن في خروجها من أشد الناس قتالا، وأنفذهم بصيرة، فبلغ ذلك أبا جعفر فكان يقول: مالي ولا بني زيد، وما ينقمان علينا؟ ألم تقتل قتله أبيهما، ونطلب ثأرهما ونشفي صدورهما من عدوهما^(٢).

على أن عيسى حاول أن ينظم الحركة الزيدية في العراق بعد مقتل إبراهيم ولربما ساعده على ذلك أن المنصور لم يكن متشددا في طلبه بعد أن قتل محمدا وإبراهيم، وكان عيسى (أفضل من بقي من أهله دينا وعلما وورعا وزهدا وتقشفا، وأشدهم بصيرة في أمره ومذهبه، مع علم كثير ورواية للحديث وطلب له)^(٣) ولعل فيما يحمله من تلك الصفات والقدرات مذكوري له لاستقطاب الأنصار، على أننا يجب أن نقرر أن عيسى لم يكن لاتبعه غير الزيدية، التي بدأت الآن تتبلور مفاهيمها وعقائدها كمذهب له أصوله وحدوده وقواعده، وعليه فلا نتوقع أن يستجيب له غير أولئك الذين اعتقدوا الزيدية مذهباً، على أن طول

(١). مقاتل الطالبين ص ٣٧٠.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٠٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٠٧.

اختفاء عيسى بن زيد وتنتعله بين البصرة والكوفة والحجاز جعل السلطة تستشعر خطر دعوته، وتتوقع وثوبه في أي لحظة. إلا أن الروايات لم تحدثنا عن أية إجراءات اتخذها المنصور بصدده، ولكنها تتحدث عن طلب حثيث لخليفته المهدي. ولكن ليس بالشدة التي عهدناها أيام المنصور، فقد كان المهدي على ما وصفه المؤرخون سمحا كريما رضي الخلق، أراد أن يداوي الجراح التي تركتها المنصور، وان يعالج مشكله الزيدية برفق، فاستوزر رجلا منهم عسى أن يكون الوسيط بينهما، ذلك هو يعقوب بن داود، إلا انه عزل حينما ذهبت به ميوله العلوية إلى أكثر مما يجب^(١) وبذل الأمان لعيسى، ونودي بذلك في جميع الأمصار، إلا أن عيسى آثر أن يستمر في تواريه رغم قناعته بعدم جدوى ظهوره لعدم ثقته بمن بايعه من الأنصار، كان يرى في إخافة السلطة جهادا^(٢).

على انه لم بعدم أنصارا ودعاة مخلصين ممن بقي من أصحاب زيد بن علي أو ممن شارك في ثورة محمد وإبراهيم النبي عبد الله، وعلى قلبه ما بين أيدينا من أخبار نشاطه أثناء تخفيه، إلا أننا نستطيع القول أنه كان جادا في جمع الأنصار والدعوة إلى نفسه، وكذلك دعائه، وكان فيهم من يرى أن الوقت قد حان للخروج وإعلان الثورة، إلا أن عيسى لم يكن يرى ذلك ربما بسبب الفشل الذي منيت به ثورات سلفه منذ قيام أبيه زيد، وقد حدث بعض أصحابه انهم اجتمعوا به يوما، فقال له الحسن بن صالح بن حي، وهو من اكبر دعائه وأكثرهم إخلاصا له: متى تدافعنا بالخروج، قد اشتمل ديوانك على عشرة آلاف رجل؟ فقال له عيسى: ويحك أتكثر علي العدد وأنا بهم عارف، أما والله لو وجدت منهم ثلاثمائة رجل اعلم أنهم يريدون الله عز وجل، ويبدلون أنفسهم له، ويصدقون للقاء عدوه في طاعته، لخرجت قبل الصباح حتى أبلني عند الله عذرا في أعداء الله،

(١). انظر: العبر ١/٢٤٧.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤١١.

وأجرى أمر المسلمين على سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن لا أعرف موضع ثقة يفني بيعته لله عز وجل، ويثبت عند اللقاء^(١) على أن المهدي على شدة تقصيه أخبار عيسى ودعائه، لم يستطع أن يعرف غير أسماء ثلاثة منهم، استطاع بعد لأي أن يظفر بأحدهم (فحبسه وقرره ورفق به واشتد عليه ليعرفه موضع عيسى فلم يفعل، فقتله)^(٢) على أن عيسى لم يلبث أن مات بعد أن اختفى ثمانيا وعشرين سنة^(٣) ومات بعده أحد الباقيين من دعائه، فذهب ثالثهما إلى المهدي واخبره بموت عيسى وطلب إليه أن يرعى ابنه احمد وزيد، في قصة طريفة رواها أبو الفرج^(٤) وبذلك انتهى نشاط الزيدية في العراق أو كاد لفترة سوف لن تطول.



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامية

-
- (١). مقاتل الطالبين ص ٤١٨.
 - (٢). مقاتل الطالبين ص ٤٢٠.
 - (٣). جمهره انساب العرب ص ٥٤.
 - (٤). مقاتل الطالبين ص ٤٢٠.



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم ارسوى

الفصل العاشر

ثورة الحسين بن علي الحسنى (١٦٩هـ)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الخليفة المهدي والعلويون:

ورث محمد المهدي الخلافة عن أبيه (في العام ١٥٨ هـ) والدولة العباسية تكاد تخلو من المشاكل ، فقد أرسى المنصور قواعد الاستقرار ، وذلك المشاكل والعقبات (فانسجم هذا الواقع مع طباعه - المهدي - وأخلاقه المعروفة باللين والمسالة إلى حد بعيد)^(١) .

وقد حاول المهدي أن يواجه مشكلة العلويين وتطلعهم المستمر للخلافة بطريقة مغايرة لطريقه أبيه ، تلك الطريقة التي اتسمت بالشدة والبطش ، على أن العلويين الذين تقارعوا في أول الأمر مع العباسيين بالأنساب أصبحت تحذوهم إلى طلابهم الآن عقيدة دينية تؤكد حقهم في الخلافة ، وتفرض عليهم شرائطها . وأول هذه الشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإشهار السيف متى ما وجد لذلك الأنصار ولم يعوزهم الآن الأنصار ، فقد انتشر المذهب الزيدي في نواحي كثيرة من الدولة الإسلامية ، وخاصة العراق مركز الخلافة العباسية ، لقد تبوأ المهدي مركز الخلافة وفي العلويين من يطلب هذا الأمر ، ويدعو إلى نفسه ، وله على ذلك أنصار ودعاة ، ذلك هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين الذي اختفى منذ مقتل إبراهيم بن عبد الله سنة ١٤٥ هـ . وتواري عن الأنظار داعيا إلى نفسه ، وفي بعض ما نقل الطبري أن المنصور حين أوصى المهدي بكل شيء . لم ينس أن يحذره من خطر هذا العلوي المتربص ، وكان عيسى حريا بأن يجد الأتباع والمريدين لعلمه وزهده وورعه ، وما تجمع فيه من خصال الخير ، قالوا : أن المنصور لما حج في السنة التي توفي فيها شيعة المهدي فقال : يا بني ، أني جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي ، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلي . وبنيت لك مدينة لم يكن في الإسلام مثلها ، ولست أخاف عليك إلا

(١). الجومرد: هارون الرشيد ١/٧٩.

أحد رجلين: عيسى بن موسى^(١) وعيسى بن زيد، فأما عيسى بن موسى فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته، والله لو لم يكن إلا أن يقول قولاً لما خفته عليك، فأخرجه من قلبك، وأما عيسى بن زيد، فأنفق هذه الأموال، واقتل هؤلاء الموالي، واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ثم لا ألومك^(٢) وبالرغم مما اتسمت به وصية المنصور من شدة وحزم، فإن المهدي حاول أن يتفاهم مع العلويين بطريقة أخرى، حاول أولاً إرضائهم فرد عليهم ما أخذ المنصور، واطلق منهم من كان محبوباً (ولم يستثن منهم غير الحسن بن إبراهيم العلوي خوف طموحه ونشاطه الملحوظ)^(٣).

وأعلن الأمان لعيسى بن زيد في مختلف الأنصار، إلا أن عيسى آثر البقاء متخفياً رغم عدم ثقته بجدوى ذلك وحاول الخليفة أن يتسقط أخباره إلا أنه لم يتمكن إلا من واحد من دعائه، وأراد بهشتي الوسائل أن يدلّه على عيسى فلم يفعل، فقتله، إلا أن عيسى لم يلبث أن مات، وأخبر الخليفة بموته أحد أتباعه الذين أعياهم طول التخفي، وأضر بهم الفقر والحاجة، فعفا عنه وهم إليه ولدي عيسى، إلا أن موت عيسى لم يمهّج تحركات الزيدية، كما لم يكن عيسى آخر المتوثبين على السلطة فقد قدم بغداد سرا علي بن العباس ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ودعا إلى نفسه، فاستجاب له جماعة من الزيدية، وبلغ المهدي خبره فأخذه، فلم يزل في حبسه حتى قدم الحسين ابن علي (صاحب فخ) فكلّمه فيه واستوّهه منه، فوهبه له، فلما أراد إخراجه من حبسه دس إليه شربة سم، فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام^(٤).

(١). كان أبو العباس السفاح قد أوصى أن يكون عيسى بن موسى ولي عهد المنصور، إلا أن المنصور بايع ابنه المهدي لولاية العهد، وأجبر عيسى بن موسى على بيعته، على أن يكون الخليفة بعده.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ١٠٦.

(٣). هارون الرشيد ١ / ٧٩.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٠٣.

وقد حاول المهدي أن يجد وسيطاً بينه وبين الحسينيين المتوثبين عليه فاستوزر يعقوب بن داود، وكان يعقوب زيدياً، شارك في ثورة محمد وإبراهيم ابني عبد الله، وحبسه المنصور، حتى إذا ولي المهدي أطلقه فيمن أطلق من المحبوسين، كان المهدي يخشى (من بني الحسن أن يحدثوا أمراً لا يتدارك فطلب رجلاً له انس بهم ليستعين به على أمرهم، فدلّه الربيع على يعقوب ابن داود)^(١) غير أن المهدي حين شعر أن يعقوب هذا قد ذهب مع الطالبين إلى المدى غير المسموح به نكبه وحبسه في (المطبق) منذ سنة ١٦٦ هـ^(٢) ولم يطلق إلا أيام الرشيد الذي ولي الخلافة سنة ١٧٠ هـ^(٣).

قلت أن المهدي أراد أن يتفاهم من العلويين، وحاول أن يطامن من جموحهم بطريقة مختلفة عن طريقة أبيه المنصور، وأنا لا أشك أن نزوعاً خيراً كان يدفعه إلى ذلك، غير أنني لا أشك أيضاً أن ذلك النزوع الطيب سوف من لن يجعله يغض الطرف عن أي تحرك يهدد سلطته، بل لن يقف حائلاً دون البطش بأي طموح إلى منصبه، فقد رأينا أنه اغتال علي بن العباس بن الحسن بن الحسن، الذي دعا إلى نفسه، رغم تظاهره بالعفو عنه^(٤) ورأينا أنه حين ظفر بأحد دعاة عيسى بن زيد لم يتردد في قتله حين أبى أن يدلي بأي اعتراف يدلّه على مكان عيسى^(٥) ولكنه عفا عن داعية آخر حين بشره بوفاة عيسى بن زيد.

وفي بعض أخبار الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، أن المهدي حبسه في بغداد رغم ما عرف عنه (عليه السلام) من عزوف عن النزاع السياسي ومقارعة ذوي السلطة، إلا أنه كان يهدف إلى ترسيخ مذهب في شرائط الإمام

(١). الفخري في الأحكام السلطانية ص ١٣٦ وانظر: تاريخ الطبري ١٥٥/٨.

(٢). تاريخ الطبري ١٥٤ / ٨.

(٣). تاريخ الطبري ١٥٥ / ٨.

(٤). مقاتل الطالبين: ص ٤٠٣.

(٥). مقاتل الطالبين: ٤٢٩.

يقف على النقيض من المذهب الذي بدأت السلطة العباسية في ترسيخه بأذهان الناس ولم يطلق سراح الإمام الكاظم (عليه السلام) إلا بعد أن أخذ منه موثقاً بعدم العمل ضده أو ضد أحد ممن سيلي الخلافة بعده من بني العباس^(١).

على أن المهدي غير المذهب الذي وضعه العباسيون الأوائيل في شرعية إمامتهم، وانتقالها من علي وبنيه إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، واعتبرها شيعة بني العباس أصلاً من أصول مذهبهم فردهم المهدي عن إثبات الإمامة لمحمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم، وأثبتها للعباس بن عبد المطلب بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ودعاهم إليها، وقال: كان العباس عمه ووارثه وأولى الناس به، وإن كل من دخل في الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غاصبون متوثبون^(٢) وحاول أن يذيع هذا المذهب بين الناس ويرسخه في أذهانهم فوجد في الشعراء أداة طيعة بيده، فاغدق عليهم من الهبات ما لم يغدق على أحد، قالوا: أنه أعطى مروان بن أبي حفصه ما لم يعط لشاعر غيره، لقوله:

أني يكون وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثه الأعمام
فقال مروان مفتخراً بهذا العطاء الجم:

بسبعين ألفاً راشني من جائه
وما نالها في الناس من شاعر قبلي^(٣)
ويبدو أن العلويين رضوا بسيرة المهدي معه، وبدأت تتوثق عرى الصداق بينه وبين بعض رجالاتهم، ففي أخبار الحسين بن علي (الثائر فيما بعد) وكان رجل العلويين آنذاك، أنه كان يفد على المهدي فيلقى منه التكريم والحباء^(٤) ولم يتغير موقفه من سلطان العباسيين إلا بعد ولاية موسى الهادي الذي بدأ خلافته بمطاردة

(١). تاريخ الطبري ٨ / ١٧٧.

(٢). فرق الشيعة ص ٦٩، وانظر: أخبار الدولة العباسية، مؤلف مجهول ص ١٦٥.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٨٢.

(٤). مقاتل الطالبين: ص ٤٤٠.

الطالبين والتضييق عليهم ، فبدأ مع ذلك تحرك الطالبين وشيعتهم ضد السلطة ،
كما سنرى فيما بعد؟؟ .

شخصية الحسين بن علي:

هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد
الله ، وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وكانت يقال لزينب
وزوجها علي بن الحسن : الزوج الصالح ، وكان المنصور قد قتل أباهما وأخواتها
وأمومتها ونسيبهم وزوجها ، فكانت تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها
شعرا ، حتى لحقت بالله عز وجل^(١) .

نشأ الحسين وسط عائلة كريمة ، يظلمها جلال العبادة ويشغلها طلب العلم ،
كان يقال لأبيه علي الخير ، وعلي الأغر ، وعلي العابد^(٢) ويقال له ولزوجه زينب
بنت عبد الله بن الحسن : الزوج الصالح^(٣) غير أن هذه العائلة الكريمة نكبت بما لم
ينكب بمثله أحد . فقد قتل أبوه علي ، وقتل من أعمامه عبد الله بن الحسن
وإبراهيم بن الحسن ، والحسن بن الحسن بن الحسن ، وكان متألها فاضلا ورعا ،
ومن أبناء عمومته عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وأخوه العباس ،
وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن وأخوه محمد ، وعلي بن محمد بن عبد الله بن
الحسن^(٤) إضافة إلى من قتل في الحرب التي دارت بين العلويين وجند المنصور ،
إذن فقد نشأ الحسين ابن علي في عائلة احترفت الثورة . غير أن هذه النكبات فيما
يبدو الم تطامن ، من طموح الحسين ، ولم تكسر تطلعاته إلى الهدف الذي مات
دونه أعلام بيته ، وفي أخباره انه أراد المشاركة في حرب محمد النفس الزكية بالمدينة

(١) . مقاتل الطالبين: ص ٤٣١ .

(٢) . المقاتل ص ١٩٠ .

(٣) . المقاتل ص ١٩٠ .

(٤) . انظر تراجمهم في مقاتل الطالبين: ص ١٧٨ . وما بعدها .

على صغر سنه آنذاك ، فرده محمد قائلا : يا بني ارجع لعلك تقوم بهذا الأمر من بعدي^(١) .

كان الحسين رجلا كريما شهما روى من كرمه طرائف لربما خرجت به عما ألف الناس من أخبار ألا جواد من الرجال كان يهب ما يجد بحوزته ، ولربما وهب ما يجد بحوزة غيره مما تناله يده من غير حرج . وتحدث أخباره عن علاقة حميمة مع الخليفة المهدي ، فكان يفد عليه فينال رفته ، إلا انه لا يكاد يغادر بغداد حتى يكون قد انفق ما استفاده من الخليفة على مسترفديه وأملي بره غير أن أخباره أيام المهدي لا تكاد تتجاوز طرائف كرمه ومروءته وجوده . فلم نجد خيرا عن علاقته بالزيدية ورجالها ، ولا إلى ما يشير إلى انه كان يتطلع إلى التغيير ويعمل لأجله ، غير أن موقف موسى المهادي من الطالبين .

وشيعتهم إنما أثار ما كان كامنا في نفسه ، وتشير أخباره إلى انه كان آنذاك محط أنظار الشيعة ومهوى أفئدتهم .

كان موسى المهادي الذي ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة وهو في الرابعة والعشرين من عمره قاسي القلب ، شرس الأخلاق صعب المراس^(٢) سار مع الطالبين سيرة تختلف تماما عن سيرة أبيه المهدي ، (فقد ألح على الطالبين ، وطلبهم طلبا شديدا ، وقطع ما كان المهدي يجريه عليهم من الأرزاق والأعطية ، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم)^(٣) لقد دأب رأي المؤرخون الذين سجلوا أحداث ثورة الحسين بن علي على اعتبار تعسف أمير المدينة وتجنيه بسبب تلك الثورة ، إلا أن اليعقوبي يتحدث بما هو أبعد من ذلك . على أن ما ذكره المؤرخون يشير من قريب إلى أن الحسين كان على صلة بالزيدية ، وأنهم كانوا على موعد معه في موسم الحج ليتباحثوا فيما استجد من أحداث ، وأن سيرة أمير

(١) . انظر: مقاتل الطالبين: ص ٤٣٥ وما بعدها .

(٢) . مروج الذهب ٢/ ٢٥٧ .

(٣) . فارغ اليعقوبي ١٤٨ / ٣

المدينة لم تكن إلا السبب المباشر الذي عجل بقيام الثورة التي اعد لها من قبل .
يقول ابن الطقطقي : كان الحسين بن علي من رجال بني هاشم وسادتهم
وفضلائهم وكان قد عزم على الخروج . . ثم وقع من عامل المدينة تهضم لآل
علي (عليه السلام) فثار آل أبي طالب^(١) وعلى ذلك أرى من الاومق العودة إلى
اليعقوبي الذي حاول أن يشير إلى اصل تحركات الحسين ، قال : أن موسى الهادي
ولى الغطريف بن عطاء خاله خراسان وأعمالها ، فقدم خراسان وكانت هادئة
الأمور ساكنة والملوك في الطاعة ، فظهرت منه أمور قبيحة وضعف شديد ،
فاضطربت البلاد وتحرك جماعة من الطالبين ، وصاروا إلى ملوك تلك النواحي ،
فقبلوهم ووعدوهم النصر والمعونة ، وذلك أن موسى ألح في طلب الطالبين
وأخافهم خوفا شديدا ، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية ،
وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم ، فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم
ويبحث عليهم ، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي . . وكان له مذهب
جميل وكمال مجد ، وقالوا له : أنت رجل أهل بيتك وقد ترى ما أنت وأهلك
وشيعتك فيه من الخوف والمكروه ، فقال : أني وأهل بيتي لا نجد ناصرين فنتصر ،
فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم^(٢) أن نص اليعقوبي يشير بوضوح إلى أن أنصار
الحسين والداعين إليه من أهل خراسان ، وسنرى منذ الآن أن ملوك تلك الأقاليم
أصبحوا هدفا للطالبين في تحركاتهم .

في المدينة المنورة كان الحسين بن علي من أظهر الرجال شعبية ، وهو على ما
وصف كان إماما من أئمة آل محمد^(٣) علما وفقها ومروءة مع ما كان عليه من
مذهب جميل يجتذب طوائفا شتى من الناس ، ويبدو من إجراءات أمير المدينة مع
العلويين أن السلطة كانت تشعر بتحركاته وتتوجس منها خيفة ، وربما زادت

(١). الفخزي في الأحكام السلطنة ص ١٤١ .

(٢). تاريخ اليعقوبي ١٤٨/٣ .

(٣). سر السلسلة العلوية ص ١٥ .

شكوكهم حين حل الموسم ، وبلغ أمير المؤمنين أن سبعين رجل من الحجاج الشيعة دخلوا المدينة والتقوا بالحسين وغيره من أعلام البيت العلوي^(١) .

كان أمير المدينة بالنيابة رجلا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز ابن عبد الله ، استخلفه أميرها إسحاق بن عيسى بن علي وهناك إشارة إلى أن ذلك كان في الأيام الأولى من خلافة موسى الهادي إذ ذكروا أن إسحاق استخلف العمري حين ذهب إلى بغداد وافدا على المهدي مهنتا بالخلافة ومعزيا بوفاة المهدي^(٢) فحمل هذا العمري على الطالبين وأساء إليهم ، وأفرط في التحامل عليهم ، فكان من إجراءاته أن طالبهم بالعرض كل يوم ، فكانوا يعرضون في المقصورة ، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه ، فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن ، الحسن بن محمد بن عبد الله^(٣) .

وكان أمير المدينة قد أخذ الحسن بن محمد وأبن جندب الشاعر ومولى لعمر بن الخطاب وهم مجتمعون ، فأبشاع أنه وجدهم على شراب فضرب الحسن ثمانين سوطا ، وضرب الهذلي خمسة عشر سوطا ، وضرب مولى عمر سبعة أسواط ، وأمر بأن يدار بهم في المدينة مكشفي الظهور ليفضحهم ، إلا أن ذلك أثار حفيظة إحدى الهاشميات من بني العباس ، فقالت له : لا ولاكرامة ، لا تشهر أحدا من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم ، فكف عن ذلك وخلي سييهم^(٤) .

على أن اجتماع نفر الشيعة بالمدينة أثار حفيظة الأمير العمري .

فأغلظ في أمر العرض ، وشدد عليه ، وولي أمر عرض الطالبين رجلا . وإنما

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٤٣ .

(٢) . تاريخ الطبري ١٩٢/٨ والبداية والنهاية ١٠ / ١٥٧ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٤٤٣ .

(٤) . مقاتل الطالبين: ص ٤٤٤ ، على أن الطبري الذي يبدو لي انه بدأ يتجنى على حركات العلويين منذ الآن ذكر عن أحد رواته . وهو الفضل بن إسحاق الهاشمي . أنهم كانوا فعلا على شراب ، وأنه ضربهم جميعا دون تمييز وان الحسين اعتذر لهم بان أهل العراق أجازوا ذلك ، فليس له أن يضربهم أما وقد فعل فليس له أن يطيف بهم (انظر: تارح . ٨/١٩٢) .

أراد بذلك أن يحصي عليهم تحركاتهم ، ويضعهم تحت سمعه وبصره ، فكان أن عرضهم يوم الجمعة . ولم يأذن لهم بالانصراف ، حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد ثم أذن لهم ، فكان قصاري أحدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد ، فلما وصلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد ، فلم يحضر ، فقال ليحيى والحسين بن علي : لتأنياني به أو لأجسكنما ، فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ، وحدثت مرادة بين الطرفين انتهت إلى رفع الأمر إلى العمري الذي تهددهما ووبخهما ، على أن الأمر تفاقم بين الطرفين ، بين العمري الذي اشتط في تعسفه حتى حلف على الحسين أن يجيئه بالحسن أو ليركبن إلى سوقة وهي مال للعلويين فيخربها ويحرقها ، وليضربن الحسين ألف سوط ، وحلف أن وقعت عينه على الحسن ليقتلنه من ساعته . وبين يحيى بن عبد الله - وهو أخو محمد وإبراهيم الشائرين على المنصور - الذي عزم على أمر ، وبداله أن ينفذ ما عقد عليه العزم في ليلته هذه ، فوثب مغضبا ، فقال : أنا أعطي الله عهدا ، وكل مملوك لي ^{تجزأ} حر أن ذقت الليلة نوما حتى آتيك بالحسن بن محمد أو لا أجده ، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أنني قد جئتك ، وخرجنا ، ويبدو أن فرار يحيى كان استجابة مغضب لتعسف الوالي العمري ، ولم يكن قد أعلم الحسين بن علي بما عزم عليه ، كما أن الحسين لم يفهم قصد يحيى في عزمه أتبان أمير المدينة ليلا ، فقال له : بش لعمر الله ما صنعت ، حين تحلف له لتأتين به ، وأين تجد حسنا؟ قال : لم أرد أن آتية بالحسن والله ، وإلا فأنا نفي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن علي (عليه السلام) ، بل أردت أن دخل عيني النوم حتى أضرب بابه ومعى السيف ، إن قدرك عليه قتلته .

قال الحسين ، بشما تصنع ، تكسر علينا أمرنا ، وفي ذلك ما يشير على أن الرجلين كانا قد اتفقا على أمر ، وجعلا له وقنا معلوما لم يحن بعد ، وفي رواية الطبري لهذا الحوار ما يؤكد ذلك ، على أن يحيى فيما يبدو حسب أن أعمال

الثورة ستكون بمكة ، حيث ملتقى الحاج الذين كان معهم على موعد ، ليكونوا نواة الجيش الذي سيعلم العصيان على السلطة ، وان إعلان الثورة بالمدينة قبل المسير إلى مكة سوف لن يغير من الأمر شيئاً قال يحيى : وكيف أكرس عليك أمرك وإنما بيني وبين ذلك عشرة أيام ، حتى نسير إلى مكة^(١) وفي تاريخ الطبري : وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو بمكة في الموسم^(٢) .

على أن أبا الفرج الذي نقل أخباره عن رواة كثيرين - كان الأكثر تفصيلاً لتلك الأحداث ، قال : أن الحسين وجه إلى الحسن بن محمد : قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق ، فامض حيث أحببت ، إلا أن الحسن عرض عليه أن يمضي به إلى العمري فيضع يده بيده ، بيد أن الحسين كان قد عزم على أمر ، فدعا العلويين فجاءه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن الحسين الأقطس ، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا ، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعبد الله بن جعفر أين محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ووجهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم ، فاجتمعوا ستة وعشرون رجلاً من ولد علي ، وعشرة من الحاج ، ونفر من الموالي^(٣) .

ولعل هؤلاء الحاج هم الذين عناهم الطبري بقوله : وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم - ومن كان بايع الحسين - متكمنين في دار ، فانطلقوا فعملوا في ذلك من عشيتهم ومن ليلتهم ، حتى إذا كان آخر الليل خرجوا^(٤) على أن الايذان بإعلان الثورة كان عند أذان فجر ، قالوا : لما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا أحد . أحد . وصعد عبد الله بن الحسن الأقطس المنارة التي عند رأس النبي

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٤٠ .

(٢) . تاريخ الطبري ٨ / ١٩٣ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٤٤٧ .

(٤) . تاريخ الطبري ٨ / ١٩٣ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) عند موضع الجنائز. فقال للمؤذن: أذن بحى على خير العمل، فلما رأى السيف في يده أذن بها، وسمعه العمري، فأحس بالشر ودهش، وصاح: أغلقوا البغلة الباب وأطعموني حبني ماء... فولده بالمدينة يعرفون بيني حبتي ماء^(١) وفيما رواه الطبري أن يحيى بن عبد الله بدأ أولا بالعمري، فضرب عليه باب دار مروان فلم يجده، فجاء إلى منزله في دار عبد الله عمر فلم يجده أيضا فيها^(٢) اقتحم بعض الدور ثم مضى هاربا على وجهه يسعى ويضطر حتى نجا، فصلى الحسين بالناس ودعا الشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم أن يأتي بالحسن بن محمد في البدء، ودعا بالحسن وقال للشهور هذا الحسن قد جئت به، فهاتوا العمري، وإلا والله خرجت من يميني ومما علي^(٣) وبعد فراغه خطب الناس. خطابا مؤثرا فقال:

أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله، وفي حرم رسول الله، أدعوكم إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .
أيها الناس: أتطبون آثار رسول الله في الحجر والعود وتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه^(٤) وكان الحسين قد دعا الناس إلى بيعته بقوله:

أبا يعكم على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن يعل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وعلى أن يقيموا معنا وتجاهدوا عدونا، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا. وإن نحن لمن نف لكم فلا بيعة لنا عليكم^(٥) فجعل الناس يأتونه ويبيعونه على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد^(٦).

(١). مقاتل الطالبين ص ٤٤٦.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٤٧.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٤٨.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٤٥٠.

(٦). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٤.

وبينما يرسم أبو الفرج الأصفهاني صورة مشرقة للحسين بين أهل المدينة .
ومن حضرها ، تنبىء عن تعاطف كبير معه ، يحاول الطبري فيما حدث عن رواته
أن يرسم صورة مغايرة . فقد نقل أبو الفرج عن أحد شهود الحدث قوله : قلت في
نفسي قولاً أسره : إنا لله ما صنع هذا بنفسه ، قال : وإلى جانبي عجوز مدنية ،
فقلت : اسكت ويلك ، ألا بن رسول الله تقول هذا ؟ قلت : يرحمك الله ، ما قلت
هذا إلا للإشفاق عليه^(١) .

بينما يذكر الطبري ، أن الحسين حين دخل مع أصحابه المسجد وجلس على
المنبر جعل الناس يأتون فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلون ، وأنهم لم يعودوا إلى
المسجد إلا بعد خروج الحسين وأصحابه من المدينة^(٢) .

على أن الطبري يذكر خبراً آخرًا وله دلالة كبيرة على ما ذهب إليه أبو الفرج قال :
بعد أن ذكر خطاب الحسين ودعوته الناس إلى البيعة : وكان أهل الزيارة في عامهم ذلك
كثيراً ، فكانوا قد ملثوا المسجد ، فإذا رجعوا قد نهض ، حسن الوجه ، طويل القامة عليه
رداء ممشق ، أخذ بيد ابن له شاب جميل جلد ، فتخطى رقاب الناس ، حتى انتهى إلى
المنبر ، فدنا من حسين ، وقال : يا بن رسول الله ، خرجت من بلد بعيد وابني هذا معي ،
وأنا أريد حج بيت الله وزيارة قبر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وما يخطر ببالي هذا
الأمر الذي حدث منك ، وقد سمعت ما قلت ، فعندك وفاء بما جعلت على نفسك ؟
قال : نعم ، قال : ابسط يدك فأبايعك ، قال : فبايعه .

ثم قال لابنه : ادن فبايع ، قال راوي الخبر وهو السري أبو معشر حليف بي زهرة .
فرايت والله رؤوسهما في الرؤوس بمنى ، وذلك أني حججت في ذلك العام^(٣) .
بيد أن أبا الفرج أكد أن أحداً من الطالبين لم يتخلف عن بيعة الحسين إلا
الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن ، فإنه استعفاه فلم يكرهه ، وموسى بن

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٤٨ .

(٢) . تاريخ الطبري ٨ / ١٩٤ و ١٩٥ ، والبداية والنهاية ١٠ / ١٥٧ ، وقد نقل عن الطبري .

(٣) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٠١ .

جعفر بن محمد، فقد حدث عمن رآه بعد عتمة، وقد جاء إلى الحسين، فانكب عليه شبه الركوع وقال: أحب أن تجعلني في سعة وحل عن تخلفي عنك^(١) غير أن أبا الفرج نقل عمن سمع الحسين ويحيى بن عبد الله قولهما:

(ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر، فأمرنا بالخروج)^(٢).

وفي رواية أخرى لأبي الفرج أن الحسين قال لموسى بن جعفر في الخروج فقال له: انك مقتول، فأحد الضراب، فإن القوم فساق، يظهرون إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً، فأنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله احتسبكم من عصابة^(٣) وفي ذلك ما يؤكد أن الإمام موسى الكاظم كان متعاطفاً مع الحسين بن علي، مؤيداً لمذهبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه لم ير المشاركة فيما عزم عليه، وسنرى بعد حين رأيه بالحسين حين أعلن مقتلته رضوان الله عليه على أن المدينة لم تكن تخلو من جند السلطنة، فقد كان فيها خالد البربري قائداً على مائتين من الجند مقيمين في المدينة، فأقبل مع جنده ومن انضم إليه، فافتحم الرحبة، فتلقاه يحيى بن عبد الله بالسيف فقتله، وحمل على أصحابه ففرقوا وانهمزوا^(٤) وأضاف رواية الطبري: أن جند السلطنة العباسية اجتمعوا غداة اليوم الثاني فاقتتلوا مع أصحاب الحسين إلى الظهر، ثم تفرقوا،^(٥) على أن المدد جاءهم هذه المرة من خارج المدينة، وقد اختلف رواية كل من الطبري وأبي الفرج في الأخبار عما حدث. ففي تاريخ الطبري جاء الخبر بأن مبارك التركي ينزل بئر المطلب، فنشط الناس، فخرجوا إليه فكلموه أن يجئ فجاء من الغد حتى أتى الثنية، واجتمع إليه شيعة

(١). مقاتل الطالبين ص ٤٤٧.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٥٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٤٧.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٨٨.

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٤.

بني العباس ، ومن أراد القتال فاقتلوا بالبلاط أشد قتال إلى انتصاف النهار ، ثم تفرقوا ، وجاء هؤلاء إلى المسجد ، ومضى الآخرون إلى مبارك التركي ، إلى دار عمر بن عبد العزيز بالثنية يقبل فيها ، وواعد الناس الرواح ، فلما غفلوا عنه ، جلس على رواحله فانطلق وراح الناس فلم يجدوه ، فناوشوهم شيئا من القتال إلى المغرب ، ثم تفرقوا^(١) .

إلا أن أبا الفرج ذكر : أن مباركا التركي حج في تلك السنة فبدأ بالمدينة للزيارة فبلغه خبر الحسين بن علي فبعث إليه من الليل : إني والله ما أحب أن تبتي بي ولا ابتلي بك ، فابعث الليلة نفرا من أصحابك ولو عشرة يبيتون عسكري ، حتى أنهزم وأعتل بالبيات ، ففعل ذلك الحسين ، ووجه عشرة من أصحابه فجمعوا بمبارك وصيحوا في نواحي عسكريه ، فطلب دليلا يأخذ به غير الطريق ، فوجده ، فمضى به ، حتى انتهى إلى مكة^(٢) .

غير أن الطبري عاد ثانية ، فحدث عن جماعة من أهل مكة حديثا يشبه رواية أبي الفرج ، قال : أن مباركا التركي أرسل إلى حسين بن علي : والله لئن اسقط من السماء فتخطفني الطير أو يهوى بي الريح في مكان سحيق ، أيسر علي من أن أشوكك شوكة ، أو أقطع من رأسك شعرة ، ولكن لا بد من الأعدار ، فينتني ، فإني منهزم عنك ، فأعطاه بذلك عهد الله وميثاقه ، فوجه إليه الحسين - أو خرج إليه - في نفر يسير ، فلما دنوا من عسكري صاحوا وكبروا ، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى^(٣) .

أما الهادي فقد غضب على مبارك فقبض أمواله وصيره في سياسة دوابه^(٤) وبذلك استقام أمر المدينة للحسين بن علي ، إلا أنه بدأ يتجهز ، ولم يبق بالمدينة

(١). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٥ .

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ .

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٢٠١ .

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٢٠٠ .

غير أحد عشر يوماً، ثم خرج يوم أربعة وعشرين، لست بقين من ذي القعدة. (١)
 واستخلف على المدينة دينار الخراعي (٢) وفي ذلك إشارة إلى أن المدينة بقيت في
 قبضة الحسين بعد خروجه عنها، خلافا لما جاء في الطبري، الذي ذكر، أن المؤذنين
 عادوا فأذنوا، وعاد الناس إلى المسجد فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون
 وآثارهم، فجعلوا يدعون الله عليهم، ففعل الله بهم وفعل (٣) وواضح أن ما يراد
 بروايات الطبري يخالف ما كان عليه الحسين بين الناس، وسنرى لذلك أمثلة
 كثيرة، والغريب أن خصومه كانوا يرون فيه ما يرى أنصاره ومؤيدوه.

وقعة فح ونهاية الثورة!

حين استقام أمر المدينة للحسين، تركها قاصدا مكة فيمن تبعه من أهله
 ومواليهم وهم زهاء ثلاثمائة رجل (٤) وكانوا قد تواعدوا أن يخرجوا بمنى أو بمكة
 في الموسم (٥) واختلف المؤرخون في موقف أهل المدينة من الحسين ورهطه، كما
 اختلفوا في وصف أنصار الحسين الذين كانوا قد اتخذوا المسجد مقرا لهم، قال
 الطبري: فلما خرجوا عاد المؤذنون فأذنوا، وعاد الناس إلى المسجد، فوجدوا فيه
 العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم، فجعلوا يدعون الله عليهم (٦) ثم ذكر أن حسينا
 لما انتهى إلى السوق متوجها إلى مكة التفت إلى أهل المدينة، وقال: لا خلف الله
 عليكم بخير! فقال الناس وأهل السوق: لا بل أنت لا خلف الله عليك بخير ولا
 ردك، وكان أصحابه يحدثون في المسجد فملئوه قدرا وبولا، فلما خرجوا غسل
 الناس المسجد (٧) على أن الذي اجمع عليه المؤرخون مما كان عليه الحسين من

(١). تاريخ الطبري ١٩٥/٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ١٤٩.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٥ والبداية والنهاية ١٥٧/١٠.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٤٩.

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٣.

(٦). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٥.

(٧). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٥.

(كمال مجد) وجلالة قدر وسؤدد يقف على نقيض ما ورد عن رواية الطبري .
 على أن آخرين منهم ذكروا خلاف ذلك . كما أن أبا الفرج ذكر أن الحسين حين
 ترك المدينة استخلف عليها دينار الخزاعي^(١) وهذا يعني أن المدينة بقيت تحت
 سيطرته ، فلما قربوا من مكة وصاروا بفتح وبلدح تلقتهم الجيوش ، فعرض
 العباس على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الأباء^(٢) كما وصف
 أصحاب الحسين بما لم يوصف به إلا التقاتة الورعون ، قال : أن موسى بن عيسى
 أرسل رجلا إلى عسكر الحسين ليراه ويخبره بكل ما رأى ، قال ذلك الرجل وهو
 أبو العرجا الجمال : فمضيت فدرت فما رأيت خلا ولا فلا . ولا رأيت إلا
 مصليا أو مبتهلا أو ناظرا في مصحف أو معدا للسلاح ، قال فجئته فقلت : ما أظن
 القوم إلا منصورين ، فقال : وكيف ذلك يا ابن الفاعلة ؟ فأخبرته . . .^(٣) وكان قد حج
 تلك السنة رجال من البيت العباسي ، منهم محمد سليمان بن علي والعباس بن محمد
 وموسى بن عيسى ، وكان على الموسم سليمان بن أبي جعفر فأمر الهادي حين وصلته
 أبناء خروج الحسين بتولية محمد بن سليمان على الحرب^(٤) وكان الهادي في الموصل
 آنذاك ، فلما بلغه تحرك الحسين بن علي إلى مكة عاد إلى بغداد مسرعا ، وأمر أن يتولى
 محمد بن سليمان الحرب^(٥) .

فعمل محمد على أن يلتقي بالطالبيين قبل دخولهم مكة ، فخرج منها في
 أربعة آلاف ، وكان قوام جيش العباسيين ، من الأمراء الذين قدموا على مكة
 للحج ومع كل واحد منهم حرسه ، ذلك لأن الطريق كان مخوفا معورا من
 الأعراب ، وكان معهم من القواد والموالي مبارك التركي ، والمفضل الوضيف ،
 وصاعد مولى الهادي ، ومن الوجوه يقطين ابن موسى ، وعبيد بن يقطين ، وأبو

(١) . مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ .

(٢) . مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ .

(٣) . مقاتل الطالبيين ص ٤٥٢ .

(٤) . تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩ .

(٥) . العيون والحقائق ٣ / ٣٨٤ .

الوزير عمر بن مطرف ، فاجتمعوا حين بلغهم توجه الحسين ورهطه إلى مكة ،
 وخلفوا عبيد الله بن قثم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها ،^(١) فخرجوا من مكة
 وعسكروا بذي طوى ، وانضم إليهم من وافى تلك السنة في الحج وكثروا جدا^(٢)
 فبلغ جيشهم الأربعة آلاف رجل^(٣) وقد حرص محمد بن سليمان على أن يكثر
 جنده في أعين الناس بمكة ويملاً صدورهم ، أما الحسين فلم يحتشد لهم^(٤) واكتفى
 بمن معه من أهله ومواليه وشيعته الذين وافوه بالمدينة ، ويبدو انه كان يأمل أن
 يوافيه من أهل الموسم الذين أتعدوا معه ، إلا انه أصيب بخيبة أهل حين لم يوافه
 أحد منهم ، فكان يقول متمثلاً :

من عاذ بالسيف لا قى فرصة عجباً ❖❖❖ موتا على عجل أو عاش منتصفا .

لا تقربوا السهل أن السهل يفسدكم ❖❖❖ لن تدركوا المجد حتى تضربوا عنفا^(٥) .

وعلى ذلك التقى في فح وهي على ستة أميال من مكة) جيشان غير متكافئين :

الحسين بن علي في ثلاثمائة ، والعباسيون في جيش قوامه أربعة آلاف ، إلا أن

العباسيين عرضوا على الحسين الأمان والعفو والصلوة ، فأبى ذلك أشد الأباء^(٦) .

وحاول هو أن يستميل المسودة من جند بني العباس ، فأقعد رجلا على جمل

ومعه سيف يلوح به ، والحسين يملي عليه حرفا حرفا يقول : ناد فنادى : يا معشر

الناس ، يا معشر المسودة ، هذا الحسين بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٧) وحين لم يجد

من المسودة مجيبا ، خص العراقيين بدعوته ، لعله أراد أن يستثير فيهم ولاءهم

(١). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩ .

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٦ .

(٣). دوج الذهب ٢ / ٢٥٩ .

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٦ .

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ٢٠٢ .

(٦). مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ .

(٧). مقاتل الطالبين ص ٤٤٩ .

السابق لآل علي، فكان يقول لهم:

يا أهل العراق، أن خصلتين إحداهما الجنة لشريفتان، والله لو لم يكن غيري لحاكنكم إلى الله عز وجل حتى ألحق بسلفي^(١).

ولم يكن هؤلاء في شك من صدق دعوة الحسين، ولا في نسبه، فقد حدث أبو العرجا الجمال: قال: أن موسى بن عيسى دعاه فقال: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه، وتخبرني بكل ما رأيت، قال: فمضيت، فدرت، فما رأيت خلا ولا فللا، ولا رأيت إلا مصليا أو مبتهلا، أو ناظرا في مصحف، أو معدا لل سلاح، فجثته فقلت: ما أظن القوم إلا منصورين، قال: وكيف ذلك يا بن الفاعلة؟ فأخبرته. فضرب بدا على يد، وبكى حتى ظننت انه سينصرف ثم قال: هم والله أكرم عند الله، وأحق بما في أيدينا منا. ولكن الملك عقيم^(٢).

وكان العباسيون قد انضموا جيشهم فجعلوه ميمنة وميسرة وقلب، فكان أول من بدأ الحرب موسى بن عيسى، وهو في الميسرة، فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئا حتى انحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان وكان في الميمنة من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة، حتى قتل أكثر أصحاب الحسين^(٣) ويبدو أن جند العباسيين كانوا على ثقة بصدق الحسين بن علي، فكانوا ينفسون به على الموت قالوا: فجعلت المسودة تصيح بالحسين، يا حسين، لك الأمان، فيقول: ما أريد الأمان، ويحمل عليهم حتى قتل، وقتل معه سليمان بن عبد الله بن الحسن وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن^(٤).

أما الحسن بن محمد، فقد أصيب بنشابة بعينه، فتركها، وجعل يقاتل أشد القتال، فناداه محمد بن سليمان يا بن خال اتق الله في نفسك ولك الأمان فقال:

(١). مقاتل الطالبين ص ٤٥٠.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٥٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٥١.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٥١.

والله ، مالكم أمان ، ولكنني أقبل منكم ، ثم كسر سيفاً هندية كان معه في يده ،
ودخل إليهم ، إلا أنهم قتلوه صبراً^(١) .

وهكذا قتل الحسين بن علي ولم يكن قد تجاوز الأربعين من عمره ، يوم
التروية ، وقتل أغلب أصحابه ، فقطعت رءوسهم ، فكانت مائة رأس ونيفا
وتركت أجسادهم بالعراق ، لم تدفن إلا بعد ثلاث . وهرب الباقيون ، فاختلفوا
بالحاج^(٢) ولم يقع في الأسر منهم سوى قليلين ، أرسلوا إلى المهدي ، فأمر بقتلهم
وصلبهم^(٣) .

لقد أهاج مقتل الحسين بن علي النفوس إهاجة عنيفة ، واعتبرت وقعة فسخ من
النكبات العظمى التي حلت بالبيت العلوي ، قال الإمام محمد الجواد بن علي الرضا
(عليهما السلام) : لم يكن لنا بعد الطف - يعني كربلاء - مصرع أعظم من فسخ^(٤) .

وكان لعظم أثر مقتل الحسين في النفوس ، وما استفز فيها من نوازع الثورة
والاستهانة بالخطر ، أن أمراء البيت العباسي ، لم يستطيعوا أن يردوا على أولئك
الذين ترحموا على الحسين ونوهوا بمنزلة وفداحة الخسارة به ، قالوا : جاء الجند
بالرءوس إلى موسى والعباس ، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، فلم
يتكلم أحد منهم بشيء ، إلا موسى بن جعفر ، قيل له : هذا رأس الحسين .

قال : نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، مضى والله صالحاً صواماً قواماً ، أمراً
بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله ، فلم يجيبوه بشيء^(٥) ومثل
ذلك حدث مع موسى بن عبد الله بن الحسن ، قالوا : أن موسى بن عيسى جلس
بالمدينة وأمر الناس بالوقعة على آل أبي طالب ، فجاء موسى بن عبد الله ، في هيئة

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٥١ وموج الذهب ٢ / ٢٥٩ .

(٢) . تاريخ الطبري ٨ / ١٩٣ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٤٥٣ .

(٤) . سر السلة العلوية ص ١٥ .

(٥) . مقاتل الطالبين ص ٤٥٣ .

رثة فقعده مع الناس ، فصاح به أحد أمراء البيت العباس : يا موسى .
قال : أسمعت فقل .

قال : كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونه لبني عمكم المنعمين عليكم .
فقال موسى في ذلك :

بني عمنا ردوا فضول دماءنا ينم ليلكم أولا يلمننا اللوائم
فإننا وإياكم وما كان بيننا كذي الدين يقضى دينه وهو راغم
قال : والله ما يزيدكم البغي إلا ذله ، ولو كنتم مثل بني عمكم سلمتم - يعني
موسى بن جعفر - وكنتم مثله ، فقد عرف حق بني عمه ، وفضلهم عليه ، فهولا
يطلب ما ليس له .

فقال موسى بن عبد الله :

فإن الأولى تشي عليهم تعييني أولاد بني عمي وعمهم أبي
فإنك أن تمدحهم بمدحهم تصدق وان تمدح أباك تكذب^(١)
وحتى الخليفة الهادي ، فقد تلقى نبأ استشهاد الحسين بحزن - على ما كان
عليه من شدة ونزوع إلى الإسراف ، قالوا : لما وضع رأس الحسين بين يديه قال :
كانكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ! أن أقل ما أجازيكم به أن
أحرمكم جوائزكم ، فحرمهم ولم يعطهم شيئا^(٢) .

أما أولئك الآراء الذين قادوا الجيش الذي قضى على الحسين وصحبه ، فقد ظلت
ذكراه تلاحقهم طويلا ، كانوا يرون أنهم ارتكبوا عظيما بقتله ، قالوا : أن أحد أصحاب
موسى بن عيسى دخل عليه عند منصرفه من فخر ، فوجده خائفا يلقي عذرا من قتل من
قتل^(٣) .

وان محمد بن سليمان كان إذا رأى أخاه جعفرا قال :

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٥٥ .

(٢) . تاريخ الطبري ٢٠٣/٨ ووج الذهب ٢٥٩/٢ والضخري ص ١٤١ .

(٣) . تاريخ الطبري ٢٠٢ / ٨ .

إلا ليت أمي لم تلدني ولم أشهد حسينا يوم فخ^(١)
واخبر جماعة من موالى محمد هذا، انه لما حضرته الوفاة، جعلوا يلقنونه
الشهادة، وهو يقول:

إلا ليت أمي لم تلدني ولم أكن لقيت حسينا يوم فخ ولا حسن^(٢)
ورثاء الشعراء بشعر مؤثر كثير، ولم يكتف الرواة بما تناقلوه من مرثي
الشعراء، بل تناقلوا شعرا نسبوه إلى الجن وإلى هواتف لم تعرف^(٣).
ربما فعلوا ذلك تجنبا للأذى والعقوبة وروي من أخباره ما يروى عن أمثاله
من صالحى البيت النبوي، حدث أبو الفرج عن ربيعة بنت محمد بن الحنفية عن
زيد بن علي، قال:

انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى موضع فخ فصلى بأصحابه
صلاة الجنائز ثم قال: يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم
بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم أحسادهم إلى الجنة^(٤).
ويبدو أن هذا الحديث كان متداولاً في البيت النبوي، وقد ذكر من بعض رجالاته
أنهم كانوا يتعاهدون موضع فخ بالصلاة والدعاء ويرون أن علويًا من أهل الجنة سيقتل
فيه^(٥).

العلويون بعد فخ:

كانت وقعة فخ من النكبات الكبرى التي حلت بالبيت العلوي، ولم تنته
نكبتهم بقتل الحسين بن علي وفشل ثورته، فقد تبع ذلك إجراءات شديدة بدأها
الأمير العمري بالمدينة، الذي ما أن وصلتته نتائج وقعة فخ حتى عاد أميراً على

(١). مقاتل الطالبين ص ٤٥٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٥٧.

(٣). انظر: مقاتل الطالبين ص ٤٥٨ وما بعدها.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٣٦.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٤٣٦، ٤٣٧.

المدينة متجبرا منتقما (فوثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين، فهدمها وحرق النخل، وقبض مالم يحرقه، وجعله في الصوافي المقبوضة)^(١).

وفي بغداد - وعلى عكس ما ذكر المؤرخون عن أسف موسى الهادي على قتل الحسين وحزنه عليه - فقد قتل من جلب إليه من الأسرى وأمر بصلبهم، ولم يكن فيهم من العلويين أحد، وفي مصادر الشيعة انه توعد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بالانتقام معتبرا أن ما حدث لم يكن إلا بأمره^(٢).

إلا أن الموت لم يمهل، بل كان يقول: متى توفي فاطمة أخت الحسين بن علي؟ والله لأطرحها إلى السواس، فمات قبل أن يوافق بها^(٣) وكانت مع الحسين فأخذت^(٤) على أن الهادي لم يعش بعد وقعة فح طويلا، فقد كان بين بيعته ببغداد والى أن الحسين تسعة أشهر وثمانية عشر يوما^(٥) وبذلك فإنه لم يعش بعدها سوى بضعة أشهر، حيث توفي في منتصف ربيع الأول من سنة سبعين ومائة^(٦) وخلفه أخوه هارون الرشيد، الذي كان خليطا غريبا من الخير والشر كان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم، بعد زكاته، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابقة والكسوة الباهرة^(٧) وكان إلى ذلك يسمع بالموعظة فيتأثر بها، ويحتمل جرأة الواعظين^(٨) بيد أن أخبار ترفه، وبذله الأموال الطائلة على مجالس اللهو والغناء

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٢٠٠، مقاتل الطالبين ص ٤٥٥.

(٢). عيون أخبار الرضا ٨٠ / ١ والمناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٣٠٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص: ٤٥٢.

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٧.

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٢.

(٦). تاريخ الطبري ٨ / ٢١٣.

(٧). تاريخ الطبري ٨ / ٣٤٧، تاريخ بغداد ١٤ / ٦.

(٨). انظر:.

ومداحية من الشعراء والمغنين ملأت بطون الكتب .

على انه كان إذا خاصم أحدا في شؤون السياسة ، أو نازعه أحد على شأن من شؤون سلطته ، فإن شيئا من الدين أو تقوى الله والتورع عن محارمه سوف لا يحول بينه وبين نقمته وضرب منافسيه بكل ما آتاه السلطان من عنف وقوة وكان إلى ذلك مغرى بالمسألة عن آل أبي طالب وعمن له ذكر وبناهة منهم^(١) غير أن بعض إجراءات الرشيد في أيامه الأولى جعل من المؤرخين من يرى انه (كان يريد التساهل والجنوح إلى السلم مع العلويين ، وكان هذا رأي وزيره يحيى البرمكي أيضا ، لذلك رأيناه ساعة تولى الحكم يخرج السمجونين منهم في بغداد ، فيكرمهم ويعيدهم إلى موطنهم الأول في الحجاز ، ويجرى عليهم أرزاقا وافرة)^(٢) ولعل في ذلك إشارة إلى قراراته في سنة ١٧٠ هـ وهي سنة توليه الخلافة ، إذ أمر بسهم ذوي القربي فقسم بين بني هاشم بالسوية^(٣) وأمن من كان هاربا أو مستخفيا ، فكان ممن ظهر من الطالبين طباطبا وهو إبراهيم بن إسماعيل ، وعلى بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن^(٤) وفي سنة ١٧١ هـ أمر بإخراج من كان في بغداد من الطالبين إلى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلا العباس بن الحسن بن عبد الله علي بن أبي طالب ، وكان أبوه الحسن بن عبد الله فيمن أشخاص^(٥) .

على أن أهم أعماله بشأن الطالبين ، كان عزل عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة وما كان إليه من أعمالها ، وولى مكانه إسحاق بن سليمان الهاشمي^(٦) إلا أن ذلك لم يستمر طويلا ، فقد ولى المدينة فيما بعد بكار بن عبد الله بن مصعب

(١) . مقاتل الطالبين: ص ٤٩٣ .

(٢) . الجوهرة: هارون الرسيه ١ / ١٧١ .

(٣) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٤ .

(٤) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٤ .

(٥) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٠ .

(٦) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٣ .

بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلغ هارون عنهم ويسيء بأخبارهم، وكان الرشيد إذ ولاه المدينة أمره بالتضييق عليهم^(١) وكان من شدة بكار هذا على الطالبين في المدينة (أن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ورد سوقة ليصوم شهر رمضان في منزله، فوجه إليه رسولا فأخذه ومضى به إلى الحبس، وجعل يتبعه برسول بعد رسول يأمره بالتضييق عليه، ثم أتبعه بأمره بتقييده، ثم أتبعه بأمره بإثقاله والزيادة في حديده، ولم يزل محبوسا حتى مات في السجن)^(٢).

وأخذ الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أيام ولايته على المدينة، فضربه بالسوط ضربا مبرحا، فمات من ذلك الضرب^(٣). بل ذكر الرواة أن الرشيد نفسه (كان مغرورا بالمسألة عن آل أبي طالب وعمن له ذكر ونباهة منهم، فسأل يوما الفضل بن يحيى: هل سمعت بخراسان ذكرا لأحد منهم؟

مركز توثيق كويت علوم إسلامية

قال: لا والله، ولقد جهدت فما ذكر لي أحد منهم، إلا أنني سمعت رجلا يقول، وذكر موضعا فقال: ينزل فيه عبد الله بن الحسن بن علي ولم يزد على هذا. فلم يكف الرشيد يسع هذا الرد حتى وجه إلى المدينة من يأتيه بعبد الله هذا، وكان عبد الله من أنصار الحسين بن علي، وهو ابن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان رجلا شجاعا مقداما، قالوا: ما كان بفخ أحد أشد غناء منه، إلا أنه اعتزل الناس بعدها، فكان يسعى في صحارى المدينة، يتصيد بالبواشق، على أن بعض الرواة ذكروا أن صاحب فخ أوصى إليه أن حدث به حدث، ولعل الرشيد بلغه شيء من ذلك، فإنه حين أدخل عليه، قال له: بلغني أنك تجمع الزيدية وتدعوهم إلى الخروج معك، وعبثا حاول هذا العلوي أن

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٣٤٤.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٣٩٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٩٧.

يدفع التهمة عن نفسه ، فسجنه الرشيد ، ولم يزل في سجنه حتى احتال فأوصل رقعة إلى الرشيد فيها كل كلام قبيح وشتم شنيع ، فلما قرأها طرحها قائلاً قد ضاق هذا الفتى ، فهو يتعرض للقتل ، ثم حوله إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، الذي ضرب عنقه ، وقدم رأسه هدية إلى الرشيد في يوم نيروز ، والحق أن الرشيد لم يرض بذلك ، وقيل انه حين أمر مسرورا الخادم بقتل جعفر فيما بعد ، أمره أن يقول له : هذا بعبد الله بن حسن ابن عمي الذي قتلته بغير أمري^(١) .

(مهما يكن من موقف الرشيد فان الخبر يشير إلى انه كان يتوجس خيفة من كل علوي له ذكر نباهة بين الناس ، فأراد أن يجعلهم تحت وطأته فيستقيموا لجبروته ، ويرضوا منه بالسلامة .

ومما ذكر من أحداثه مع الطالبين ، أن العباس بن محمد بن عبد الله بن علي أين الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، دخل عليه ، فكلمه كلاماً طويلاً ، فقال له هارون : يا ابن الفاعلة ، وأم العباس هذا أم سلمة بنت محمد بن علي بن الحسين ، فأجابه العباس : تلك أمك التي تواردها النحاسون .

فأمر به ، فأدني فضربه بالجرز . وهو عمود من حديد . حتى قتله^(٢) .
كما حبس إسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب فمات في حبسه^(٣) واشتد في طلب أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ، وكان أبوه عيسى قد مات متوارياً أيام المهدي ، فضم المهدي أحمد وأخاه إليه ، ثم توارى داعياً إلى نفسه ، فأعيا الرشيد أمره ، إلا انه ظفر بداعيته حاضر ، وأراده أن يدلّه على أحمد هذا ، فأبى إباء شديداً وسخر من تهديد الرشيد له بالموت فقتله^(٤) وبقي

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٩٣ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٤٩٨ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٥٠٦ .

(٤) . تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٦٦ ، وفي المقاتل إن ذلك حدث لحاضر أيام المهدي حين كان يدعو لعيسى بن زيد .

أحمد متخفيا مدة ستين سنة^(١) حتى مات أيام المتوكل أو بعيد مقتله^(٢).

على أن المؤرخين لربما بالغوا فيما ذكروا من إجراءات الرشيد، وقسوته مثلما فعلوا مع جوانب أخرى من حياته ومسيرته، قالوا: انه أرسل يوما أحد قواده فقتل ستين طالبا كانوا في سجن^(٣) وهي رواية لا شك في وضعها، إذ لم يذكر أحد ممن عنى بأنساب الطالبين وأخبارهم أحدا من هؤلاء الستين.

غير أن أسوا ما أقدم عليه الرشيد في خلافته، هو حبسه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، ذلك الإمام الذي كرس حياته لرعاية المدرسة العلمية التي أسسها أبوه الصادق (عليه السلام)، ولم يكن يرى الكفاح المسلح وسيلة لمحاربة السلطة ولكنه رسخ مفهوما للإمامة في أذهان طوائف كثيرة من الناس ينقض ما تحاول السلطة العباسية تأكيده من شرعية سلطتها، قد ذكر أن الرشيد حج مرة فمر بالمدينة لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه رجال من قريش فيهم الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فتقدم الرشيد إلى قبر النبي قائلا: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم. فتقدم الإمام الكاظم وقال: السلام عليك يا رسول الله يا أبت^(٤).

وكان الإمام الكاظم بكلمته هذه إنما نكأ قرحا في نفس الرشيد.

غير أن أهم ما خلفته حركة الحسين بن علي حرب يحيى وإدريس ابني عبد الله بن الحسين فأما يحيى فقد تواری، ثم ذهب شرقا فحل في بلاد الديلم، وأما إدريس فقد ذهب غربا حتى حل طنجة، وبالرغم من نجاحه في تأسيس دولة علوية هناك، إلا أنه لم يشكل خطرا على كيان الدولة العباسية، لأن الرشيد كان قد اعتبر شمال افريقية ولاية تتمتع بالحكم الذاتي منذ ولى أمرها إبراهيم بن الأغلب وجعل حكمها وراثيا في أسرته أما تحرك يحيى في شمال إيران فقد غم

(١). جمهرة انساب العرب: ص ٥٦.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦١٩.

..(٣)

(٤). البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

الرشيد واعتبره مصدر خط علي دولته .

حركة يحيى بن عبد الله بن الحسن:

كان يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رجلا يحمل بين جنبيه أمثل ما حمل العلويون من صبر على النكبات ، وإصراراً على الطلاب ، تلقى في حداثة سنه أفدح ما يلقاه امرؤ في أهله وذويه . فقد قتل أبوه وأعمامه وأخواه محمد وإبراهيم وأبناء عمومته أيام المنصور ، إلا أنه نشأ نشأة سالحة . إذ رياه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، فكان يحيى يسميه حبيبي ، وإذا حدث عنه قال : حدثني حبيبي جعفر بن محمد ، وحين حضرت الإمام الصادق الوفاة أوصى إليه فيمن أوصى إليهم من ذويه ، فكان بلي أمر تركاته والأصاغر من ولده^(١) .

و حين عزم الحسين بن علي على الثورة ، كان يحيى من أشد أنصاره اندفاعاً وإخلاصاً له ، وقد رأينا انه هو الذي فجر أعمال الثورة بالمدينة حين قصد أميرها بالسيف ، ثم تصديه لخالد البريري وقتله ، ثم شهد وقعة فخ واستطاع أن يفلت منها ، واستتر مدة يجول في البلدان ، ويطلب موضعاً آمناً يلجأ إليه ، وفي روايات أبي الفرج تأكيد على أن الفضل بن يحيى كان متعاطفاً معه ، وانه علم بمكانه ببعض النواحي ، فأمره بالانتقال عنها وقصد الديلم ليمتنع بها^(٢) .

وقد حدد الطبري تاريخ وصوله بلاد الديلم وتحركه بها بسنة (١٧٥ هـ)^(٣) أي انه بقي أكثر من خمس سنوات متخفياً متنقلاً بين الخواضر حتى وصلها ، وذكر انه ظهر فيها سنة ١٧٦ هـ ، فاشتدت شوكته ، وقوي أمره ، ونزع إليه الناس من

(١) . مقاتل الطالبين ص ٤٦٤ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٤٦٥ .

(٣) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٢ .

الأمصار والكور^(١) وكان يحيى على ما وصف (حسن المذهب والهدى، مقدما في أهل بيته بعيدا مما يعاب على مثله)^(٢) وكان إلى ذلك راويا للحديث، فأكثر الرواية عن جعفر بن محمد الصادق، كما روى عن أبيه وعن أخيه محمد، وعن أبان بن تغلب^(٣) وعلى ذلك فقد كان حريا بأن يتبعه الفقهاء والمحدثون، فممن تبعه وخرج معه: يحيى بن مساور^(٤).

وعلي بن هشام بن البريد العائذي، أبو الحسن الكوفي الخزاز روى الحديث عن جماعة وسجنه الرشيد بعد استسلام يحيى بضعة عشر سنة^(٥).

وعامر بن كثير السراج، كان راويا للحديث ثقة^(٦) وسهل بن عامر البجلي وعبد ربه بن علقمة ومخول بن إبراهيم النهدي، وهما ممن سجن بعد استسلام يحيى في المطبق^(٧) وفي أخبار بعض هؤلاء أنهم أخلصوا له حتى النهاية. ويؤكد المؤرخون أن أمر يحيى غم الرشيد وأهمه^(٨) فندب إليه الفضل بن يحيى، في خمسين ألف رجل، وأوعب معه صناديد القواد، وولاه كور الجبال والري وجرحان وطبرستان وقومس ودنباوند والراويان، وحملت معه الأموال، ففرق الكور على فواده^(٩) وبذلك فقد تولى الفضل جميع كور المشرق وخراسان، فنزل بطالقان الري ودستبى بموضع يقال له أشب، ومنها بدأ يكاتب يحيى بن عبد الله. كما كاتب صاحب الديلم. كاتب يحيى ورفق به واستماله، وناشده وحذره، وأشار عليه، ويسط أمله^(١٠) وكاتب صاحب الديلم وبذل له أموالا طائلة على أن يسهل خروج يحيى بن عبد

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٢.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٤٦٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٦٣.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٨٤.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٤٨٥.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٤٨٥ وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٩٣.

(٧). مقاتل الطالبين ص ٤٨٥.

(٨). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٢ والفخري ص ١٤٤ وعمدة الطالب ص ١٥١.

(٩). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٢.

(١٠). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٢ والبداية والنهاية ١٠ / ١٦٥.

الله إلى ما قبله^(١) فأجب يحيى إلى الصلح والخروج على يديه على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه ، فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد ، فسدة وعظم موقعه عنده وكتب أماناً ليحيى ، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجملة بني هاشم ومشايخهم^(٢) وقد اختلف المؤرخون في سبب استلام يحيى للفضل ، فذكر أبو الفرج أن ذلك حدث (لما رأى من تفرق أصحابه ، وسوء رأيهم فيه ، وكثرة خلافهم عليه)^(٣) .

في حين يرى غيره أن الفضل ابتاع يحيى من صاحب الديلم بأموال طائلة ، مما اضطر يحيى إلى الصلح^(٤) على أن المحلي يرى أن سبب استلام يحيى هو خديعة أبي البختري وهب بن وهب ، وهو أحد قضاة الرشيد^(٥) .

أما يحيى نفسه فقد أخبر عما حدث متمثلاً بيتين لشاعر جاهلي ، في خبر رواه الطبري عن عبد الله بن موسى العلوي وهو ابن أخي يحيى ، قال : لما قدم يحيى ابن عبد الله من الديلم أتته ، وهو في دار علي بن أبي طالب ، فقلت : يا عم ، ما بعدك مخبر ولا بعدي مخبر ، فأخبرني خبرك ، فقال : يا ابن أخي ، والله إن كنت إلا كما قال حيي بن أخطب :

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس جهدها وقلقل يبغي العز كل مقلقل^(٦)

ومهما يكن فقد سر الرشيد بهذه النتائج ، وتلقى الفضل بترحاب كبير وهدايا

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٣ .

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٣ .

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٦٩ .

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٧ ومروج الذهب ٢ / ٢٧١ وعمدة الطالب ص ١٥١ وأنساب الأشراف ٣ / ١٣٦ .

(٥). الحدائق الوردية ١ / ١٩١ .

(٦). تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٤ .

وصلات ، وبلغ الغاية في إكرامه^(١) وكذلك فعل مع يحيى بن عبد الله فقد رحب به وأدناه ، ووصله ، وسمح له بالعودة إلى موطنه بالحجاز ، ليرعى أيتام الطالبيين ، الذين ذهب أبائهم ضحايا حروبهم مع السلطة العباسية ، وقد عبر شعراء البلاط العباسي عن مشاعر السلطة بهذا الإنجاز ، فقال مروان بن أبي حفصة :

ظفرت فلا شلت يد برمكية رقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين أعياء الراتقين التيامه فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فأصبحت قد فازت يدك بخطه من المجد باق ذكرها في المواسم
وما زال مدح المجد يخرج فائزا لكم كلما ضمت قداح المساهم
وقال أبو ثمامة الخطيب :

للفضل يوم الطالقان وقبله يوم أناخ به على خاقان
ما مثل بوقبه اللذين تواليا في غزوتين توالتا يومان
سد الثغور ورد ألفة هاشم بعد الشتات ، فشعبها متدان
عصمت حكومته جماعة هاشم من أن يجرد بينها سيفان
تلك الحكومة لا التي عن كبها عظم النبا وتفرق الحكمان^(٢)

على أن وشايات خصوم العلويين في الحجاز لم تدع يحيى ينعم بما آل إليه أمره ، فحمله الرشيد إلى بغداد ووضع في السجن ، ولكننا نستطيع أن نتلمس أسبابا أخرى غير وشايات الحجازيين ، وهي أن الرشيد ، لم يستطع أن يعرف من يحيى بن عبد الله أسماء أنصاره الذين بايعوه وخرجوا معه ، فكان يرى في بقائهم مطلقين خطرا على دولته ، وتشير بعض الروايات انه حاول جاهدا أن يعرف من يحيى أسمائهم ، إلا انه أبى خشية أن تنالهم نقمته ، فلما بئس منه اغتاله بالسم أو بطريقة أخرى ، على أن المؤرخين اجمعوا على أن الرشيد كان يستدعي يحيى من

(١). تاريخ الطبري ٢٤٣/٨ .

(٢). تاريخ الطبري ٢٤٣/٨ .

سجنه فيناظره . ثم يعيده إلى السجن ، وانه دعا به يوما وجمعه مع عبد الله بن مصعب الزبيري ، ليناظره فيما افتراه الزبيري على يحيى ، إذ ادعى انه أي يحيى دعاه إلى الخروج معه على الرشيد ، فباهله يحيى بحضرة الرشيد ، وشبك يده في يده ، وقال له : قل اللهم أن كنت تعلم أن يحيى لم يدعني إلى الخلاف والخروج على أمير المؤمنين هذا ، فكلني إلى حولي وقوتي واسحطني بعذاب من عندك ، فتدلجج الزبيري وقالها ، ثم قال يحيى مثل ذلك ، فما قاما حتى مات الزبيري ليومه^(١) .

وقد رويت تفاصيل الحوار بصيغ مختلفة ، ولكنها لم تخرج عن فحوى ما ذكر آنفا^(٢) وقد اشتهرت هذه المباهلة حتى قال فيها أحد الشعراء :

تدعى حوارى الرسول تكذبا وأنت لسوردان الحمير سليل
ولولا سعايات بآل محمد لألقى أبوك العبد وهو ذليل
ولكنه باع القليل بدينه فطال له وسط الجحيم عويل
فقال بها مالا وجاها ومنكحا وذلك خزي في المعاد طويل^(٣)

على أن هذه الآية التي سرعان ما أدبل بها ليحيى من خصمه الزبيري ، لم تنفع يحيى لدى الرشيد رغم قوة حجته وبلاغة تخلصه مما أثير حوله وحول الطالبين في نزاعهم مع بني عمومتهم العباسيين ، إذ رده الرشيد إلى السجن ، وربما استدعاه في الحين والآخر ليناظره فيما هما عليه ، على أننا من خلال بعض النصوص نستطيع أن نقرر أن الرشيد كان يتغني من ذلك معرفة أنصار يحيى والداعين إليه ، وفي (تاريخ بغداد) نص صريح بذلك ، فقد نقل الخطيب عن عبد

(١) . تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٤ ، تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

(٢) . انظر: تاريخ الطبري ٨ / ٢٤٤ ومروج الذهب ٢ / ٢٤٤ ومقاتل الطالبين ص ٤٧ . وشرح نهج البلاغة ١٩ / ٩٤ . ٩١ / ٩٤ وتاريخ بغداد ١٤ / ١١١ والفخري ص ١٤٤ وعمدة الطالب ١٥٢ والبداية والنهاية ١٠ / ١٦٧ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٤٧٩ .

الرحمن بن عبد الله العمري - وهو أحد الفقهاء الذين أرادهم الرشيد على نقض الأمان - قوله : أن الرشيد قال لهم ، يا هؤلاء أني أمنت هذا الرجل وسبعين رجلا معه ، فكلما أخذت رجلا قال : هذا منهم ، فقلت له : اسمهم لي . فقال يحيى : أنا رجل من السبعين ، معروف بنسبي وعيني ، فهل ينفعني ذلك ، والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتهما عنهم^(١) ومن المؤكد أن الخليفة أراد بمعرفتهم أن يقضي أو يحد على أقل تقدير من نشاط الزيدية . على انه استطاع أن يقبض على نفر من أصحاب يحيى ، وهم علي بن هاشم بن البريد ، وعبد ربه بن علقمة ، ومخول ابن إبراهيم النهدي ، فحبسهم جميعا في المطبق ، فمكثوا فيه اثنتي عشرة سنة ، ولكنه عبثا حاول أن يحصل على شيء يدهه على أصحاب يحيى ، وقد حدث أبو الفرج عن أحدهم وهو مخول فقال :

دعاني هارون الرشيد ، فمروا بي على عبد ربه بن علقمة ، فصاح بي : يا مخول : أخطر أن تلقى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قد شركت في دم ولده ، أو دلتهم على أثر يتعلقون به عليه ، وإذا مر بك هول من عقوباتهم فاذكر عذاب الله وعقابه يوم القيامة والموت ، فإنه يسهل عليك فوالله لقد صير قلبي مثل زبرة الحديد . وأدخلت على هارون فدعا بالسيف والنطع ، فقال والله لتدليني على أصحاب يحيى أو لا قطعنك قطعاً .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل سوقة ضعيف ، محبوس منذ أربع سنين من أين أعرف مواضع أصحاب يحيى ، وقد تفرقوا في البلاد ، خوفاً منك ؟ .
فأراد قتلي ، فقالوا له : قد صدق فيما ذكر ، من أين يعرف مواقع قوم هراب ؟ فردني إلى محبسي فمكثت فيه بضعة عشرة سنة^(٢) .
على أن الرشيد حين يأس من الحصول على شيء من يحيى ، عرض الأمان

(١) . تاريخ بغداد ١٤ / ١١٠ ، ومثله في مقاتل الطالبين ص ٤٨٢ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٤٨٥ .

على الفقهاء والقضاة، عله يجد منفذا ينقض من خلاله، منهم: محمد بن الحسن الشيباني وابن الدر اوردي، والحسن ابن زياد اللؤلؤي، وأبو البخترى وهب بن وهب وغيرهم فأجمعوا على أنه أمان مؤكد لا حيلة فيه، إلا أبو البخترى وهب بن وهب، قال: هذا باطل منتقض، قد شق عصا الطاعة، وسفك الدم الحرام، فاقتله ودمه في عنقي، فسر الرشيد بذلك وأمره أن يقطعه بيده ففعل، قالوا: أن الرشيد وهب لأبي البخترى هذا ألف ألف وستمئة ألف، وولاه القضاء وصرف محمد بن الحسن عن الفتيا مدة طويلة، ولم يمض على ذلك إلا يسيراً حتى اغتيل يحيى في سجنه بطريقة اختلف في كيفتها المؤرخون^(١) على أن الرشيد كتب بذلك على نفسه غدره لم تلبث أن انتقلت من كتب التاريخ إلى قصائد الشعراء فقال أبو فراس الحمداني بعد سنين طويلة:

يا جاهدا في مساويهم يكتمها غدر الرشيد يحيى كيف ينكتم^(٢)
على أن يحيى رغم فشل حركته، فإنه استطاع أن يغرس في بلاد الديلم غرساً لم يلبث أن نما وازدهر، فكانت تلك البلاد ملجأً للعلويين المطاردين من قبل السلطة، حيث الأنصار والمؤيدون الذين استطاعوا أن يؤسسوا فيما بعد دولة للعلويين استمرت ردهاً من الزمن.

إدريس بن عبد الله بن الحسن:

أما إدريس بن عبد الله - أخو يحيى - فقد نجا من وقعة فخ، ومعه مولى له شجاع أريب يقال له راشد، فخرج به في جملة حاج مصر وأفريقيا^(٣) فوقع إلى مصر، وعلى بريدها واضح - وهو مولى لصالح بن أبي جعفر المنصور - ويبدو أن واضحاً كان يميل إلى الطالبين^(٤) فحملة على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة، بمدينة يقال

(١). انظر: مقاتل الطالبين ص ٤٨٠.

(٢). ديوان ط صادر ص ٢٥٨.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٤٨٨.

(٤). مما جعل الطبري يقول فيه: (وكان رافضياً خبيثاً) وكأنه أسف لنجاة إدريس من القتل، فشتم واضحاً ووصفه بخبيث المذهب، وقلت سلفاً أن الطبري بدأ منذ تسجيله أحداث ثورة

لها وليلة، فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر^(١) فاستطاع إدريس أن يؤسس في المغرب دولة العلويين، وكانت المغرب وأفريقيا فيما يبدو مهياة لاستقبال أي دعوة، لضعف السلطة بها، واضطراب شؤونها على الولاة والقواد. ولما كانت إفريقيا حتى ذلك الحين تشكل عبئا على الخزينة، إذ كان يرسل إليها في كل عام مائة ألف دينار من واردات مصر لسد نفقات الحكومة، فقد عين هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب حاكما على افريقية وجعل حكمها وراثيا في أسرته، ومنذ ذلك الحين أصبحت إفريقيا أمانة تتمتع بالحكم الذاتي^(٢) إلا أن نجاح إدريس في تأسيس دولة علوية هناك غم الرشيد وأهمه وعمل على التخلص منه، فدس إليه رجلا استطاع أن يتقرب إليه، وينال ثقته، حتى إذا سنحت له الفرصة، اغتاله بالسم وهرب^(٣) فقال شاعر من شيعة بني العباس:

أتظن يا إدريس إنك مفلت كيد الخليفة أويقيك فرار
فليدر كنعك أولا تحل ببلدة لا يتهدى فيها إليك نهار
أن السيوف إذا انتضاها سخطه طالت ونقصر دونها الأعمار
ملك كان الموت يتبع أمرة حتى يقال تطيعه الأقدار^(٤)

وكانت وفاة إدريس سنة ٧٥ هـ^(٥) إلا أن دولة العلويين استمرت بعده، فقد كان له حمل، فقام له راشد بأمر المرأة حتى ولدت فسماه باسم أبيه إدريس، وقام بأمر البربر حتى كبر ونشأ، فولي أمرهم أحسن ولاية^(٦).

صاحب فخ متجنيا على العلويين وانصارهم، وسنرى فيما يأتي أمثله أخرى، على ان واضحا اعدم فيما بعد وصلب من قبل الرشيد (الطبري ٨ / ١٠٨).

(١). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٨.

(٢). مختصر تاريخ العرب ص ٢٢٢.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩ مقاتل الطالبين ص ٤٨٩.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٤٩٠، تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩، انساب الأشراف ٣ / ١٣٥.

(٥). تاريخ ابن خلدون ١٣ / ٤.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٤٩١ وانظر أيضا: الدر النفيس في مناقب إدريس، وجذوة الاقتياس ص ٧ والاستقصاء ١ / ٦٧ وسر السلسلة العلوية ص ١٣، وفيه أن الإمام علي بن موسى الرضا قال فيه: رحم الله إدريس بن إدريس بن عبد الله، فإنه كان نجيب أهل البيت وشجاعهم، والله ما



مركز بحوث الحاسوب والعلوم
السورية

الفصل الحادي عشر

حركة أبي السرايا في العراق (١٩٩٠هـ)



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی

حين مات هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ كان قد خلف دولة متماسكة الأطراف، وقد وضع نظاماً إدارياً محكماً. إلا أنه وضع حين قسم الدولة العباسية بين أولاده بوادر الخلاف والمنافسة بينهم. فقد كان لكل واحد منهم وزراؤه ومستشاروه الذين لا ينظرون إلا إلى أنفسهم، ولا يعملون إلا لمستقبل أيامهم. كان الرشيد قد بايع لابنه الأمين بولاية العهد في سنة خمس وسبعين وله يومئذ خمس سنين، ثم بايع لابنه عبد الله المأمون بعد الأمين في سنة اثنتين وثمانين، وولاه مما لك خراسان بأسرها، ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين في سنة ست وثمانين، ولقبه بالمؤمن، وولاه الجزيرة والثغور وهي صبي^(١) ولما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة قال بعض العقلاء: لقد ألقى بأسهم بينهم، وغائلة ذلك تضر بالرعية^(٢).

وكان بداية الخلاف حين عزل الأمين أخاه القاسم عما كان الرشيد ولاءه، ثم تعيين ابنه ولياً للعهد^(٣) ولم يلبث المأمون حتى قطع علاقته ببغداد واستقل بولايته. وحين أعلن الأمين عزله عن ولاية العهد وألغى الكتاب الذي جعله الرشيد بالكعبة، تسمى المأمون بأمير المؤمنين وبذلك خلع أخاه. إلا أن الخلاف لم يلبث أن اخذ طابعاً آخرأ وسيلته الجيوش والسلاح حين عين الأمين علي بن عيسى بن ماهان أميراً على البلاد التي في قبضة المأمون فخرج ابن ماهان بجيش ضخم، إلا أن هذا الجيش لم يلبث أن هزم أمام ضربات جيش صغير يقوده طاهر بن الحسين وقتل علي بن عيسى^(٤) على أن طاهر بن الحسين لم يعد إلى مقره في خراسان بل استمر بالتقدم إلى العراق حتى بلغ حلوان، وفيها لحقه هرثمة بن أعين وهو من أقدر القواد العباسيين، وأكثرهم حنكة، وأشدهم إخلاصاً للبيت

(١). تاريخ الخلفاء ص ٢٩٠.

(٢). تاريخ الخلفاء ص ٢٩٠.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٣٧٥.

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٣٩٠.

العباسي، ومعه كتاب المأمون والفضل بن سهل وزير المأمون يأمران طاهر بن الحسين بتسليم ما حوى من المدن إلى هرثمة والتوجه إلى الأهواز، ولم يزل هرثمة يهزم الجيش تلو الآخر ويتقدم غرباً حتى شارف بغداد، وكذلك فعل طاهر الذي بدأ يزحف من الأهواز إلى بغداد، ولم تحمل سنة ١٩٨ هـ حتى احتل بغداد، وقتل الأمين، واستوسق أمر الناس للمأمون^(١).

غير أن بقاء المأمون في مرو وجعلها عاصمة دولته بتأثير وزيره الفضل بن سهل الذي أراد أن يبقى المأمون تحت سيطرته ن مكن للقوى الأخرى في العراق والشام والجزيرة من الظهور وإعلان العصيان^(٢) على أن أخطر تلك الحركات كانت حركة نصر بن شيبث العقيلي الذي خرج بقبيله بالجزيرة، فكان أصعب القوم شوكة وأشدهم امتناعاً^(٣).

على أن إجراءات المأمون أحدثت اضطراباً بين صفوف قواته وأنصاره كان أشد خطراً من تلك التي حدثت في أطراف الدولة العباسية، فقد ترك المأمون مقاليد الأمور بين يدي وزيره الفضل بن سهل، يصرفها كيف يشاء، وانصرف هو إلى مناظرة الفلاسفة والعلماء الذين كانت تتألف منهم بطانته^(٤) فولي الفضل هذا أخاه الحسن كل ما كان بيد طاهر ابن الحسين من المدن التي احتلها، وأمر طاهراً أن يتوجه إلى الجزيرة لحرب نصر بن شيبث وقد غلظ ذلك على طاهر، إلا أنه ذهب إلى الجزيرة على مضض^(٥) كما استدى هرثمة بن أعين إلى خراسان ويبدو أن إشاعة سرت بين الناس مفادها أن الفضل غلب على المأمون وحجبه عن الناس، وأنه يبرم الأمور على هواه ويستبد بالرأي دونه فغضب لذلك بالعراق من كان بها

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٤٧٨ وما بعدها.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٨٦.

(٣). تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٨٦.

(٤). مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٩.

(٥). تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٨٧.

من بني هاشم ووجوه الناس ، وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون ، واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتنة في الأمصار^(١) .

أما العلويون بالحجاز ، فبيدوا أنهم كانوا يراقبون الأحداث عن كثب . ولا بد أن يتردد صدى العلويين في جوانب تلك النواحي التي اضطربت بالناقمين والمتوثبين على السلطة لهذا السبب أو ذاك ، إذ أن أي حركة تريد لنفسها الانتشار ، وتبغي لتوجهاتها الشرعية ، لا بد أن تضع علماء يضوي الناس إليه ، ويستظلون به . وعلى ذلك فقد خرج أواخر سنة ١٩٨ هـ حسن الهرش داعياً للرضا من آل محمد ، ولم يكن أحد من آل محمد معني بدعوة الهرش ، الذي لم يلبث أن قتل في محرم سنة ١٩٩ هـ^(٢) وجاء إلى الحجاز حاجاً نصر بن شيبث الذي تمتع بالجزيرة بقبيلته . قال أبو الفرج : كان متشيعاً حسن المذهب (ولم ينسبه إلى التشيع أحد غير أبي الفرج) فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ، ومن له ذكر منهم ، فذكر له : علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن . فأما علي بن عبيد الله ، فإنه كان مشغولاً بالعبادة ، لا يصل إليه أحد ولا يأذن له . وأما عبد الله بن موسى ، كان مطلوباً خائفاً لا يلقاه أحد . وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن ، فأتاه نصر ، فدخل إليه وذاكره مقتل أهل بيته وغضب الناس إياهم حقوقهم ، وقال : حتى متى توطنون بالخسف وتهتضم شيعتكم وينزى على حقكم ؟ وأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم ، وواعده لقاءه بالجزيرة . ثم فلا بنصر بعض بني عمه وأهله فقال له :

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٨ .

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٧ و ٥٢٨ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٤٤ .

ماذا صنعت بنفسك وأهلك؟ افتراك إذا فعلت هذا الأمر وتأبدت السلطان يدعك وما تريد؟ لا والله بل يصرف همه إليك وكيده، فإن ظفرك فلا بقاء بعدها، وإن ظفرك صاحبك وكان عدلاً كنت عنده بمنزلة رجل من إفناء أصحابه، وإن كان غير ذلك فما حاجتك إلى تعريض نفسك وأهلك وأهل بيتك لما لا قوام لهم به؟ وأخرى أن جميع هذا البلد أعداء لآل أبي طالب، فإن أجابوك الآن طائعين، فروا عنك غداً منهزمين إذا احتجت إلى نصرهم، على أنك إلى خلافهم أقرب منك إلى أجابتهم. . . فثنا نصراً عن رأيه، وفتريته فصار إلى محمد بن إبراهيم معترداً إليه بما كان من خلاف الناس عليه، ورغبتهم عن أهل البيت، وأنه لو ظن ذلك بهم لم يعده نصرهم، وأوماً إلى أن يحمل إليه مالاً ويقويه بخمسة آلاف دينار، فانصرف محمد عنه مغضباً، وأنشأ يقول والشعر له:

سنغني بحمد الله عنك بعصبة يهشون للداعي إلى واضح الحق
طلبت لك الحسنى فقصرت دونها فأصحت مذموماً وزلت عن الصدق
جروا فلهم سبق وصررت مقصراً ذمياً بما قصرت عن غاية السبق
وما كل شيء سابق أو مقصر يؤول به التقصير إلا إلى العرق

ثم مضى محمد بن إبراهيم راجعاً إلى الحجاز، فلقى في طريقه أبا السرايا السري بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيان^(١).

لقد انفرد أبو الفرج برواية موقف نصر من العلويين، ويبدو أن التقاء نصر بالعلويين بالحجاز كان قبل سنة ١٩٩ هـ، وهي السنة التي التقى فيها محمد بن إبراهيم بأبي السرايا ثم ظهرا بالكوفة، إذ أن نصر كان قد أعلن العصيان في هذه السنة.

اللقاء بين ابن طباطبا وأبي السرايا:

كان محمد بن إبراهيم (الملقب بأبن طباطبا) من شخصيات البيت العلوي التي عرفت بطموحها إلى التغيير وسعيها إلى قيادة الزيدية إلى هذا الهدف، على

(١). انظر مقاتل الطالبين ص ٥١٩. ٥٢١.

أن المصادر لم تذكر من أخباره التي تفصح عن شخصيته وتحدد اتجاهاته إلا النزر اليسير، ولكننا نستطيع من خلال هذا النزر اليسير أن نؤكد أن محمد بن إبراهيم كان معروفاً بمنهجه الزيدي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك المنهج الذي يعتمد السيف وسيلة لذلك، وقد ذكرت أن أبا الفرج حين ذكر بحث نصر بن شبيب عمن له ذكر ونباهة من العلويين بالحجاز، قال: أن محمد بن إبراهيم كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن. كما أورد نصاً آخرأ مهماً لمعرفة توجهات محمد هذا، وشعوره الأكيد بمسئوليته إزاء ما يلقي الناس من ظلم العباسيين، وإهمالهم حقوق رعاياهم في العيش الكريم قال: فينا هو في بعض الأيام يمشي في بعض طريق الكوفة، إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب، فلتقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء رث فسألها عما تصنع بذلك، فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي، ولي بنات لا يعدن علي أنفسهن بشيء، فأنا أتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي، فبكى بكاء شديداً، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي، ونفذت بصيرته في الخروج^(١).

أن هذا النص يعطي معنى يؤكد أن تحرك محمد بن إبراهيم العلوي لم يكن لا سترداد حق عائلته المغتصب، كما توحي بذلك نقاط الحجاج بين طرفي النزاع من علويين وعباسيين، وإنما كان يستهدف مفاهيم الدين وتعاليمه في تطبيق رؤية العلويين للعدل الاجتماعي.

ومن شعره في هذا المعنى:

وكنت على جد من أمري فزادني
أذهب مال الله في غير حقه
لعمرك ما أبصرتها فسألتها
كفى عبرة والله يقضي قضاءه
إلى الجد جداً ما رأيت من الظلم
وينزل أهل الحق في جابر الحكم
وجاوزتها إلا لأمضي في عزم
بها عظة من ربنا لذوي الحكم^(٢)

(١). مقاتل الطالبين: ص ٥٢١.

(٢). الصفدي: الواجع بالوفيات ١/ ٣٣٩.

ولئن كان ابن طباطبا (يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن) فإن الفرصة الآن تبدو سانحة ومواتية . بعد اضطراب العراق وأطرافه اثر توليه الحسن ابن سهل ، وأبعاد قواد العباسيين عن ساحته مثل طاهرين الحسين وهرثمة بن أعين وأشباههما . على أن المصادر لم تسعفنا كما قلت باكثر ذكرت عن شخصية ابن طباطبا ومؤهلاته ، سوى طلبه هذا الأمر وتقدمه في الطالبين ، فلم تتحدث عن مركزه العلمي الذي كان مهماً جداً في اجتذاب الفقهاء والمحدثين وذوي الورع ، وهم على مر العصور زعماء المجتمع ووجهه في الحواضر الإسلامية ، غير أن المصادر حين تحدثت عن اضطراب أطراف العراق ، وتمنع زعماء القبائل وتوجههم عن سيطرة أهل خراسان متمثلين بالحسن بن سهل بالعراق والفضل أخوه بمرو التي أصبحت مقراً للخلافة الآن ، فإنها وضعت العلويين في واجهة الصدام مع ممثلي السلطة ، وقد اعتدنا أن نرى أن تحركات زعماء القبائل التي تحاول أن تجد لها سبباً للشورة غير النزوع إلى الاستقلال والطموح إلى ما هو ابعد من حدود القبيلة ، فإنها نجد غابتها دائماً في العلويين الذين أصبحوا رمزاً للطلاب المرير في سبيل تحقيق مفاهيم الدين الحنيف في العدل ورفع الحيف عن طوائف المظلومين . . على أن ابن طباطبا الذي أصيب بخيبة أمل مرة جراء تخلي نصر عما عزم عليه ، وجد ضالته أثناء عودته من الجزيرة إلى الحجاز في عسكري محترف ، هو أبو السرايا ، السري بن منصور ، أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان أبو السرايا ، الذي أطلق اسمه على حركة العلويين) من قواد هرثمة بن أعين الذي ساهم مساهمة فعالة في احتلال العراق ومحاصرة بغداد والقضاء على مقاومة جند الأمين ، ثم ابعد الآن عن العراق ، إلا أن أبا السرايا فارق هرثمة ن ونابد السلطة ، وأخذ يعيث في نواحي السواد واختلف المؤرخون في سبب خروجه ، فقالوا : انه كان أحد الذين أنفوا من غلبة الفضل ابن سهل على المأمون ، حين اشبع أن الفضل انزل المأمون قصرأ فحبسه فيه وبدأ يبرم الأمور على هواه ، ويستبد بالرأي

دونه . . . وقد اشيع ذلك حين صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي فتحها، وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس . . . واجترأوا على الحسن بن سهل . . . وهاجت الفتن في الأمصار^(١) .

وقيل: أن أبا السرايا كان من رجال هرثمة فمطلة بأرزاقه وأخره بها، فغضب أبو السرايا من ذلك ومضى إلى الكوفة . . .^(٢)

على أن في بعض المحدثين من يرى (أن سبب خروجه يعود إلى اتخاذ المأمون سياسة عنصرية حيث اعتمد على الفرس وانتقل إلى مرو، وقد اتخذ منهم الوزراء، فاستولي الفضل بن سهل على الوزارة، وسمي (ذو الرياستين)^(٣) .

يبد أن أبا الفرج يرى أن أبا السرايا كان علوي الرأي، ذا مذهب في التشيع، وأنه حين عاث بالسواد، وصار إلى بعض نواحيه خائفاً على نفسه وجد في دعوة محمد ابن إبراهيم متنفساً يرضى طموحه الذي فارق عليه السلطة، كما يرضى هواه العلوي، ومذهبه في التشيع للعلويين وبذلك فقد اتفق محمد بن إبراهيم وأبو السرايا على أن يتوجه محمد إلى الكوفة فيدعو الناس إليه، ثم يعسكر بهم في ظاهر المدينة إلى أن يأتيه أبو السرايا في موعد اتفقا عليه، وحين قدم محمد على الكوفة، جعل ينحس أمر الناس ويدعو من يثق به إلى ما يريد، فاجتمع له خلق كثير. حتى إذا وافي اليوم الذي أتعد مع أبي السرايا أن يلاقيه منه، خرج إلى ظاهر الكوفة مع أنصاره، وهم كثيرون ولكنهم بغير نظام يجمعهم كانوا منبئين كالجراد، على أنهم على غير نظام وغير قوة، ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر فهم في حاجة إلى قائد محترف يوفر لهم ما يجب أن يتوفر من أسباب الكفاح المنظم، على أن أبا السرايا الذي تأخر عن مواعده فظنت بعد الظنون، كان

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٨ .

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٨ .

(٣). فضيلة عبد الأمير الشامي: تاريخ الفرقة الزيدية ص ١٨٩ .

قد توجه إلى الكوفة عن طريق البر، حتى ورد عين التمر، في فوارس معه جريدة لا راجل فيهم، وأخذ على النهرين حتى ورد إلى نينوى، فجاء إلى قبر الحسين^(١) كان قبر الحسين ولم يزل المدد القوي لكل من استهدف الثورة واختار طريقها للذب عن دينه.

وقد روى أبو الفرج عمن شهد إقبال هؤلاء الفرسان على قبر الحسين ليلاً: أنهم ترحلوا ودخلوا إلى القبر فسلموا، وأطال رجل منهم الزيارة، ثم جعل يتمثل أبيات منصور بن الزبرقان النمري:

نفسي فداء الحسين يوم عدا إلى النمري عدو لا قافل
ذاك يوم أنحمسى بشفرته على سنام إلا سلام والكاهل
كأنما أنت تعجبين إلا ينزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما ربك عما ترين بالفافل
مظلومة والنبي والدهيا يدير أرجاء مقلنة حافل
ألا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الحافل

قال: ثم وثب، فقال: من كان هاهنا من الزيدية فيقم إلي، فوثبت إليه جماعات من الناس، فدنوا منه فخطبهم خطبة طويلة، ذكر فيها أهل البيت وفضلهم، وما خصوا به، وذكر فعل الأمة بهم وظلمهم لهم، وذكر الحسين ابن علي فقال:

أيها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتصروه، فما يقعدكم عمن أدركوه وألحقتموه؟ وهو غدا خارج طالب بثاره وحقه، وتراث آبائه، وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته! إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه، والنصر لأهل بيته فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي، ثم مضى من فوره عائداً إلى الكوفة ومعه أصحابه^(٢) كان لقاء أبي السرايا بالثائر

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٢١.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٢٢.

العلوي على مشارف الكوفة بداية اعلان الثورة، فدخل محمد الكوفة في العاشر من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ^(١) فخطب الناس ودعاهم إلى الرضا من آل محمد، والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب، فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه، وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين^(٢) وكان عامل الكوفة حين دخلها ابن طباطبا سليمان بن أبي جعفر المنصور من قبل الحسن بن سهل وكان خليفة سليمان بها خالد بن حجل الضبي، ويبدو أن سليمان هذا لم يخبر الحسن ابن سهل بما حدث. إلا أن آخراً من العباسيين كان بالكوفة وهو الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى أثر المقاومة حين دعاه ابن طباطبا إلى بيعته وإعانتة بالسلاح والعدة، فخرج عن البلد، وخذق حول داره، وأقام مواليه في السلاح والحرب، فانفذ إليهم ابن طباطبا أبا السرايا يدعوهم، إلا أنهم لم يصغوا لقوله، ورموه بالنشاب فأصابوا رجلاً، فأمروا بالقتال، فتحرك إليهم أبو السرايا وتحرك خلفه الكوفيون كالجراد المنتشر، فلم يلبث الفضل حتى فر، وفر معه مواليه تاركين القصر وما فيه غنيمة باردة للكوفيين. أما الفضل فقد توجه إلى الحسن بن سهل. وشكا إليه ما انتهك منه، فوعده النصر والغرم والخلف^(٣).

إلا أنه عنف سليمان بن أبي جعفر وضعفه، ووجه زهير بن المسيب في عشرة آلاف فارس وراجل^(٤) وأمدّه بالأموال، على أن يمضي من وقته، وألا ينزل إلا بالكوفة^(٥) وأقبل زهير يحبشه حتى نزل قصر ابن هبيرة، فأقام به ووجه ابنه أزهر على مقدمته فنزل سوق أسد، وكان محمد بن إبراهيم عليلاً علقته التي مات

(١). البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٤.

(٢). مقاتل الطالبين ص: ٥٢٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص: ٥٢٥.

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٩.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٢٥.

فيها^(١) فسار أبو السرايا من الكوفة عصراً، فأغذ السير حتى أتى معسكر أزهري بسوق أسد، فبيتهم، فطحن المعسكر وأكثر القتل فيه، وغنم دوابهم وأسلحتهم، وانقطع الباكون في الليل منهزمين حتى وافوا زهيراً بالقصر^(٢) كانت تلك الغارة ضربة موجعة للجيش البغدادي أغاظت زهيراً وحملته على الإسراع في التوجه إلى الكوفة، وقد وافته أوامر الحسن بن سهل - الذي شغله النظر في النجوم عن أمر عسكره - بالآ ينزل إلا بالكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة وفي الكوفة التي رجع إليها أبو السرايا منتصراً تهباً الكوفيون، فوافوا زهيراً عند القنطرة، وكانت ليلة صرودة باردة، فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن، إلا أن البغداديين الذين كانوا فيما يبدو على ثقة من النصر يصيحون يا أهل الكوفة، زينوا نساءكم وأخواتكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بكم كذا وكذا لا يكون، على أن هذه الدعوة البذيئة فيما يبدو قد شجذت همم الكوفيين، وجعلتهم أمام أمر شديد لا خلاص منه إلا بالنصر، وعلى ذلك باتوا ليلتهم يتحارسون، حتى إذا أصبح أبو السرايا نهد إليهم ووقف في عسكره مشجعاً، وكان معه الحسن بن الهذيل، وهو من أصحاب الحسين بن علي صاحب فخ، وقد روى عنه الحديث، فاعترض الناس ناحية ناحية ويقول: يا معشر الزيدية. هذا موقف تستزل فيه الأقدام، وتزال فيه الأفعال، والسعيد من حاط دينه والرشيد من وفى لله بعهده، وحفظ محمداً في عترته، أن الآجال موقوتة. والأيام معدودة، من هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطاً به^(٣).

ولم يلبث الجيشان متوافقين. ويبدو أن أبا السرايا لم يرد أن ينشب القتال إلا على يده، لخطه وضعها، فقد لام رجلاً من عسكره وشتمه، لأنه خرج فبارز رجلاً وقتله، وقتل غيره، ثم أمر أبو السرايا أحد غلمانته في نفر من أصحابه أن يمضي إلى خلف عسكر زهير، ثم يحمل عليهم لا يكذب، وحمل هو وتبعه

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٢٥.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٢٦.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٢٧.

الكوفيون فانتقض عسكر زهير ومزق شر ممزق، ونودي بهم: من نزل عن فرسه فهو آمن، فجعلوا يترجلون وأصحاب أبي السرايا يركبون، غنم الكوفيون كل ما في عسكر زهير من الأسلحة وإلا له والطعام، وعادوا إلى الكوفة، وقد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح^(١).

أما زهير فقد عاد إلى قصر ابن هبيرة، ثم دخل بغداد سرا، وكان الحسن قد وجه عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروزي في أربعة آلاف إلى النيل حيث بعث زهيرا إلى الكوفة، فأرسل إليه أن يذهب إلى الكوفة على غير الطريق الذي سار عليه زهير لئلا يرى الجند أشلاء عسكره، فسار عبدوس إلى الجامع من جوانب عسكر عبدوس، فوقعوا به، وقتل عبدوس، قالوا: أن أبا السرايا التقاه فقتله بيده، ووقع جميع جنده بين قتيل وأسير.

ودخل أبو السرايا على محمد بن إبراهيم وهو بجود بنفسه، فندد بأبي السرايا إذ لم يرض له أن يبيت القوم قبل أن يدعوهم، فاعتذر أبو السرايا عما حدث بضرورة التدبير للحرب، ولم يلبث ابن طباطبا حتى مات^(٢) وقد حدد الطبري تاريخ وفاة ابن طباطبا في اليوم الأول من رجب سنة ١٩٩ هـ، وقال: أن هزيمة عبدوس كانت لثلاث عشرة بقيت من رجب^(٣) واتهم أبا السرايا باغتياله، قال: فذكر أن أبا السرايا سمه، وكان السبب في ذلك فيما ذكره أن أبا السرايا لما حرز ما في عسكر زهير من المال والأسلحة والدواب وغير ذلك منعه ابن طباطبا، وحظره عليه، وكان الناس له مطيعين، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسمه^(٤) إلا أن أبا الفرج الذي لم يشر إلى ذلك، ذكر أن وفاة ابن طباطبا كانت بعد وقعة عبدوس التي حدثت في ١٣ رجب، وكان قد ذكر أن محمدا كان عليلا علتها التي

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٢٩.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٣١.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٠.

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٩.

مات فيها حين خرج أبو السرايا والكوفيون لحرب زهير بن المسيب، وأنه حين عاد من وقعة عبدوس في الجامع وجد محمداً يحد بنفسه، وأنه رأى الموت في وجهه، فطلب منه أن يعهد عهده، فأوصاه بالقيام بأمره وإن يختار الناس خليفته، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يلبث محمد حتى مات، فجاء أبو السرايا وكتب موته، فلما كان الليل أخرجته في نفر من الزيدية إلى الغري فدفنه^(١) وكان عمره ثلاث وخمسون سنة^(٢) فلما كان من الغد جمع الناس وخطبهم ونعى محمداً إليهم وعزاهم عنه، ثم قال: وقد أوصى أبو عبد الله إلى شبيهه ومن اختاره، وهو أبو الحسن علي بن عبيد الله، فإن رضيم به فهو الرضا، وإلا فأختاروا لأنفسكم، إلا أن الكوفيين الذين فوجئوا بوفاة ابن طباطبا لم يبدو رأياً فيما سمعوا فوثب محمد بن محمد بن زيد - وهو غلام حدث، إلا أنه كان فتى أريباً، فقال:

يا آل علي، فات الهالك النجا، وبقي الثاني بكرمه، إن دين الله لا ينصر بالفشل، وليست يد هذا الرجل عندنا بسيئة، وقد شفى الغليل وأدرك الثار، ثم التفت إلى علي بن عبيد الله، فقال: ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك فقد وصانا بك، امدد يدك بنايعك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أن أبا عبد الله رحمة الله عليه قد اختار فلم يعد الثقة في نفسه، ولم يأل جهداً في حق الله الذي قصده، وما أرد وصيته تهاونا بأمره، ولا ادع هذا نكولاً عنه، ولكن أتخوف أن اشتغل به عن غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبته فامض رحمك الله لأمرك، وأجمع شمل ابن عمك، فقد قلدناك الرياسة علينا، وأنت الرضا عندنا، الثقة في أنفسنا.

ثم قال لأبي السرايا: ما ترى؟ أرضيت به؟

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٣٢.

(٢). سر السلسلة العلوية ص ١٦.

قال : رضائي في رضاك ، وقولي مع قولك ، ف جذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه وفرق عماله^(١) . لقد انفرد أبو الفرج بتسجيل هذه التفاصيل ، أما سواه من المؤرخين ، فقد اكتفوا بالقول : أن أبا السرايا أقام مكانه - محمد بن إبراهيم - غلاماً أمرداً حدثاً يقال له محمد بن محمد^(٢) .

وبذلك تولى محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) الأمر ، وهو غلام حدث ، لم يبلغ العشرين من عمره ، إلا أن أبا السرايا تولى قيادة الأعمال العسكرية ، وتدير أمور المقاتلين . وبالرغم من نكسة الحركة بوفاة محمد بن إبراهيم إلا أن انتصارات الكوفيين الكبيرة والمتكررة على جند السلطة العباسية جعلتهم في موقف القوي المتمكن ، مما دفع طوائفا كثيرة من الناس والأعراب حول الكوفة إلى الالتحاق بهم ، والانضمام إليهم ، على أن الحركة الزيدية اتسعت اتساعاً كبيراً فشملت جنوبي العراق كله ، إضافة إلى اليمن وأجزاء من الحجاز . ويرى بعض المؤرخين أن العلويين حين بلغتهم أبناء انتصارات أبي السرايا وثبوا فاستولوا على البلاد^(٣) على أن أبا الفرج ذكر أن محمد بن محمد هو الذي فرق عماله ، ونظم إدارة الكوفة .

فولى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر العلوي خلافته على الكوفة .
وولى روح بن الحجاج شرطته .

وولى أحمد بن السري الأنصاري ، رسائله .

وولى عاصم بن عامر القضاء .

وولى نصر بن مزاحم السوق .

وعقد إبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٥٣٣ .

(٢) . انظر: تاريخ الطبري ٨ / ٥٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي ٣ / ١٨٦ والمعارف ص ٣٨٨ ومروج الذهب

٢ / ٢٤٦ وعمدة الطالب ص ٣٠ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٤٤ .

(٣) . البدء والتاريخ ٦ / ١٠٩ .

وولى زيد بن موسى بن جعفر الأهواز .

وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب البصرة .

وولى الحسين بن الحسن الأقطس مكة .

وعقد لجعفر بن محمد بن زيد بن علي والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن علي واسط ، فخرجوا إلى أعمالهم^(١) .

ولم يلق هؤلاء الولاة مقاومة كبيرة ، تحول بينهم وبين دخول الأمصار التي ولوها .

كان الوالي على مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى العباسي . كره القتال ، إلا أن مسروراً الخادم . وكان قد حج تلك السنة . جمع مائتي رجل وعبثهم للقتال ، إلا أن داود بن عيسى أبي القتال ، ففت في عضد مسرور ، فانحاز مع داود إلى ضواحي مكة ثم توجهوا إلى العراق^(٢) فدخل الحسين بن الحسن الأقطس مكة ، وجميع من معه لا يبلغون العشرة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ، ومضى إلى عرفة في الليل ، فوقف بها ساعة من الليل ، ثم رجع إلى مزدلفة فصلى بالناس الفجر ، ووقف على قزح ، ودفع الناس به^(٣) .

وأما محمد بن سليمان الطالببي فقد دخل المدينة ولم يقاتله بها أحد^(٤) وأذعن أهل اليمن لإبراهيم بن موسى بن جعفر ، وكان والي اليمن من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى ، الذي ما إن سمع بإقبال إبراهيم العلوي وقربه من صنعاء حتى خرج منصرفاً عنها بجميع ما في عسكره من الخيل والرجل وخلي لإبراهيم اليمن^(٥) إلا أن أبا الفرج ذكر أن أهل اليمن اذعنوا له بالطاعة بعد وقعة

(١) . مقاتل الطالببيين ص ٥٣٣ .

(٢) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١ .

(٣) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٣ .

(٤) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٤ .

(٥) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٦ .

كانت بينهم بسيرة المدة^(١).

وأما صاحبها واسط، فإن نصر البجلي - وكان وإليها من قبل المأمون - خرج إليهما فقاتلها قتالاً شديداً، فثبتا له. ثم انهزم، فدخلوا واسطاً وجيياً الخراج وتألفا الناس^(٢).

وفي البصرة، التي خرج إليها العباس بن محمد الجعفري، فقد وافاه علي بن جعفر بن محمد، وزيد بن موسى بن جعفر الذي كان ماضياً إلى الأهواز، فاجتمعوا ولقيهم أمير البصر الحسن بن علي المعروف بالمأموني، فقاتلوه وهزموه وحووا عسكره^(٣) وحرق زيد بن موسى دور بني العباس في البصرة، فلقب بذلك وسمي زيد النار^(٤).

قال أبو الفرج: وتتابعت الكتب وتواترت على محمد بن محمد بالفتوح من كل ناحية، وكتب إليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولاً يسمعون له ويطيعوا^(٥).

على إننا فيما نقرأ مما يورده أبو الفرج من أخبار هؤلاء نجد المسحة الزيدية واضحة على ما يقول، وقد اعتمد في رواية الأحداث على نصر بن مزاحم، وكان زيدياً، ولاء محمد بن محمد سوق الكوفة، إلا إننا يجب أن لا تغفل عن أهمية روايا كونه الشاهد على ما يحدث. أما الطبري، فإننا نجد فيما ينقله تحاملاً واضحاً على العلويين، وقد تبعه كل من أخذ عنه من المؤرخين اللاحقين، فنقل عن بعض العلويين من اقتراف السيئات بما لم ينقل مثله عن العيارين والشطار في عهود الانحطاط، غير أن أبا الفرج أشار إلى روايات غير منصفة لأئمة الزيدية حدث بها راو من الشيعة الإمامية وفي ذلك معنى ذو أهمية بالغة، إذ أن الزيدية أصبحت الآن

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

(٤). تاريخ الطبري ٨/٥٣٥ و مقاتل الطالبين ص ٥٣٤ رسر السلسلة العلوية ص ٣٧.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

مذهبا له معاملة وحدوده، وله مسائله الخلافية مع الفرق الأخرى، فلا نعدم من معارض لها رغم تشييعه، قال أبو الفرج في سند روايات لأحداث حركة أبي السرايا عن نصر بن مزاحم ورواة أخباره:

ربما ذكرت الشيء اليسير منها - يريد رواية علي بن محمد بن سليمان النوفلي - والمعنى الذي يحتاج إليه، لأن علي بن محمد كان يقول بالأمامية، فيحمله التعصب لمذهب علي الخيف فيما يرويه، ونسبة من روى خبره من أهل هذا المذهب إلى قبيح الأفعال.

وأكثر حكاياته في ذلك بل سائرها عن أبيه موقوفا عليه لا يتجاوزه وأبوه حينئذ مقيم بالبصرة لا يعلم شيئا من أخبار القوم إلا ما يسمعه من السنة العامة على سبيل الأراجيف والأباطيل، فيسطره في كتاب من غير علم، طلبا لما شان القوم، وقدح فيهم^(١) على أن الطبري الذي كانت أخباره مليئة بما تجنب أبو الفرج ذكره، لم يذكر رواية أخباره عن أبي السرايا ولا عن العلويين الذي انضموا إليه، ولم يظن إلا فيما يشينهم.

نهاية حركة أبي السرايا:

نزل أبو السرايا قصر ابن هيرة، وبدأت خيله تغير على كوثر ونهر الملك^(٢) وعقد محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الأرقط بن عبيد الله بن علي بن الحسين، على المدائن. فتوجه إليها في جمع عظيم، فلقى الحسين بن علي المعروف بأبي البط، فاقتلوا قتالا شديدا، انهزم على أثره أبو البط، واستولى محمد بن إسماعيل على البلد^(٣) فغظم أمره على الحسن بن سهل وبلغ منه^(٤) إذ كان أجتو

(١). مقاتل الطالبين ص ٥١٨.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٠.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٣٦.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

السرايا ومن معه لا يلقون له عسكريا إلا هزموه، ولا يتوجهون إلى بلد إلا دخلوها، فلم يجد معه من القواد من يكفيه حربه^(١) فرأى أن يستعين بالقواد الكفوئين الذين جردوا من منا صبهم في العراق، وقد ذكر أبو الفرج أنه أراد أن يستعين أولا بطاهر بن الحسين إلا أن نصيحة من مجهول صرفته عن ذلك، إذ أن طاهر بن الحسين كان يميل إلى العلويين^(٢) فبعث إلى هرثمة بن أعين، وكان هرثمة حين قدم الحسن بن سهل إلى العراق واليا سلم ما بيده من أعمال وتوجه إلى خراسان مغاضبا للحسن، فسار حتى بلغ حلوان، فلحقه السندي بن شاهك، وبلغه رسالة الحسن، إلا أنه أبي العودة قائلا: نوطى نحن الخلافة ونهد لهم أكتافها، ثم يستبدون بالأمر، ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور، أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله ولا كرامة. حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم، وقبح أفعالهم^(٣) إلا أنه غير رأيه حين بلغه كتاب منصور بن المهدي العباسي، فانكفا راجعا إلى بغداد^(٤) فدخلها في شعبان من سنة ١٩٩ هـ، وفي بغداد أستقبل هرثمة بحفاوة، ونقل إليه الحسن بن سهل دواوين الجيش يختار الرجال ويتخبهم، وأطلق له بيوت الأموال، فخرج إلى الياسرية، وكان قد تقدمه إليها منصور بن المهدي بعسكره^(٥).

ثم تقدم إلى نهر صرصر فنزل في غربة ليجد أبا السرايا قد نزل على جانبه الآخر مما يلي طريق الكوفة، كان ذلك في شهر رمضان^(٦) وكان علي بن أبي سعيد معسكرا بكلوازي، فشخص بعد انقضاء رمضان إلى المدائن فقاتل بها أصحاب أبي السرايا قتالا شديدا ليومين متتاليين، ثم انكشف الكوفيون فأخذ ابن أبي سعيد

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٠.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٣٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٣٥.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٣٥.

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١.

(٦). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١، ومقاتل الطالبين ص ٥٣٦ و ٥٤٢.

المدائن^(١) وبلغ أبا السرايا ذلك فانصرف من الليل إلى المدائن فوجدها قد أخذت، فناوشهم قليلاً ثم عاد نحو قصر ابن هيرة^(٢) وجد هرثمة في طلبه، التقى به وقاتله قتالاً شديداً، هزم على أثره أبو السرايا وقتل أخوه، فانحاز إلى الكوفة^(٣) فنهد إليه هرثمة مما يلي الرصافة، فخرج إليه أبو السرايا في الناس، فعبأهم وجعل على الميمنة الحسن بن الهذيل، وعلى الميسرة جرير بن الحصين ووقف هو في القلب^(٤). ونشب قتال ضار بين الفريقين، فانهزم أصحاب هرثمة هزيمة رقيقة، إلا أن أبا السرايا لم يتبعهم خشية أن يكرهه، فوقف، إلا أن أحد قواده، وهو مولاه أبو كتلة تبعهم، ثم عاد فأخبر إنهم عبروا الفرات، فرجع أبو السرايا بالناس إلى الكوفة، ثم خرج يوم الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة، وخرج الناس معه، إذ علم أن هرثمة سيوقعه هذا اليوم^(٥) ثم التقى الجيشان في قتال مرير لم يسمع بمثله، قتل فيه الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، وقتل من قواد أبي السرايا روح بن الحجاج، وأبو كتلة، ووجد أبو السرايا أن النصر يكاد أن يكون في متناوله يده، فجد وشمر وشجع أصحابه، والتحم القتال، فقتل بيده أحد قواد هرثمة، ولم يلبث جند هرثمة حتى هزموا هزيمة قبيحة، حتى قيل أن هرثمة نفسه وقع أسيراً بيد رجل لم يعرفه، وكان هرثمة قد خلف فرقة من جيشه قوامها عشرة آلاف رجل يكونون رداءً له أن انهزم أصحابه، عليهم رجل اسمه عبد الله بن الوضاح، إلا أن أبا السرايا نادى بجنده أن يتوقفوا مخافة أن يكر عليهم كمين للخراسانيين الدهاة، فلم يفعلوا، فاستقبلهم الردء، وحدث قتال عنيف قتل فيه من الكوفيين أعداد كبيرة، واستعاد جند هرثمة مواقعهم ثم استمرت الحرب

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١، ومقاتل الطالبين ص ٥٤٢.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٤٢.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٤٣.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٤٣.

سجلاً أياماً أخرى ، كان هرثمة خلالها قد استدعى منصور ابن المهدي ، وبدأ يكاتب رؤساء الكوفة^(١) ويبدو أن ذلك عمل عمله في نفوس الكوفيين ، وقد أراد أبو السرايا أن يحسم الموقف لصالحه فبعث رجلاً في خيل وأمره أن يأتي هرثمة من وراءه ، فمضى ولم يشعر به هرثمة حتى قرب منه ، وحمل أبو السرايا بمن معه ، إلا أن هرثمة التجأ إلى خديعة تشبه خديعة رفع المصاحف أيام صفين ، فنادى : يا أهل الكوفة ، علام تسفكون دماءنا ودماءكم ؟ أن كان قتالكم إيانا كراهية لإمامنا فهذا المنصور بن المهدي رضى لنا ولكم نبايعه ، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم ، واتفقوا معنا ليوم الاثنين لتتناظر فيه ، ولا تقتلونا وأنفسكم ، وفي انساب الأشراف أن هرثمة ادعى موت المأمون فلا حاجة للقتال^(٢) فأمسك أهل الكوفة ، يبدو أنهم ملوا القتال ، ولربما عملت فيهم رسائل هرثمة عملها ، وذهبت محاولات أبي السرايا في إقناعهم بمواصلة القتال سدى ، قال لهم : ويحكم ، أن هذه حيلة من هؤلاء الأعاجم ، وإنما أيقنوا بالهلاك ، فاحملوا عليهم ، فامتنعوا وقالوا : لا يحل لنا قتالهم ، وقد أجابوا^(٣) ويبدو أن أبا السرايا بعد تضييع هذه الفرصة نفض يده من الكوفيين ، وأراد أن يستبدلهم بأخرين اشد مضاء وعزيمة ، وأنه عزم الانجاء إلى البصرة التي لم تزل بيد أنصاره ، فلما كان يوم الجمعة خطب أهل الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، يا قتلة علي ، ويا خذلة الحسين ، إن المغتربكم لمغرور وإن المعتمد على نصركم لمخذول ، وإن الدليل لمن أعززتموه ، والله ما حمد علي أمركم فنحمده ، ولا رضى مذهبكم فنرضى به ، ولقد حكمكم فحكمتم عليه . واثمتنكم فختتم أمانته ، ووثق بكم فحلتم عن ثقته ، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ولطاعته ناكثين ، إن قام قعدتم ، وإن تقدم تأخرتم ، وإن تأخر تقدمتم ، خلافا

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٣ .

(٢). انساب الأشراف ٣ / ٢٦٧ .

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٤٥ .

عليه وعصيانا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إياه، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم، والنكول عن لقيتم وقد عبروا خندقكم؟ وعلوا قبائلكم؟ ينتهبون أموالكم ويستحيون حرمةكم، هيهات لا عذر لكم إلا العجز والمهانة، والرضا بالصفار والذلة، إنما انتم كفى الظل. تهزمكم الطبول بأصواتها، ويملا قلوبكم الحرق بسوادها، أما والله لا استبدلنّ بكم قوماً يعرفون الله حق معرفته، ويحفظون محمداً في عترته.

ثم قال:

ومارست أقطار البلاد فلم أجد لكم شبيهاً فيما وطئت من الأرض
 خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة ووهنا وعجزاً في الشدائد والخفض
 لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة فلا عنكم راض ولا فيكم مرضي
 سأبعد داري من قلى عن دياركم فذوقوا إذا وليت عاقبة البغض
 فقامت إليه جماعة من أهل الكوفة فقالوا: ما أنصفتنا في قولك. ما أقدمت
 وأحجمنا، ولا كررت وفررنا. ولا وفيت وغدرنا، ولقد صبرنا تحت ركابك،
 وثبتنا مع لوائك. حتى أفتتنا الوقائع، واجتاحتنا وما بعد فعلنا غاية إلا الموت،
 فامدد يدك نبايعك، فوالله لا نرجع حتى يفتح الله علينا أو يقضي قضاءه فينا،
 فاعرض عنهم، ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق.^(١)

إلا أن الطبري ذكر أن محمد بن محمد ومن معه من الطالبين وثبوا على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة، فانتهبوها وخربوها، وأخرجوهم عن الكوفة، وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها^(٢) بيد أن البلاذري ذكر خبراً يناقض ما قصه الطبري، قال انه خطب فأحسن القول في بني العباس، وقال: إن قوماً يزعمون أن مال بني

(١). مقاتل الطالبين ص: ٥٤٥. ٥٤٦.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣١.

العباس في لنا ، وهؤلاء جهال ضلال يحكمون بلا علم ويقولون بلا روية ، فقام إليه عبد العزيز بن عيسى بن موسى فجزاه خيراً وشكره ، وقاله له عبد الله بن رثاب : قد كان هذا الكلام يتلجلج في صدري حتى أخرجه الله على لسانك^(١) .

أما أبو السرايا فيبدو انه عزم على أمر لم يفد معه عرض الكوفيين فارتحل هو ومحمد بن محمد ونفر من العلويين والأعراب ، وقوم من أهل الكوفة ، وذلك في ليلة يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة مضت من المحرم سنة ٢٠٠ هـ ، فأقام بالقادسية ثلاثاً حتى تمام أصحابه^(٢) ولم يكديخرج من الكوفة حتى وثب بها أشعث ابن عبد الرحمن الاشعبي ، فدعا إلى هرثمة ، وخرج أشراف الكوفة إلى هرثمة ، فسألوه الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك وتألفهم^(٣) وكان دخول هرثمة الكوفة في صبيحة الليلة التي خرج فيها أبو السرايا^(٤) ولم يلبث هرثمة إلا قليلاً حيث خلف عليها رجلاً ، وعاد إلى معسكره^(٥) ثم ارتحل إلى بغداد ، بعد أن آمن الناس وهدأت قلوبهم من وحشة الحرب^(٦) .

أما أبو السرايا فقد بقي بالقادسية ثلاثاً حتى تمام أصحابه^(٧) ثم تركا متوجهاً إلى البصرة التي لم تزل بيد أنصاره ، فأتى ناحية واسط التي أصبحت الآن بيد علي بن أبي سعيد ، فعبر دجلة من أسفلها ، فأتى عبدسي ، فوجد بها مالاً كان قد حمل من الأهواز ، فأخذه وفرقه على فرسانه ، غير أن علي بن أبي سعيد توجه من واسط إلى البصرة في جيش كثيف فافتحها وأخذ من الطالبين^(٨) وعلم أبو السرايا بما آل إليه أمر البصرة ، وهو في طريقه إليها ، قالوا : أن أعرابياً لقيه وأعلمه

(١). انساب الأشراف ٣ / ٢٦٦ .

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٤٦ .

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٤٧ .

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٤ .

(٥). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٤ .

(٦). مقاتل الطالبين ص ٥٤٧ .

(٧). مقاتل الطالبين ص ٥٤٦ .

(٨). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٥ .

بما حدث ونصحه أن يعبر دجلة فيكون بين حوفي والجبل فيجتمع معه أكرادها ويلحق به من أراد صحبته من أعراب السواد وأكراده، ومن ثم يرى رأيه من أهل الأمصار، وقبل أبو السرايا تلك النصيحة، وسلك ذلك الطريق^(١) وجعل يجبي الخراج وهو في طريقه، ثم عمد إلى الأهواز حتى إذا صار إلى السوس أغلقوا دونه الباب، وأراده عاملها الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني على الانصراف على أن لا يتبعه، فأبى إلا القتال، فقاتله المأموني وهزمه واستباح عسكريه، وجرح أبو السرايا جرحاً بليغاً^(٢) وقتل من العلويين الحسن بن إسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٣) فأخذ بمن معه متوجهين على الجزيرة، فلما انتهوا إلى جلولاء عثر بهم، وبلغ حماد الكندغوش، وكان يتقلد تلك النواحي، فالتفاهم، وعرض عليهم الأمان على أن يبعث بهم إلى الحسن بن سهل، فقبلوا^(٤) فأرسلهم إلى الحسن بن سهل وهو بالمداين، فأراد أن يقتل محمد بن محمد العلوي لولا نصيحة بعض حاشيته، وقيل: بل قربه وأدناه لجدائته، وقال له: لعن الله من غرك^(٥) إلا أنه لم يمهل أبا السرايا حتى أمر بضرب عنقه، ونصب رأسه في الجانب الشرقي، وجسده في الجانب الغربي من بغداد^(٦) كما قتل غلامه أبا الشوك، وأرسل محمد بن محمد إلى خراسان حيث يقيم الخليفة المأمون.

العلويون بعد حركة أبي السرايا:

لم تنته حركات العلويين في كثير من النواحي التي دانت لهم بالطاعة بانتهاء حياة أبي السرايا واستسلام محمد بن محمد العلوي، فقد تمسك بعضهم بزمام الأمور في النواحي التي تولوا أعمالها أيام أبي السرايا، واستمروا في مناوأة السلطة

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٤٧.

(٢). تاريخ الطبري ٨ م ٥٣٤.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥١٥.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٤٨، تاريخ الطبري ٨/٥٣٤، وتاريخ اليعقوبي ٣/١٨٨.

(٥). تاريخ اليعقوبي ٣/١٨٨.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٥٤٩.

العباسية ، إلا أن السلطة الآن بدأت تتحول إلى مسار آخر مختلف تماماً عما كانت عليه ، فقد كان المأمون يبدي عطفاً على العلويين لم يلبث حتى تحول إلى اعتناق عقيدة الشيعة في الإمامة ، وفي جوانب أخرى ، ثم لم يلبث حتى دعا الإمام الرضا علي بن موسى ابن جعفر (عليه السلام) إلى خراسان وحمله على قبول ولاية عهده ، ثم استبدل شعار العباسيين بشعار العلويين الأخضر ، فالزم الجند ومؤسسات الدولة بطرح السواد ، وقد دفع هذا التحول بعضاً من الزيدية إلى الاعتراف بإمامه علي بن موسى الرضا ، قال النوبختي :

(وفرقة) كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء ، فدخلوا في إمامة علي بن موسى (عليه السلام) ، عندما أظهر المأمون فضله ، وعقد بيعته ، تصنعاً للدنيا ، واستكانوا الناس بذلك دهرأ ، فلما توفي علي بن موسى (عليه السلام) رجعوا إلى قولهم من الزيدية^(١) .

ولعل ذلك يفسر لنا إبقاء المأمون ولاية بعض النواحي التي استولى العلويون عليها بأيديهم ، كما فعل مع إبراهيم بن موسى بن جعفر الخارج باليمن ، كما سنرى .

مكة:

ذكرنا أن محمد بن محمد العلوي كان قد استعمل الحسين بن الحسن الأفطس على مكة سنة ١٩٩ هـ ، وتحدث المصادر بعد مقتل أبي السرايا عن وثوب محمد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق بمكة ، وبيعة أهل المدينة له بأمره المؤمنين ، فقد ذكر الطبري : أن الحسين بن الحسن الأفطس كان قد أساء السيرة بمكة ، وارتكب من الجرائم ما لم يرتكبه أحد ، وأنه لما علم هو ومن معه من أهل بيته تغير الناس له بسيرتهم ، وبلغهم أن أبا السرايا قد قتل ، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبين ، ورجعت الولاية لبني

(١). فرق الشيعة ص ١٠٧ .

العباسي اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان شيخاً وادعاً محبباً في الناس، فأقاموه وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين^(١) على أن الطبري ذكر أن محمد بن جعفر كان (مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة)^(٢) وهو رأي غريب في العلويين الذين تجسدت في سيرتهم من مثالية الخلق ما لم نجده عن غيرهم في أجيال كثيرة من الناس.

بيد أن أبا الفرج ذكر سبباً غير ذلك فقال:

أن رجلاً قد كتب كتاباً في أيام أبي السرايا بسبب فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجميع أهل البيت، وكان محمد بن جعفر معتزلاً لتلك الأمور، لم يدخل في شيء منها، فجاءه الطالبون، فقرأوه عليه، فلم يرد جواباً حتى دخل بيته، فخرج إليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف، ودعا إلى نفسه، وتسمى بالخلافة وهو يمثل:

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث الإسلامية

لم أكن من جناتها علم الله واني بحرما اليوم صالي^(٣).

إلا أن ابن عنبه جاء برأي آخر فقال: انه كان قد خرج داعياً إلى محمد بن إبراهيم طباطبا الحسني، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا محمد الديباج إلى نفسه وبويع له بمكة^(٤).

كان محمد هذا رجلاً فاضلاً. كريماً، شجاعاً، مقدماً في أهل بيته، لقب بالديباج لجمال وجهه، وتلقب بالمأمون، وكان إلى ذلك ديناً عابداً، يصوم يوماً ويفطر يوماً،^(٥) يروي العلم عن أبيه الإمام الصادق (عليه السلام)^(١) وكان ذا

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٧.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٧.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٣٨.

(٤). عمدة الطالب: ص ٢٤٥.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٣٧، تاريخ بغداد ٢ / ١١٣.

مكانة ومرموقة في أهل بيته مقدما فيهم ، أمر المأمون آل أبي طالب بخراسان أن يركبوا مع غيره من آل أبي طالب فأبوا أن يركبوا مع غيره^(١) ولعل فيما ذكر من صفاته ما يفسر لنا سرعة استجابة الناس له في الحجاز وتهامة ومبايعتهم له الخلافة ، وكانت بيعته في يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادي الأولى سنة مائتين^(٢) إلا انه لم يلبث إلا بضعة أشهر حتى وافاه هارون بن المسيب في جند ، فاجتمع الطالبيون مع محمد بن جعفر ، وقاتلوا القائد العباسي قتالاً شديداً ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وصرع القائد نفسه ، وحاول هارون أن يستدرج محمداً إلى الصلح ، فأوفد إليه الإمام علي الرضا ، فلم يصغ إلى رسالته ، وأقام على الحرب ، على أن الطبري ذكر أن أنصار محمد بن جعفر كانوا من غوغاء مكة ، ومن سودان أهل المياه ، ومن فرض له من الأعراب^(٣) في حين ذكر أبو الفرج عمن رآه بمكة وهو يخرج إلى الصلاة بمائتي رجل من الجارودية وعليهم ثياب الصوف ، وسيماء الخير ظاهر^(٤) ثم أن هارون وجه إليه خيلاً فحاصرته في موضعه ثلاثة أيام ، فنفذ زاده وماؤه ، ففرق عنه أصحابه يمينا وشمالاً فتوجه إلى مضرب هارون مستسلماً وسأله الأمان لأصحابه ، ففعل هارون^(٥) .

وكان ذلك يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادي الأولى^(٦) تلك كانت رواية النوفلي على ما نقله أبو الفرج ، وقد نقلها الطبري أيضاً دون أن يشير إليه ، إلا أن أبا الفرج نقل رواية أخرى مفادها ، أن ما حدث كان مع القائد العباسي عيسى الجلودي الذي حمل الطالبين مقيدين في محامل بلا وطاء يمضي بهم إلى خراسان

(١). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٤ .

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٣٧ .

(٣). تاريخ بغداد ٢ / ١١٤ .

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٩ .

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٣٨ .

(٦). مقاتل الطالبين ص ٥٤٠ .

(٧). تاريخ بغداد ٢ / ١١٤ .

فخرجت عليهم بنو نبهان فاستنقذوهم بعد حرب إلا أنهم مضوا بأنفسهم إلى الحسن بن سهل ، الذي أنفذهم إلى خراسان حيث يقيم المأمون^(١) إلا أن محمد ابن جعفر لم يلبث مع المأمون إلا قليلا حتى مات وله تسع وخمسون سنة^(٢) .

غير أن الطبري تحدث بغير ذلك ، قال : أن إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي أقبل إلى مكة في خيل ورجال ، فأخرج الطالبيون محمد بن جعفر لقتاله ، فقَاتلهم إسحاق أياما ، ثم انصرف يريد العراق ، فلقيه ورقاء بن جميل في جند عيسى بن يزيد الجلودي فرغب إليه أن يرجع إلى مكة على أن يكفيه القتال ، فرجع ، وقَاتل ورقاء محمد بن جعفر حتى هزم جنده ، فبعث محمد رجالا من قريش إلى قاضي مكة يسأل لهم الأمان فقبلوا ذلك منهم وأجلوهم ثلاثة أيام ، فدخل إسحاق وورقاء إلى مكة ، وكان ورقاء والياً على مكة للجلودي ، وتفرق الطالبيون ، فأما محمد بن جعفر فأخذ طريق جدة ، وفي الطريق التقاه أحد شيعة بني العباس ، فأنتهب منه جميع ما خرج به من مكة ، وكاد أن يقتله ، ثم استقر محمد ببلاد جهينة على الساحل ، فلم يزل مقيما هناك يجمع الجموع ، ثم وقعت بينه وبين هارون بن المسيب والى المدينة عدة وقعات عند الشجرة وغيرها ، انتهت باستلام محمد وإرساله إلى الحسن ابن سهل الذي أنفذه إلى المأمون بخراسان^(٣) وفيما ذكره الطبري من إصرار محمد بن جعفر على القتال ، يخالف ما كان قد ذكر من انه كان كارها ما كان عليه أهل بيته ، وأنه كان (محبيا في الناس) على أني لم أجد ما ذكره في المصادر الأخرى التي أرخت حركة محمد الديباج .

اليمن:

كان إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٤١ .

(٢). سر السلسلة العلوية ص ٣٧ .

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٩ .

أبي طالب (عليهم السلام) بمكة حين خرج أبو السرايا بالطالبيين ، واستولى على الكوفة ونواحي السواد ، فخرج إبراهيم مع جماعة من أهل بيته إلى اليمن سنة ٢٠٠ هـ - وقيل انه وليها لمحمد بن محمد العلوي . كانت اليمن آنذاك تتبع بغداد ، وكان يلي أمر للحسن بن سهل إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي ، فلما سمع بإقبال إبراهيم عليها وقربه من صنعاء ، خرج بمن معه من الفرسان والرجل منصرفاً إلى مكة ، فنزل معسكراً بالمشاش^(١) فاستقام أمرها اليمن لإبراهيم ونظم أمورها ، وفي موسم الحج أرسل رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة ليقيم الموسم . وكان المعتصم العباسي قد ولي الحج تلك السنة ، فلما شارف العقيلي مكة وعلم أن جيشاً كثيفاً للعباسيين يربط بها ، أحجم عن الدخول ، ثم أرسلت إليه فرقة من جند مكة ، فقاتلته وهزمت^(٢) .

وأرسل المأمون مع أحد قواده - واسمه حمدوية بن علي بن عيسى بن ماهان جيشاً من مكة لاستعادة اليمن ، إلا أن إبراهيم كان قد خرج منها بجيشه ليلحق بالعقيلي . فالتقى بخليفة حمدوية علي مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي ، فهزمه إبراهيم وقتله وغلب على مكة ، أما حمدوية فقد دخل اليمن دون أي مقاومة ، إلا انه خلع المأمون ودعا إلى نفسه ، فأرسل المأمون - الذي بايع الآن علي بن موسى الرضا بولاية العهد - إلى إبراهيم بن موسى وعنه واليا على اليمن ، كما أمر قائدة عيسى الجلودي أن يتوجه بجيشه يحارب حمدوية ، بيد أن إبراهيم بادر الجلودي ، فدخل اليمن وهزم حمدويه أولاً واستولى على صنعاء ، إلا أن حمدويه التقى ثانية بإبراهيم فلم يزل يقاتله حتى هزمه ، فهرب إلى مكة^(٣) وحاول فيها أن يلم شتات جنده ليعود إلى اليمن ، إلا أن عيسى الجلودي لم يمهل حمدوية

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٥٣٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ / ٥٤٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٩٠ .

حتى قضى عليه نهائياً. أما إبراهيم فاستأمن المأمون^(١) فقدم بغداد حتى عام ٢١٠ هـ حيث مات مسموماً.

على أن اليمن لم تستقر طويلاً حتى خرج بها علوي آخر هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، خرج سنة ٢٠٧ هـ ببلاد عك من اليمن. ودعا إلى الرضى من آل محمد (صلى الله عليه وآله)، وقالوا: أن سبب خروجه أن العمال باليمن أسأؤوا السيرة وظلموا الرعية، فلما ظهر بايعه الناس، فبعث إليه المأمون دينار بن عبد الله في عسكر كيف، وكتب معه بأمانه، فحضر دينار الموسم وحج، فلما فرغ من حجه سار إلى اليمن حتى أتى عبد الرحمن، فبعث إليه بأمانة من المأمون، فقبل ذلك ودخل ووضع يده في يد دينار، فخرج به إلى المأمون، الذي منع الطالبين من الدخول عليه، وأمرهم بلبس السواد وذلك لليلة خلت من ذي القعدة^(٢).

مصر:

مركز تقيت كويت رسي

في مصر كان القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا، وهو أخو محمد بن إبراهيم، كان يسكن عند جبل الرس في الحجاز، فنسب إليه، ثم انتقل إلى مصر، وحين دعا محمد بن إبراهيم إلى نفسه، دعا إليه بها وبايعه، فأجابته الزيدية هناك، إلا أنه لم يظهر دعوته، ولم يعلن العصيان، يبدو أنه أثر الدعوة السرية واستقطاب الأنصار، على أنه دعا إلى نفسه بعد مقتل محمد بن إبراهيم، وفي المقاتل أنه كان بالمغرب حين بلغه مقتل أخيه وأنه بكاه ورثاه بقصيدة باكية رائعة سجلها أبو الفرج كاملة^(٣).

كان القاسم الرسي رجلاً عفيفاً زاهداً، عالماً أديباً شاعراً^(٤) وقد اهتم في

(١). سننات الاسلاميين ص ٢٨٢.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٩٣، البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٥٣.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٥٣، عمدة الطالب ١٧٥.

تدوين عقائد الزيدية ونشرها بين طوائف كثيرة، ونواحي متباعدة، فقد كان له دعاة في مصر، وأرسل آخرين من بني عمومته وغيرهم إلى مكة والمدينة والكوفة، حيث كان يقيم متخفياً أحمد بن عيسى بن زيد العلوي، وكان أحمد عالماً فقيهاً، لقب بـفقيه آل محمد^(١).

كما انتشرت دعوته في الري وقزوین وطبرستان والديلم، بل تجاوزتها إلى بلخ والطالقان والجوزجان^(٢) وينبغي أن نتذكر هنا أن يحيى بن عبد الله الحسيني كان قد لجأ إلى تلك النواحي وظهر بها أيام الرشيد فوضع بذور الدعوة إلى الرضا من آل محمد هناك وصارت الآن من المراكز المهمة للدعوة الزيدية، وملجأً آمناً للعلويين.

يبدو لي أن دعوة القاسم الرسي لقيت إقبالاً في تلك الأصقاع، فكثرت أتباعه، حتى أنهم حثوه على الظهور وإعلان دعوته، إلا أنه أثار الاستمرار على الدعوة السرية، وتمكين العقيدة الزيدية في الحواضر الإسلامية إلا أن السلطة فيما يبدو شعرت بخطر تحركاته بمصر منذ أيام المأمون الذي أمر عامله على مصر عبد الله بن طاهر بطلبه، وحين توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ وولى المعتصم خلافة أزمع القاسم الرسي على الخروج ومناهضة السلطة، إلا أن حزم أمير مصر عبد الله بن طاهر الذي جرد وجيشاً ليتبع تحركات الرسي. جعل الرسي يؤثر الاستمرار في التخفي والدعوة سراً وتتحدث بعض المصادر أن أتباعه بايعوه بالإمامة سنة ٢٢٠ هـ^(٣) على أنه لم يكن فيما يبدو على ثقة من نجاح إعلان دعوته فعاد إلى الحجاز، فسكنها ثانية إلى وفاته سنة ٢٤٦ هـ^(٤).

وعلى الرغم من أن القاسم الرسي لم يشهر السلاح بوجه السلطة إلا أن

(١). الحدائق الولاية ٢٩ ورقة ٢١٨.

(٢). تاريخ الفرقة الزيدية، نقلاً عن مخطوطه عمدة الالباس ورقة ٦١٩.

(٣). انظر: الحدائق الوردية.

(٤). تاريخ الفرقة الزيدية، عن مخطوطه: أبناء الزمن ورقة ٢٢.

لتحركاته أهمية بالغة في نشر الدعوة الزيدية، وفي التمهيد لحركات ناجحة حدثت فيما بعد ببلاد الديلم وشمال إيران، فقد اهتم بنشر العقيدة الزيدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الرضا من آل محمد في تلك النواحي، فاعتقدها كثيرون من أهل تلك البلاد.

وكان الرسي معنياً بعناية كبيرة بتدوين أصول العقيدة الزيدية فألف كتباً كثيرة في فقه الزيدية وأصولها، حتى نسب إليه مذهب القاسمية في الفقه. وكتب رسائل كثيرة في الرد على الجبرية والمجسمة وأخرى في العقائد وأصول العدل والتوحيد وفي الفقه والأخلاق، وفي علوم القرآن والجدل، ولعل كتابه (الخمسة الأصول) من أقدم الكتب في عقائد الزيدية^(١).

على أن المأمون استطاع أن يملك زمام العلويين الجموحين حين بايع للإمام علي بن موسى بن جعفر بولاية العهد سنة ٢٠١ هـ، وكان المعلن من قبل المأمون وحاشيته أنه لم يجد في الهاشميين أفضل منه ولا أعلم^(٢). ومهما قال المؤرخون في سبب اتجاه المأمون إلى العلويين وتحويل الأمر إليهم، فإنه استطاع كما قلت أن يملك جموح العلويين الذين وجدوا في الوضع المضطرب بالعراق فرصة سانحة للعمل في تحقيق أهدافهم.

فقد ولي إبراهيم بن موسى العلوي اليمن، وجعله أميراً على الحاج في موسم العام ٢٠٠ هـ، وكان إبراهيم قد استولى على اليمن، وأعلن العصيان على السلطة، إلى أن السلطة الآن في طريقها إلى العلويين، خاصة بعد أن أمر المأمون بخلع السواد وإظهار الخضرة شعار العلويين، كما ولي العباس بن موسى العلوي على الكوفة حين بيض أخو أبي السرايا وبعض العلويين وظهوراً بها سنة ٢٠١ هـ^(٣).

(١). انظر: برد كلمان: تاريخ الادب العربي ٣ / ٣٢٥.

(٢). تاريخ الطبري ٨ / ٥٥٤ ومروج الذهب ٢ / ٢٤٧ والفضري ص ١٦٣ والبداية والنهاية ١٠ / ٢٤٧.

(٣). تاريخ الطبري ٨ / ٥٥٩.

وبذلك فقد ضمن استجابة العلويين وأنصارهم بالكوفة له ، ومقاتلة خصومه بالعراق الذين أعلنوا العصيان خشية أن يخرج الأمر إلى العلويين على أن الإمام علي بن موسى الرضي (عليه السلام) الذي قبل ولاية العهد مرغما وضع أمام المأمون صورة واضحة لما يحدث بالعراق ، وأطرافه ، وأفصح له عما كتبه عند وزرائه وولاته في العراق ومرو ، كما أخبره بما عليه الناس من فتنة وقتال منذ قتل الأمين وبما كان الفضل يستره عنه من الأخبار - وإن أهل بيته والناس قد نعموا عليه أشياء . . . كما أخبره بكذب الفضل وغشه ، وإن كثيرا من جن الدولة وقوادها المخلصين نعموا عليه مكانه - هو ومكان أخيه إبراهيم ، كما أخبره بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي العباسي بالخلافة^(١) وقد جراً هذا الموقف المغرق في الصدق والأمانة والنصيحة بعضا من قواد عسكر المأمون على الإدلاء بالنصيحة وأخباره بما يحدث بعد أن أمنهم من بطش الفضل الذي اغتال هرثمة بن أعين الذي أراد أن يعرض على المأمون حقيقة ما يحدث^(٢) يبدو أن ذلك غير موقف المأمون ، وجعله يعمل بجندر للتخلص من وزراء السوء ، فلم يمض وقت طويل حتى قتل الفضل بن سهل غيلة ، غير أن المأمون ولى أخاه الحسن ما كان يتولاه ، إلا أن الحسن لم يلبث حتى انصرف عن أداء مهامه شيئا فشيئا ، لمرض - قيل - أصابه^(٣) على أن المأمون حين أزمع على العودة إلى بغداد ، كان أولئك العلويون الذين استقدمهم إلى خراسان آمنين يموتون الواحد تلو الآخر ، بطريقة غامضة ولكنها متشابهة جعلت كثيرا من المؤرخين يتهمون المأمون بأنه ومن إليهم السم تخلصا منهم ، مقابل ما ذكره الآخرون من أسباب تبدو غير معقولة .

فقد مات محمد بن محمد بن زيد بن علي سنة ٢٠٢ هـ وهو في العشرين عمره ، قيل أن المأمون سقاه السم^(٤) .

(١) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٦٤ .

.. (٢)

.. (٣)

(٤) . عمدة الطالب ص ٢٢١ وسر السلسلة العلوية ص ٣٠ .

ومات محمد الديباج بن جعفر الصادق (عليه السلام) سنة ٢٠٣ هـ بت بجر
جان وقبره بها ، قالوا : فلما أخرجت جنازته دخل المأمون بين يدي السرير فحمله
حتى وضعه في لحده ، وقال : هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة^(١) .
ومات زيد النار بن موسى الكاظم (عليه السلام) ، وكان قد خرج بالبصرة ،
فحمل إلى المأمون بمرو مقيدا ، فعفا عنه ، ثم سقاه السم فقتله ، وقبره بمرو^(٢) .
وفي سنة ٢٠٣ هـ مات الإمام الرضا علي بن موسى بن جعفر (أكل عنباً فأكثر
مند فمات^(٣))^(١١١) وقد فتح المأمون بوفاته باب المفاوضات مع معارضي بيعته من
العباسيين والموالي وأهل بغداد ، فكتب إليهم يعلمهم موت علي بن موسى ،
وانهم إنما نعموا بيعته له من بعده ويسألهم الدخول في الطاعة^(٤) ولم يلبث المأمون
حتى وصل بغداد فاستقر بها ، فخلع الخضرية ولبس السواد ، ولم يبق للعلويين
وشيعتهم إلا حرية المناظرة والإدلاء بأرائهم في الإمامة وفي مسائل الخلاف ، ولكن
المأمون حين أطلق الفكر من عقاله ، فإنه ارتكب هفوة حين التزم آراء المعتزلة
وحمل الناس عليها قسراً والغريب أن المعتزلة الذي طالما دعوا إلى حرية الفكر فإن
قوة السلطان قد استهوتهم في إشاعة معتقداتهم .

(١) . مقاتل الطالبين ص ٥٤١ ، تاريخ بغداد ٢ / ١١٥ ، عمدة الطالب ص ٢٤٥ والعبير ١ / ٣٤٢ رسر
السلسلة العلوية ص ٤٥ أما سبب وفاته فقالوا : أنه جامع وافتصر ووحل الحمام في يوم فمات !!
العبير ١ / ٣٤٢ .

(٢) . سر السلسلة العلوية ص ٣٧ .

(٣) . تاريخ الطبري ٨ / ٥٦٨ ، وذكر كثيرون أنه مات بالسم .

(٤) . الطبري ٨ / ٥٦٨ .



مركز بحوث الكمبيوتر علوم إلكترونية

الفصل الثاني عشر

ثورة محمد بن القاسم العلوي

بالتاليف سنة ٢١٩هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كان المعتصم الذي ولي الخلافة بعد المأمون سنة ٢١٨ هـ، رجلا صليبا حازما، إلا انه كان ظالم الغضب^(١) على انه لم يكن مغرى بتبع تحركات الطالبين إلا بعد أن يشعر بخطورتها على سلطته، إلا انه كانت نأخذه عزة السلطان بالآثم حين يرى ملامح منافسته في أي من امتيازاته، فقد ذكر أبو الفرج انه اغتال علويا بالسم عندما كان وليا للعهد حين تفوق عليه ذلك العلوي بقوته الجسدية،^(٢) وانه حبس آخرامهم لأنه امتنع من لبس السواد حتى مات في حبسه^(٣).

وبالرغم من اهتمامه بالمناقشات التي أنشأها المأمون، وحفلت بها مجالس المعتزلة ومنتدياتهم، إلا انه كان أقرب إلى العسكرية من أي شيء آخر، وقد ظهرت كفارته العسكرية في حروبه المتكررة مع الروم الذين حاولوا مرارا نقض العهود التي أبرمت مع الخلافة العباسية فتجاوزوا الحدود إلى الثغور الإسلامية، إلا أن تربيته العسكرية المحضة، قادتته إلى خطأ جسيم حين انشأ فرق الجيش من المماليك الأتراك، فكثروا حتى ضاقت بهم بغداد وأهلها، فأضطر إلى الانتقال بهم إلى عاصمة جديدة هي سر من رأى شمال غربي بغداد.

ولم يظهر في أيام المعتصم من العلويين إلا محمد بن القاسم العلوي، الذي بدأ نشاطه بالكوفة، وانتهى بالطالقان.

ظهور محمد بن القاسم العلوي:

كان أبو جعفر محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وأمه علوية أيضا، من أهل العلم والفقہ والدين، ووصف.

(١). انظر: تاريخ الخلفاء ص ٣٣٣.

(٢). انظر: مقاتل الطالبين، ترجمة محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن أبي طالب ص ٥٧٣.

(٣). انظر: مقاتل الطالبين: ترجمة عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ص ٥٨٩.

بحسن المذهب^(١) يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد، وفي ذلك إشارة إلى ميله إلى الاعتزال^(٢) ويرى رأي الزيدية الجارودية وهم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي، وكان إلى ذلك رجلا عابدا من الزهاد^(٣) وكانت العامة تلقبه بالصوفي لأنه اعتاد لبس الصوف الأبيض حتى عرف به^(٤).

وتذكر المصادر أنه كان يسكن الكوفة، وأنه كان يدعو بها سرا إلى الرضا من آل محمد، وفيما تتحدث بعض المصادر أن المعتصم شعر بخطر تحركاته، فطلبه، فلما خاف على نفسه هرب إلى خراسان^(٥) وهناك إشارات إلى أنه تنقل في مدن عراقية كثيرة بعد مغادرته الكوفة ومعه جماعة من أهلها، إلا أنه اضطر إلى الانتقال إلى خراسان حين فارقه كثير من الكوفيين الذين لم تعجبهم ميوله إلى الاعتزال^(٦) وفي خراسان تنقل في مدن كثيرة، كمرو وسرخس والطاقان ونسا، وأنه لقي تأييدا متواصلا في تلك النواحي، ومما لا شك فيه أن أهل تلك الكور كانوا لتلقي الدعوة إلى الرضا من آل محمد بتأثير الدعوة السابقين بها منذ يحيى بن عبد الله الحسين الذي فر من وقعة فخ. والقاسم الرسي الذي بث دعاة كثيرين من العلويين وغيرهم في تلك النواحي.

كانت مدينة مرو مركز دعوة محمد بن القاسم، وكان معه بها من الكوفيين ومن وجوه الزيدية إبراهيم بن عبد الله العطار. الذي نقل عنه أبو الفرج أخبار تنقلاته بين كور خراسان. ويحيى بن الحسن بن الفرات القزاز، وعباد بن يعقوب الرواجني، وقد تفرق هؤلاء بين الناس، يدعوهم إليه، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٧٨.

(٢). جمهرة انساب العرب ص ٥٤.

(٣). مروج الذهب ٢ / ٢٦٥.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٥٧٨.

(٥). مروج الذهب ٢ / ٢٦٥.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٥٧٩.

استجاب لهم أربعون ألفاً من أهل مرو، فأخذوا عليهم البيعة، وانزلوا محمد بن القاسم في رستاق من رسايق مرو، اختاروه لكون أهله كلهم من الشيعة، ولوجود قلعه حصينة في جبل، أنزلوه بها^(١).

وقد واعد محمد بن القاسم أنصاره يوماً لإعلان الثورة بمرو، إلا أنه لاحظ بعض هؤلاء لم يتبعوه إلا طمعا في النهب^(٢) وليس بدافع العقيدة، ويبدو أن شعوره العميق بالعدل، ومثالية الإمام علي بن أبي طالب التي تأبى طلب النصر بالجور، دفعه إلى تفريق الناس، والانتقال إلى مكان آخر يرى فيه جنداً أصلب إيماناً واشد التصاقاً بروح الإسلام، فانتقل إلى الطالقان. وبينها وبين مرو أربعون فرسخاً. وفي الطالقان تفرق دعائه بين الناس يدعون إليه، فلم يلبثوا حتى اجتمع إليهم عالم، وأبلغه دعائه بما اجتمع إليه من أنصار، وحذروه أن يفعل بالطالقان ما فعله بمرو، فصح عزمه وخرج في الناس سنة ٢١٩ هـ.^(٣)

وبلغ عبد الله بن طاهر خبر محمد بن القاسم، وكان عبد الله قد ورث ولاية خراسان من أبيه، حيث كان المأمون قد جعل شرق الدولة العباسية أمانة تتوارث أسرته حكمها^(٤).

فأرسل عبد الله بن طاهر جيشاً يقوده صاحب شرطته واسمه الحسين بن نوح، فالتفاه محمد بن القاسم وقاتله، فلم يلبث الحسين بن نوح حتى هزم هزيمة قبيحة، مما أثار حفيظة عبد الله بن طاهر وجعله يشعر بخطورة هذا الشائر العلوي، فأرسل قائداً آخر الم يلبث أن هزم هزيمة أقبح من هزيمة سلفه، إلا أنه لم يرجع إلى عبد الله الدين طاهر، بل أحاز إلى بعض النواحي، وكتب إليه يعتذر ويحلف أنه لا يرجع إلا أن يظفر أو يقتل، فأمدّه عبد الله بجيش آخر ضخم، فسار به

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٧٩.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٨٠.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٨٠ وتاريخ الطبري ٧/٩ البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٢.

(٤). تاريخ الطبري ٨ / ٥٧٧.

حذرا متمهلا ، وحاول هذا القائد أن يستثمر نشوة الثوار بانتصار أتهم لصالحه ،
فانتقى فرقا من جيشه ، وجعلهم كمائن في مواضع متعددة ، والتقى هوبيقية
الجيش بالزبيدي ، فقاتلهم ساعة ثم انهزم أمامهم متطاردا ، فلما تفرقوا في طلبه
خرج عليهم الكمناء من كل جانب ، فانهزموا ، وأفلت محمد بن القاسم وصار
إلى نسا مستترا ، وهي إحدى مدن خراسان^(١) .

إلا أن محمد بن القاسم لم يرض بالهزيمة ، ففرق دعائه في النواحي يدعون
إليه ، غير أن أمير خراسان علم بموضع استتاره ، قالوا : أن أحد أنصار محمد بن
القاسم من أهل نسا ، زار أباه وأخبره بمرافقته لمحمد فذهب هذا الأب إلى عامل
تلك الناحية وأخبره بما علم من ابنه ، فأرسل رجالا إلى محمد بن القاسم
فأسروه^(٢) .

إلا أن أبا الفرج نقل رواية أخرى ، مفادها أن عبد الله بن طاهر وصلت أخبار
محمد بن القاسم وتحركاته في نسا ومكان استتاره بها ، فأرسل إليه جندا ، فأخذه
وهو يتهايا للسفر إلى خوارزم أحاطوا به فاستسلم بهدوء وان عبد الله بن طاهر
عامله بلطف لما رأى صلواته . وأنهم عرضوا عليه كل شيء نفيس من مال وجوهر
وغير ذلك ، فلم يقبل إلا مصحفا جامعا كان لبعده الله بن طاهر ، فلما قبله سر عبد
الله بذلك ، وإنما قبله لأنه كان يدرس فيه^(٣) .

وفي رواية أبي الفرج أيضا أنه بقي سجونا في نيسابور ثلاثة أشهر ليعمي خبره
على الناس كي لا يغلب عليه ، لكثرة من بايعه بكور خراسان ، وان عبد الله
أخرجه خفية دون أن يعلم به أحد ، حتى أورده بغداد على المعتصم^(٤) .

ونقل أبو الفرج عن أحد الذين رافقوا محمد بن القاسم من نيسابور إلى

(١) . مقاتل الطالبين ص ٥٨٠ .

(٢) . تاريخ الطبري ٧ / ٩ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٥٨٤ .

(٤) . مقاتل الطالبين ص ٥٨٤ .

بغداد، وصفا دقيقا لأخلاق الرجل وسجاياه، وما التزم به شرائط السؤدد، وما جبل عليه من خلائق ذوي المطالب الكبيرة.

قال إبراهيم بن غسان:

ما رأيت قط أشد اجتهادا منه، ولا أعف ولا أكثر ذكرا لله عز وجل. مع شدة نفس، واجتماع قلب، ما ظهر منه جزع ولا انكسار، ولا خضوع في الشدائد التي مرت به، وأنهم ما رأوه قط مازحا ولا هازلا ولا ضاحكا إلا مرة واحدة، فإنهم لما انحدروا من عقبة حلوان أراد الركوب، فجاء بعض أصحاب إبراهيم ابن غسان فطأ له ظهره، حتى ركب في المحمل على البغل، فلما استوى على المحمل قال للذي حمله على ظهره مازحا: أتأخذ أرزاق بني العباس وتخدم بني علي بن أبي طالب! وتبسم... ولا اغتم من شيء جرى عليه إلا يوم ورد عليه كتاب المعتصم وقد وردنا النهروان فكتبنا إليه بالخبر واستأذناه في الدخول به، فورد علينا كتابه يأمرنا أن نأخذ جلال ألقبه ونسير به مكشوفاً، وإذا وردنا النهرين أن نأخذ عمامته وندخله بغداد حاسرا وذلك قبل أن يبنى سر من رأى، فلما أردنا الرجيل به من النهروان نزعنا جلال القبة، فسأل عن السبب في ذلك فأخبرناه، فأغتم لذلك، ولما صرنا بالنهرين قلنا له يا أبا جعفر انزع عمامتك، فإن أمير المؤمنين أمر أن تدخل حاسرا، فرمى بها إلى ودخل الشماسية في يوم النيروز. وذلك في سنة تسع عشرة ومائتين. وهو في القبة وهي مكشوفة وهو حاسر وعديله شيخ من أصحاب عبد الله بن طاهر، وأصحاب السماجة بين يديه يلعبون، والفراغنة يرقصون، فلما رآهم محمد بكى ثم قال: اللهم انك تعلم أنني لم أزل حريصا على تغيير هذا وإنكاره^(١).

وكان وروده على المعتصم في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر^(٢) وقد رفعه المعتصم إلى مسرور الخادم، فحبس في سرداب ضيق أشبه شيء بالبئر يكون قدر ثلاثة أذرع في ذراعين، فبقي ثلاثة أيام فيه^(٣) ثم أمر المعتصم

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٨٥.

(٢). تاريخ الطبري ٧/٩ والبداية والنهاية ١٠/١٨١.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٨٦، تاريخ الطبري ٧/٩.

بنقله إلى دار بيستان موسى بن المعتصم ، ووكل به مسرور عدة من غلمانته وثقاته إلا انه استطاع أن يهرب من هذا السجن ، في يوم الفطر^(١) إلا أن المؤرخين اختلفوا في طريقة هروبه ، وفي ما آل إليه أمره بعد ذلك ، وقد أشار المسعودي إلى اختلاف روايات المؤرخين فقال :

وقد تنوزع في محمد بن القاسم ، فمن قائل يقول : قتل بالسم ، ومنهم من يقول أن ناسا من شيعته بالطالقان أتوا ذلك البستان ، فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة ، واتخذوا سلالم من الحبال واللبود الطالقانية ونقبوا الأزج ، وأخرجوه فذهبوا به ، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية^(٢) .

أما أبو الفرج فقد أكد انه احتال بنفسه للهرب ، وإنما وقع الخلاف في مصيره ، قال :

وكان في القبة التي هو فيها محبوس عدة روازن وكوى واسعة الضوء ، فطلب مقراضا يكون عنده يقص به أظفاره ، فدفع إليه ، فعمد إلى لبد كان تحته فقطع نصفه بالمقراض وقصصه كهيئة السيور ، وعمل منه مثل السلم ، وطلب منهم سعفه ذكر انه يريد أن يطرد بها الفأر ، فإنه يأكل خبزه فينجسه عليه ، فأعطوه فقطعها ، وخرز حواليتها بالمقراض حتى كسرهما ثلاث قطع ، وقرنها بمسواكه وجعلها في رأس السلم ، وحلق به في أقرب روزنة من تلك الروازن إليه فعلق فيها ، وتسلق عليه ، وجذبه إليه لما صعد فنجا ، وكانت ليلة الفطر من سنة تسع عشر مائتين . وقد أدخلت الفواكه والرياحين وآلة العيد على رؤوس الحمالين إلى البستان ، وصار الحمالون جميعا إلى القبة التي فيها محمد بن القاسم ، فباتوا حولها ، ورموا بنايتهم وناموا ، فرمى بنفسه من القبة إلى أسفل ونام بين الحمالين حوزة من فقار ظهره ولم تنفك ، فنام بين الحمالين ، ثم عجل فأخذ

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٨٦ ، تاريخ الطبري ٧/٩ تاريخ اليعقوبي ٣/٢١١ ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٢ .

(٢). ساروج الذهب ٢ / ٢٦٥ .

بنتيجة أحدهم وذهب ليخرج فقال أحد البوابين؟ من أنت؟ فقال: أحد الحمالين أردت الانصراف إلى أهلي فقال له: نم عندي مكانك لا يأخذك العسس، فنام عنده، فلما طلع الفجر خرج الحمالون، وخرج معهم فأقلت^(١).

وذكر الطبري ما هو قريب من ذلك قال:

انه لما كانت ليلة الفطر، واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج ذكر انه هرب من الحبس بالليل، وانه دل إليه جبل من كوة في أعلى البيت يدخل عليه منها الضوء، فلما أصبحوا أتوا بالطعام للغداء افتقد^(٢).

أما المعتصم فقد ذكر أبو الفرج انه تلقى الخبر بهدوء وعدم اكتراث قال: أن مسرورا لما اعلم بالخبر، دخل على المعتصم حافيا مستسلما للقتل واعلمه الخبر، فقال له المعتصم: لا بأس عليك، إن كان ذهب فلن يفوت، إن ظهر أخذناه وإن أثر السلامة واستتر تركناه^(٣).

أما غير أبي الفرج فقد ذكروا انه جعل لمن دل عليه مائة ألف درهم، وصاح بذلك الصائح^(٤).

على أنهم اختلفوا في مصيره بعد هربه من السجن.

قالوا: انه لم يعرف له خبر، والى أين صار من الأرض، وأنه استتر إلى أن مات^(٥).

وقال آخرون: أن المعتصم أخذه بعد أن هرب من حبسه، وضربت عنقه صبرا وصلبه بباب الشماسية وهو ابن ثلاث وخمسين سنة^(٦).

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٨٦.

(٢). تاريخ الطبري ٧/٩.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٥٨٦.

(٤). تاريخ الطبري ٧/٩ تجارب الامم ٦ / ٤٧١.

(٥). تاريخ الطبري ٧ / ٩، البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٢، جمهرة انساب العرب ٥٤ وتاريخ اليعقوبي ٢١١/٣.

(٦). سر السلسله العلوية ص ٥٥ وعمدة الطالب ص ٣٠٦.

وفي رواية الحرث بن احمد الخزاز، انه تواري أيام المعتصم وأيام الواثق ثم أخذ في أيام المتوكل، فحمل إليه فحبس حتى مات في مجلسه.
قال: ويقال: انه دس إليه سما، فمات منه^(١).

على أن أبا الفرج ذكر أن اصح الأنباء، انه انحدر إلى واسط وبها مات، ونقل عن علي بن محمد الأزدي، والحسين بن موسى بن منير تفاصيل هربه إلى واسط قال:

أن محمد بن القاسم لما هرب صار إلى قطيعة الربيع، إلى منزل منير بن موسى ابن منير، فنقله إلى منزل إبراهيم بن قيس، فاجتمعوا إليه وقالوا له: إن الطلب لك سيشتد، وليست بغداد لك بمنزل، فارحل من وقتك قبل أن يشتد عليه الطلب إلى واسط، فانحدر إلى واسط، وقد شد وسطه للوهن الذي أصاب فقار ظهره، فلما صار بواسط مات رحمه الله.

ثم نقل عن ابنه علي بن محمد بن القاسم قوله:

انه لما صار إلى واسط عبر بها دجلة إلى الجانب الغربي، فنزل إلى أم ابن عمه، علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين، وكانت عجوزا مقعدة، فلما نظرت إليه وثبت فرحابه وقالت: محمد والله، فدتك نفسي وأهلي، الحمد لله على سلامتك، فقامت على رجلها، وما قامت قبل ذلك بسنين، فأقام عندها مديدة، ومرضته من الوهن الذي أصاب ظهره حتى مات بواسط.^(٢)

على أن طوائفا من الزيدية التي انقادت إلى إمامته، تزعم أن محمدا لم يميت، وانه حي يرزق، وانه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وانه مهدي هذه الأمة ن قال المسعودي: وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٨٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٥٨٧.

وكثير من كور خراسان^(١) ومها يكن من أمر نهاية محمد بن القاسم، فإن لثورته -
رغم قصر مدتها- أهمية بالغة في ترسيخ الدعوة الزيدية للرضا من آل محمد في
الطالقان. وكور خراسان، مما مهد لحركات العلويين التالية، التي انتهت في
تأسيس دولة العلويين في الطالقان.



مركز بحوث الحاسوب والبحوث

(١). مروج الذهب ٢ / ٢٦٥.



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب والعلوم
السعودية

الفصل الثالث عشر

سياسة المتوكل مع العلويين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كان الواثق بن المعتصم الذي ولي الخلافة سنة ٢٢٧ هـ وهو في الثلاثين من عمره رجلا سمحا كريما، أدبيا، رغم تشدده في ما سمي (بمحنة خلق القرآن) فقتل عليها احمد بن نصر الخزاعي^(١) على انه كان حاكما ممتازا كريما صبورا، وكانت ادارته تتصف بالحزم وسعة المعرفة، ومع انه كان محبا للمرح فإن حياته الخاصة كانت فوق الشبهات، وكان يرعى الآداب والعلوم وشجع الصناعات والتجارة، وكان محسنا كريما حتى انه لم يكن في الإمبراطورية الإسلامية متسول واحد طول حكمة^(٢).

وكان كريما من الطالبين، رفيقا بهم، حتى قال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير^(٣) فقد اشتمل عليهم، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم والتعهد لهم بالأموال^(٤) وقد وجدوا في جواره بسر من رأى مرتعا آمنا خصبا، فاجتمعوا بها في أيامه تدور الأرزاق عليهم^(٥) على أن الواثق لم يلبث طويلا، فمات سنة ٢٣٣ هـ فخلفه المتوكل. (كان المتوكل شديد الوطاه على آل أبي طالب، غليظا على جماعتهم، مهتما بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره سيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ منهم مالم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس).^(٦)

وكان من حقد المتوكل على آل علي أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحدا زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه

(١). مروج الذهب ٢ / ٢٨٣.

(٢). مختصر تاريخ العرب ص ٢٥٩.

(٣). تاريخ الخلفاء ص ٣٤٢.

(٤). أبو الفدا ٢ / ٣٩، ابن الأثير ٧ / ٣١٠.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٥٩٣.

(٦). مقاتل الطالبين ص ٥٩٧.

عقوبة^(١) وقد كان في فعلة المتوكل هذه إساءة بالغة لمشاعر المسلمين، فكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فما قيل فيه:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أيه بمثله هذا العمري قبره سهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه ريمما^(٢)

على أن ذلك لم يمنع أولئك الذين هالهم أن يطلق الفكر من عقاله أن يعتبروا المتوكل نصير السنة، وثالث الخلفاء؛ أبو بكر الصديق في قتل أهل الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة^(٣) حين أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل، والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد^(٤).

غير أن أيام المتوكل كانت أيام رخاء لعامة الناس، وشيوع الترف وبناء القصور، فقد بنى هو قصورا اتفق عليها أموالا عظيما، منها: الشاه والعروس، والبديع، والغريب، والبرج^(٥) إلا أنه وضع آل أبي طالب إزاء حالة الرضا التي كان ينعم بها الناس في موقف صعب من الحاجة والعوز، فقد استعل على المدينة ومكة، رجلا اسمه عمر بن الفرغ الرخجي، كان سيء الطوية شديد البغض لآل علي، لم يجد سبيلا لإرضاء سيده غير الإمعان في محاصرة الطالبين والمبالغة في الإساءة إليهم، حتى انه (منعهم التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحدا أبر أحدا منهم بشيء وان قل حتى أنهكه عقوبه، وأثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه، الواحدة

(١). مقاتل الطالبين ص ٥٩٧ والفخري ص ١٧٧ وتاريخ الخلفاء ٣٤٧ وأبو الفداء ٤٠/٢ وابن الأثير ١٩/٧.

(٢). تاريخ الخلفاء ٣٤٧.

(٣). تاريخ الخلفاء ٣٤٦.

(٤). مروج الذهب ٢/٣٩١.

(٥). تاريخ اليعقوبي ٣/٢٢٩.

بعد الواحدة ، ثم يرقعنه ، ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر ، إلى أن قتل المتوكل^(١) .

وفي سامراء التي تجمع بها الطالبيون أيام الواثق ، تدور الأرزاق عليهم ، فقد تفرقوا أيام المتوكل^(٢) في النواحي التي بدأت تستشري بها دعوة العلويين إلى الرضا من آل محمد ، مثل طبرستان ونواحي الديلم والري ، إلا أن المتوكل حاول أن يضمن ولاء أعلام العلويين الذي كانوا يتمتعون بمواقع خاصة في نفوس ذوي التقوى والورع ، أو يحد من تحركاتهم على الأقل فقد أمر بأشخاص الإمام الهادي ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، من المدينة إلى سامراء ، وكان المتوكل قد راعه أن يرى طوائفا من المسلمين ترى فيه الإمامة الحق ، وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي ، قد كتب إليه يذكر أن قوما يقولون انه الإمام^(٣) كما ذكر للمتوكل بعض الساعين بالإمام أن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من الشيعة ، فوجه إليه ليلا جندا من الأتراك وغيرهم ، فهجموا عليه على غفلة ممن كان في داره ، فوجدوه في بيتا وحده ، عليه مدرعة من شعر ولا بساط تحته ، متوجها إلى ربه الكريم ، يترنم بآيات من القرآن الكريم في الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل إلى المتوكل^(٤) .

قالوا : أن يحيى بن هرثمة خرج معه ، فلما شارف بغداد في موضع يقال له : الياسرية ، نزل هناك ، وركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه ، فرأى تشوق الناس إليه ، واجتماعهم لرؤيته ، فأقام إلى الليل ، ودخل في الليل ، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة ، ثم نفذ إلى سر من رأى^(٥) .

وقالوا : أن المتوكل سأله حين مثل إمامه ؛ ما يقول ولد أيبك في العباس بن

(١) . مقاتل الطالبين ص ٥٩٩ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٥٩٣ .

(٣) . تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢٢٣ .

(٤) . مروج الذهب ٢ / ٣٩٧ .

(٥) . تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢٢٣ .

عبد المطلب؟ .

أجاب : ما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقهن وافترض طاعته في بنيه؟ .

وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه ، فعرض^(١) إلا أن ظاهر الجواب كان قد أرضى غرور المتوكل ، كما أرضى عقيدته التي استحدثت في إمامة العباس بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد وصف المسعودي دخول الإمام الهادي (عليه السلام) على المتوكل ، وكان قد حمل إليه في جوف الليل ، قال :

فمثل بين يديه المتوكل يشرب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ، ولم يجد في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل بها عليه ، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني منه ، فاعفاه .

وقال الشدني شعرا استحسنته

وقال : أني لقليل الرواية للأشعار .

قال : لا بد أن تشدني .

ويبدو أن الإمام أراد أن يغتنم هذه الفرصة ليعظ هذا الخليفة المعن في لهوه ، فأنشده أبياتا وعظية منها :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغتتهم القل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم فأودعوا حفرا بأبش منازلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل

وهي أبيات يبدو أن أبا الحسن اختارها بعناية . حتى أن الحاضرين اشفقوا عليه من بادرة تبدر من الخليفة إليه ، إلا أنها عملت عملها في نفس المتوكل فأبكته^(٢) .

واستدعى من العلويين المدنيين ، القاسم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن

(١) . مروج الذهب ٢ / ٣٩٦ .

(٢) . مروج الذهب ٢ / ٣٩٧ .

الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان رجلا فاضلا مقدما في قومه ، قال أحدهم :
ما رأيت الطالبين انقادوا لرياسة أحد كانقيادهم للقاسم بن عبد الله^(١) حمله عمر
بن فرج الرخجي إلى سامراء ، فأمر بلبس السواد ، فأمتنع ، فلم يزالوا به حتى
لبس شيئا يشبه السواد ، فرضي منه بذلك ، إلا انه لم يلبث طويلا حتى اغتيل
بالسم على يد طيب^(٢) .

إلا أن أيام المتوكل شهدت أطول المتوارين مدة ، أحدهم احمد بن عيسى بن
زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) ، الذي توفي سنة ٢٢٧ هـ ، وكان قد
توارى منذ أيام الرشيد^(٣) .

وعبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،
الذي توارى أيام المأمون فكتب إليه بعد وفاة الإمام الرضا يدعوه إلى الظهور
ليجعله مكانه ويبايع له ، واعتد عليه بعقوبه عن عفا من أهله ، وما أشبه هذا من
القول ، فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها :

فبأي شيء تغرني ؟ ما فعلته بأبي الحسن صلوات الله عليه . بالعنب الذي
اطعمته اياه فقتلته . والله ما يقعدني عن ذلك خوف من الموت ، ولا كراهة له ،
ولكن لا أجد لي فسحة في تسليطك على نفسي ، ولولا ذلك لا تبتك حتى تريحني
من هذه الدنيا الكدرة .

ويقول فيها :

هبني لا تار لي عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا ، الآخذين حقنا ، الذين
جاهروا في أمرنا فحذرناهم ، وكنت أطف حيلة منهم بما استعملته من الرضا بنا
والتستر لمحنتنا ، تختل واحدا فواحدا منا ، ولكني كنت امرأ حبيب إلى الجهاد ، كما
حبيب إلى كل امرئ بغيته ، فشحذت سيفي ، وركبت سناني على رمحي ،

(١) . مقاتل الطالبين ص ٦١٧ ، عمدة الطالب ٣١٦ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٦١٨ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٦٢٧ .

واستفهرت فرسي، لم أدر أي العدو أشد ضررا على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شيء، فقرأته فإذا فيه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) فما أدري من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)) فعلمت أن على أن أبدأ بما قرب مني.

وتدبرت فإذا أنت أضرت على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم لأن الكفار خرجوا منه وخالفوه فحذروهم الناس وقتلوهم، وأنت دخلت فيه ظاهرا فأمسك الناس وطفقت تنقض عراه عروة، عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه^(١).

قال أبو الفرج: نعي عبد الله بن موسى إلى المتوكل صبح أربعة عشرة ليلة من يوم مات، ونعي له أحمد بن عيسى فاغتبط بوفاتهما وسر، وكان يخافهما خوفا شديدا، ويحذر حركتهما لم لما يعلم من فضلهما، واستنصار الشيعة على يديه بهما، وطاعتهم لهما، لو أرادا الخروج عليه، فلما ماتا أمن واطمان^(٢).

وكان المتوكل الذي لم تخل مجالس لهوة من هزل يزوي بمقام الخلافة، فقد أراد من هزله أن ينفس في أحيان كثيرة عما بنفسه من حنق على الطالبيين، وكان مجلسه لا يخلو من أحد من هؤلاء اللاهين الذين ناصبوا آل محمد العدا، منهم عبادة المخنث، وعلي بن الجهم الشاعر، وعمر بن فرج الرخجي، وأبو السمط مروان بن أبي الجنوب، من ولد مروان بن أبي حفصة، الذي وجد في التنديد بآل أبي طالب سيلا سهلا نال به ما لم ينله أحد، فقد عقد له المتوكل يوما على البحرين واليمامة، ونثر عليه الدنانير وأمر ولي عهده أن يلقطها له، كل ذلك لأبيات ركيكة باردة، كانت إلى اللغو أقرب منها إلى الشعر ومنها:

ملك الخليفة جعفر للدين والدينا سلامه
لكم تراث محمد وبعد لكم تنفى الظلامه

(١). مقاتل الطالبيين ص ٦٢٧.

(٢). مقاتل الطالبيين ص ٦٢٩.

يرجو الثراث بنو البنات
والصهر ليس بسوارث
ما للذيسن تنخلوا
أخذ الوراثة أهلها
لو كان حقكم لما
ليس التراث لغيركم
أصبحت بسين محبكم
ومالهم فيها قلامه
والبنيت لا تراث الإمامه
ميراثكم إلا الندامه
فعلام لومكم علامه!
قامت على الناس القيامه
لا والاله ولا كرامه
والمبغضين لكم علامه^(١)

ولكن أيام المتوكل لم تمض دون حركة مسلحة أنشبتا بعض العلويين من أهل المدينة، تلك هي حركة محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولم يكن محمد بن صالح العلوي فيما يبدو ممن حمل آراء الزيدية في ضرورة اشهار السيف بوجه الحاكم الجائر، ولم يكن ممن يرى رأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما كان قتي من فتيان آل أبي طالب، شجاعا فاتكا وشاعرا ظريفا^(٢) إلا أن حصر العلويين بالمدينة، ومنعهم عما يخفف عنهم وطأ الحاجة والعوز التي فرحنها عليهم المتوكل كل ذلك حمله على الخروج على السلطة اباة ورفضاً للاستكانة وإدلالا بالشجاعة وأنفة من الرضوخ، قال رجل كان معه في بيت أحد أصحابه، أنه أقام حتى انتصف الليل، قام فتقلد سيفه وخرج. فاشفت عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسأته المقام، وأعلمته خوفي عليه، فالتفت إلى مبتسما وقال:

إذا ما اشتملت السيف والليل لم أهل بشيء ولم تفرع فؤادي القوارع
خرج محمد بن صالح العلوي بسويقة، وجمع الناس للخروج، وكان أبو الساج الأشروسني وهو أحد قواد المتوكل، قد حج بالناس تلك السنة فخافه

(١). تاريخ الطبري ٩ / ٢٣٠.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٠٢.

موسى بن عبد الله بن موسى (وهو عم محمد بن صالح) على نفسه وأهله وولده، فضمن لأبي الساج تسليمه، وتوثق له بالإيمان والامان، فجاء ال محمد بن صالح وأعلمه ذلك وأقسم عليه ليلقن سلاحه، ففعل، وخرج إلى أبي الساج، فقيده وأرسله إلى سامراء مع جماعة من أهل بيته، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين، ثم اطلق^(١).

ويبدو انه كانت لمحمد بن صالح العلوي علاقة صداقه مع بعض ندمان المتوكل فعملوا على خلاصه، قالوا أنهم طرحوا ابياتا له على بعض المغنين، فصنع لها لحنا، ثم غناه للمتوكل، فطرب واستحن الشعر، فسأل عن قائله، فوجدوا مناسبة للكلام في أمره^(٢).

على أن المتوكل الذي بايع لولاية العهد لابنه المنتصر، ثم لا بنيه المعتز والمؤيد من بعد المنتصر، لم يلبث أن قتل على يد ولي عهده لا سباب كثيره ذكرها المؤرخون.

مركز تحقيق التراث
مركز تحقيق التراث
مركز تحقيق التراث

كان المنتصر الذي ولي الخلافة سنة ٢٤٧ هـ رجلا حليما راغبا في الخير إلا أن أكرم مآثره عنايته بالعلويين، ومحاولته رفع الحيف الذي أنزله بهم أبوه، فكان (وصولا لهم، أزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف والمحنة ومنعهم من زيارة قبر الحسين، ورد عليهم فديك، التي كان المأمون قد ردها إليهم، ثم أخذها المتوكل^(٣) وقد بدأ لأخلافته بعزل عامل المدينة وتولية على بن الحسين بن العباس بن محمد إياها، فذكر عن علي بن الحسين، انه قال: دخلت عليه أودعه، فقال لي: يا علي، إني وجهتك إلى لحمي ودمي، ومد جلد ساعده ت وقال: إلى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم! يعني آل أبي طالب،

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٠١ والاعاني ٢٩٥/١٥.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٠٩ والاعاني ١٩٥/١٥.

(٣). تاريخ الخلفاء ٣٠٧، وانظر: مقاتل الطالبين ص ٦٣٦ وابن الاثير ٣٩/٧ وتاريخ أبي الضدا

فقلت : أرجو أن أمثل رأي أمير المؤمنين أيده الله فيهم أن شاء الله ، فقال : إذا تسعد بذلك عندي وفي ذلك قال أحد الشعراء يمدحه :

ولقد بررت الطالبين بعدما ذموا زمانا بعده وزمانا
ورددت إلفه هائم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا
على أن تلك الألفة لم تستمر غير ستة أشهر وهي مدة خلافة المنتصر ،
فعادت عداوة حين ولي المستعين وهو أخو المتوكل كما سيأتي ؟ .



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی



مركز بحوث الحاسوب والعلوم

الفصل الرابع عشر

ثورة يحيى بن عمر
العلوي بالكوفة (٢٥٠هـ)

كانت وفاة المنتصر بداية تحكم الأتراك في مصير الخلافة ن دون أن يقيموا أي اعتبار لغير مصالحهم الشخصية ، اختار المماليك الأتراك أحد أحفاد المعتصم كراهة أن يتولاها أحد أبناء المتوكل خشية أن يعمل على الانتقام لأبيه الذي قتلوه ، فاختروا احمد بن محمد بن المعتصم ، ولقبوه بالمستعين بالله ، وباعوه بالخلافة لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ٢٤٨ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، غير أنهم جردوه من كل نفوذ وسلطان^(١) .

كان المستعين رجلا مستضعفا في رؤية ، وعقله وتدبيره^(٢) مما جعل المماليك الأتراك لا يقيون لمركز الخلافة أي اعتبار أثناء منازعاتهم التي كثرت واشتدت في أيامه ، غلب على أمره أوتامش وكتابه شجاع بن القاسم ، وأحمد بن الخصيب حتى لم يبق لاحد معهم أمر^(٣) على أن غضب الموالي على أحمد بن الخصيب اضطر المستعين على نفيه واستصفاء ماله ومال ولده ،^(٤) على أن اوتامش الذي أبيع له كل شيء أكتسح كل ما في بيوت الأموال ، مما أثار حفيظة الموالي الذين هالهم كثرة ما حازه أوتامش وكتبه إزاء ما هم عليه من ضيقة وحرمان ، ولم يكن لو صيف وبغا التركيين معه شيء من الأمر ، فأغريا الموالي به ، فلم لم يلبثوا حتى خرجوا عليه فقتلوه وقتلوا كتبه شجاع بن القاسم وانتهبوا داره^(٥) على أن مقتلهما أتاح لو صيف وبغا أن يستوليا على ارادة المستعين الذي لم يكن له معهما رأي ولا إرادة حتى قال أحد الشعراء :

خليفة في قفص
يقول ما قال له
بين وصيف وبغا
كأ تقول البيغا^(٦)

(١). تاريخ الطبري ٢٥٦/٩ .

(٢). الفخري ص ١٨٠ .

(٣). تاريخ اليعقوبي ٢٣٢ / ٣ .

(٤). تاريخ الطبري ٢٥٩ / ٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢٣٢ / ٣ .

(٥). تاريخ الطبري ٢٦٤ / ٩ .

(٦). تاريخ الخلفاء ص ٣٥٨ .

على أن الأتراك في سامراء لم يلبثوا حتى شغبوا أثر مقتل باغر التركي فاضطر الخليفة على الهرب إلى بغداد، فبايع الأتراك في سامراء المعتز بن المتوكل الذي جهز جيشاً وجهه إلى بغداد، فلم يزل بالمستعين حتى استسلم، على أن يقيم في بعض النواحي آمناً إلا أن المعتز لم يلبث إلا قليلاً حتى اغتال المستعين^(١).

وفي أيام المستعين، عمت الفتن نواحي الدولة العباسية، فقد وثب رجل من لحم بالأردن، ووثب أهل حمص بعاملهم، وكانت خراسان التي استقر أمرها بيد الطاهريين تشكل ظاهرة تشجع أمراء الولايات البعيدة على الاستقلال. عن مركز السلطة مشاكل المتوثبين على مواقع النفوذ.

أما الكوفة، فقد كانت مهياً لوثوب علوي يدعوهم إلى الرضا من آل محمد، ولم يكن بين هذا العلوي والثورة إلا بادر ظلم يستثار بها، ليقذف بنفسه في غمرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ظهور يحيى بن عمر العلوي ومقتله:

وصف يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) بأنه كان رجلاً شجاعاً فارساً، شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً عن رهق الشباب وما يعاب به مثله^(٢).

كان يحيى رجلاً فذاً بحق، لا تملك نفسك وأنت تقرأ صفاته الجسدية وتتعرف على جوانب شخصيته وما كان عليه من ورع وتقوى، ومن شجاعة وإقدام إلا أن تخالها أمام صورة مصغرة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى لكان مئات السنين بينهما لم تكن إلا ما بين الرجل وأبيه وكانت حركة يحيى بن عمر أقرب الحركات العلوية إلى طبيعة العلويين، وما جبلوا عليه من أنفة تدفعهم دائماً إلى الثورة دون النظر عما ستجلبى غمراتها عنه.

(١). تاريخ الخلفاء ص ٣٥٨.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٣٩.

ذكر أن يحيى بن عمر كان قد خرج أيام المتوكل إلى خراسان، فردّه عبد الله بن طاهر إلى سامراء^(١) ويبدو أن عبد الله بن طاهر، كان على حذر من تحركاته في مناطق إمارته التي بدأت الآن ترسخ بها الدعوة الزيدية ومنهجها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك المنهج الذي لم يكن يرى غير السيف وسيلة للأمر أو النهي، إلا أن الطبري ذكر صراحةً في أحداث سنة ٢٣٥ هـ أن يحيى ابن عمر أتى به من بعض النواحي، لأنه جمع قوماً^(٢) وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن تحركات يحيى بن عمر كانت مبكرة، وإن إرادة الثورة اعتملت بنفسه قبل أكثر من خمس عشرة سنة.

أما المتوكل فقد أسلمه إلى عمر بن فرج الرخجي المعروف بعدائه الشديد للطالبيين، وإن عمر الرخجي كَلَّم يحيى بكلام شديد، فرد عليه وشتمه، فشكاه إلى المتوكل الذي أمر بضربه درراً^(٣) ثم حبس في دار الفتح بن خاقان، فمكث على ذلك مدة^(٤) غير أن الطبري الذي ذكر في أحداث سنة ٢٣٥ هـ أنه رد من خراسان إلى سامراء لأنه جمع قوماً، بذكر في أحداث سنة ٢٥٠ هـ أنه عند مقدمه من خراسان كان في ضائقة شديدة، وقد ركب الدين، فكلم عمر بن فرج الذي كان يتولى أمر الطالبيين في صلته، فأغرض عليه عمر، فرد عليه، فكان ذلك سبب حبسه.

على أنه لم يلبث في حبسه طويلاً، فقد كفل به أهله، فأطلق، فمضي إلى بغداد^(٥) غير أن أقامته ببغداد كانت سيئة جداً، وبذكر الطبري أنه عاد إلى سامراء، فلقى وصيفاً في رزق يجري عليه، فأغلظ له وصيف في القول، وقال:

(١). مقاتل الطالبيين ص ٦٣٩.

(٢). تاريخ الطبري ٩ / ١٨٢.

(٣). مقاتل الطالبيين ص ٦٣٩ والطبري ٩ / ١٨٢ وفيه أن عمر الخجعي ضربه ثمانية عشر مفرقة.

(٤). مقاتل الطالبيين ص ٦٣٩.

(٥). مقاتل الطالبيين ص ٦٣٩ وتاريخ الطبري ٩ / ٢٦٦.

لأي شيء يعطى مثلك، فانصرف عنه^(١) إلا أن أبا الفرج ذكر انه خرج من بغداد إلى الكوفة، فدعا إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

كان المستعين قد عقد في سنة ٢٤٨ هـ لمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق، وجعل إليه الحرمين^(٣) وبذلك فقد أصبحت الكوفة وأعمال السواد من ضمن الأعمال التابعة له، وكان عامل الكوفة من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر حين توجه إليها يحيى بن عمر، أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان.

على أن يحيى بن عمر الذي استغزته إهانات عمر الرخجي ووصيف التركي، وأثقل ظهره تحت وطأة الدين، وما كان يلاقيه من جهد في بر الطالبات^(٤) بات ليلته الأخيرة في بغداد عند علي بن القاسم الصوفي الطالب، الذي عرض عليه الطعام وقد تبين فيه الجوع، فأبى أن يأكل، قال: إن عشنا أكلنا، وقد لاحظ علي بن القاسم الصوفي فيه أنه عزم على فتكة^(٥) فخرج من عنده إلى الكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وفي الكوفة ظن أحد أنصاره أن الذي حملة على الخروج ثقل الدين والحاجة إلى المال، فاتاه وأفضى له عما يجول بخاطره، وعرض عليه ألف دينار ووعدته بألف أخرى من أخوان له، قال: فرفع رأسه ثم قال: فلانة بنت فلان - يعني زوجته - طالق ثلاثاً، أن كان خروجي إلا غضبا لله عز وجل^(٦).

وكان يحيى حين أزمع على الخروج، بدأ فزار قبر الحسين، ذلك المعلم الذي ما زال يهب النفوس من جذوة الحماس والتأسي ما لم يهبه أي معلم على طريق السائرين إلى ميادين الكفاح على مر الأيام. وعند قبر الحسين أظهر لمن حضره من

(١). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٦.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٣٩.

(٣). عمدة الطالب ص ٢٧٧.

(٤). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٦.

(٥) ..

(٦). مقاتل الطالبين ص ٦٦٤.

الزوار ما أرادته، فاجتمعت إليه جماعة من الأعراب وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة^(١) إلا انه حين حلّ الفلوجه أخبر صاحب البريد أيوب بن الحسن بتحركاته، ولم يلبث خبر يحيى حتى سار إلى بغداد، فكتب محمد بن عبد الله طاهر إلى عامله على الكوفة والسواد أن يجتمعا على حربته، أما يحيى، فقد قصد شاهي، فأقام بها ليلة، ثم دخل الكوفة ليلا في سبعة من فرسانه، فجعل أصحابه ينادون: أيها الناس أجيئوا إلى داعي الله، فاجتمع إليه خلق كبير^(٢) فلما كان من غد مضى إلى بيت المال، فأخذ ما فيه، ووجه إلى قوم من الصيارفة عندهم مال من مال السلطان، فأخذ منهم^(٣) وفتح سجن الكوفة فأخرج من كان فيهما، ونفى عمال الكوفة عنها^(٤) ثم صار إلى حمان، وقد اجتمع أهله وذووه، وبيناهو جالس وأحد هؤلاء يخوفه ويعظم عليه أمر السلطان، قدم عليه عبد الله بن محمود في جند مرتين، كانوا معه في طساسيج الكوفة فصاح بعض الأعراب بيحيى: أيها الرجل، انك مخدوع، هذه الخيل قد أقبلت، فوثب، فجال في متن مزسه، ثم حمل علي عبد الله بن محمود فضربه بالسيف على وجهه، فولى منهزما وتبعه أصحابه منهزمين^(٥) وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال^(٦).

ولكن يحيى لم ير الإقامة بالكوفة رغم انقيادها له فخرج إلى سوادها، وصار إلى موضع يقال له جنبلاء، فجعله معسكراً له، فتبعته الزيدية واجتمعت على نصرته جماعة من قرب تلك الناحية وأهل الطفوف والسيب الأسفل والى ظهر واسط، فكثرت جمعه^(٧).

أما محمد بن عبد الله بن طاهر، فقد ندب لقتال يحيى بن عمر ابن عمه

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٤٠.

(٢). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٧ و مقاتل الطالبين ص ٦٤٠.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٦٤٠.

(٤). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٧.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٦٤١.

(٦). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٧.

(٧). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٧.

الحسين بن إسماعيل ، وضم إليه جماعة من القواد ممن عرف بالباس والنجدة ، منهم : خالد بن عمران ، وأبو السنا الغنوي ، وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفليس ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضبابي ، وأحمد بن محمد بن محمد بن الفضل ، وجماعة من خاصة الخراسانية وغيرهم^(١) على أن أبا الفرج ذكر أن القواد من أهل بغداد خرجوا لحرب يحيى بن عمر على كره منهم ، ولم يروا قط مالوا إلى طالبي خرج غيره^(٢) وسنرى في أخباره انه حل في نفوس أهل بغداد وغيرها من الحواضر التي نزلها وأقام بها محلاً رفيعاً ، لما كان يتصف به من مرورة وورع وزهد .

أما الحسين بن إسماعيل ، فقد نفذ إلى الكوفة ، فدخلها وأقام بها أياماً ثم تركها قاصداً يحيى بن عمر ، حتى وافاه ، فأقام في وجهه ، فتوجه يحيى إلى قرية يقال لها البحرية ، وكان على خراجها أحمد بن علي الاسكافي الذي أخذ مال الخراج وهرب به ، وعلى حربها أحمد بن الفرج الفزاري ، الذي ناوش يحيى مناوشة يسيرة ثم هرب عنه^(٣) .

أما يحيى فقد عاد إلى الكوفة ، فعارضه عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفليس ، فقاتله قتالاً شديداً قرب جسر الكوفة ، فانهزم وجه الفليس وانحاز إلى شاهي حيث التقى بالحسين بن إسماعيل ، فعسكرا بها^(٤) ودخل يحيى بن عمر الكوفة واجتمعت إليه الزيدية ، فدعا إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكثف أمره ، وأحبه الناس وتولوه ، وتولاه العامة من أهل بغداد ، إذ يبدو أنه كان معروفاً عندهم ، ولا يعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره ، وفي الكوفة بايعه كثير من أهل البصائر ، وذوي الورع والتقوى وأولو الفضل^(٥) .

(١) . تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٧ و مقاتل الطالبين ص ٦٤١ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٦٤١ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٦٤١ .

(٤) . تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٨ .

(٥) . تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٨ و مقاتل الطالبين ص ٦٤٢ .

وبينما كان يحيى بالكوفة يعدّ العدد، ويطبع السيوف، ويعرض الرجال
 ويجمع السلاح^(١) كان الحسين بن إسماعيل بشاهي، وقد أراح جنده ودوابه
 يتلقى الأعداد والميرة والأموال، وأضاف إليه المستعين قائداً من الأتراك اسمه
 كلكاتكين^(٢) على أن جماعة من الزيديه - أكد المؤرخون انهم لا علم لهم بالحرب -
 أشاروا على يحيى بمعالجة الحسين، وألحت عليه العوام من أصحابه بذلك،
 فزحف من ظهر الكوفة إلى شاهي، وكان قائد جيش يحيى بن عمر رجل من بني
 عجل اسمه الهيزم بن العلاء العجلي، وكان قد وافى يحيى في عدة من أهله
 وعشيرته. وأناس من بني أسد^(٣) على أن جيش يحيى لم يكن على نظام، قالوا:
 انهم خرجوا لثلاث عشرة خلت من رجب من سنة ٢٥٠ هـ في خراسان من بني
 عجل واناس من بني أسد، ورجالة من أهل الكوفة ليسوا بذي علم وتدبير،
 ولا شجاعة، فوافقوا شاهي وقد نال منهم التعب وطول المسير، حيث الحسين بن
 إسماعيل في جند مستريح ومستعد، فثاروا إليهم ونشبت بين الطرفين حرب
 شديدة، لم يلبث لها أصحاب يحيى إلا قليلا، فانهزموا، وتركوا الثائر العلوي
 وحده يقاتل أعدائه، حتى قتل.

وقد أثار انهزام الهيزم شكوك كثير من المؤرخين وجعلهم يرون أن هزيمته
 كانت على اتفاق مع الحسين بن إسماعيل^(٤) على أن أبا الفرج حدث عن علي بن
 سليمان الكوفي عن أبيه، قال:

اجتمعت أنا والهيزم يوماً فتذاكرنا أمر يحيى، فحلف بالطلاق الثلاث، انه
 لم يكن له في الهزيمة صنع، وإنما كان يحيى رجلاً نزقاً في الحرب، فكان يحمل
 وحده، فيرجع، فنهيته عن ذلك، فلم يقبل، وحمل مرة كما كان يفعل،

(١). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٨.

(٢). تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢٣٥.

(٣). تاريخ الطبري ٩ / ٢٦٨ ومقاتل الطالبين ص ٦٤٢.

(٤). مقاتل الطالبين ص ٦٤٢.

فبصرت عيني به وقد صرع في وسط عسكريهم، فلما رأته قد قتل انصرفت بأصحابي^(١).

على أن رواية الهيثم أقرب إلى الخليفة العلوية الراسخة في كثير من العلويين، وعلى أجيال كثيرة، كما أنها أقرب إلى خليفة يحيى بن عمر العلوي، المستفز بكرامته والغضب لما انتهك من عدالة الله في أرضه على أن في بعض روايات المؤرخين ما يشير إلى أن اضطراب الكوفة لم يهدأ بمقتل يحيى بن عمر، فأراد القواد العباسيون أن يحسموا الأمر بتأكيد مقتله، فأرسلوا إليها علي بن محمد الصوفي، من ولد عمر بن علي بن أبي طالب، وكان رجلاً رقيقاً مقبولاً، وكان أخا يحيى بن عمر لأمه، فعرف الناس مقتل أخيه^(٢) إلا أن انتشار خبر مقتل يحيى بن عمر أثار مشاعراً مضطربة بالحزن والرجاء، فقد استقبل أهل الكوفة نبأ مصرعه بالبكاء والصراخ والعيول، واليأس أيضاً من تحقيق ما استهدفوه^(٣).

وفي بغداد التي انكفأ لها الحسين بن إسماعيل برأس يحيى، وبأسرى كثيرين عوملوا بخسة وقسوة^(٤) جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له، ويقولون: أن يحيى لم يقتل، ميلاً منهم إليه، وشاع ذلك حتى كان الغوغاء والصبيان يصيحون في الطرقات: ما قتل وما فر، ولكن دخل البر^(٥).

ولعل ذلك، هو انذي جعل بعض مؤرخي الملل والنحل الإسلامية الذين

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٤٢.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٤٣.

(٣). مقاتل الطالبين ص ٦٤٢.

(٤). في مقاتل الطالبين ص ٦٤٤. ٦٤٥: وأدخل الأسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد، ولم يكن فيما رأى قبل ذلك من الأسارى أحد لحقه ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخر ضربت عنقه، وفي تاريخ الطبري: أن المستعين كان قد وجه كلباتكين مدداً للحسين ومستظهماً به، فلحق حسينا بعدما هزم القوم وقتل يحيى بن عمر، فمضى معهم صاحب بريد الكوفة فلقى جماعة ممن كان مع يحيى بن عمر، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكري يحيى، فوضع فيهم السيف فقتلهم، ودخل الكوفة فأراد أن ينهبها ويضع السيف في أهلها. فمنعه الحسين. تاريخ الطبري ٩ / ٢٧٠.

(٥). مقاتل الطالبين ص ٦٤٤.

استقوا معلوماتهم من أفواه العامة، يرون أن بعضاً من الشيعة يعتقدون بأن يحيى بن عمر لم يقتل، وأنه هو المهدي المنتظر الذي سيخرج يوماً فيملاً الأرض عدلاً^(١) ومن مظاهر تعاطف العامة مع يحيى بن عمر أن الرأس لما ورد دار محمد ابن عبد الله بن طاهر، وقد تغبر، فطلبوا من يقور ذلك اللحم . . فلم يوجد، وهرب الجزارون، وطلب ممن في السجن من الحرمية الذباحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد، إلا رجل من عمال السجن الجديد^(٢).

وحتى محمد بن عبد الله بن طاهر، قالوا: انه أمر اخته ونسوة من حرمة بالشخص إلى خراسان، وقال: أن هذه الرؤس من أهل هذا البيت لم تدخل بيت قوم قط إلا خرجت منه النعمة وزالت عنه الدولة^(٣).

لقد أثار مقتل يحيى بن عمر ما لم يثره مقتل علوي قبله من مظاهر الجراءة والتعبير عن مشاعر الاسى والحنق، وقد عبر عن ذلك شعراء كثيرون، إذ اتفق أن عصر يحيى شهد بروز عدد من الشعراء المجيدين الذين آثروا الأريحية على المنفعة، قال أبو الفرج:

وما بلغني أن أحداً ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه^(٤) ولم يبال أحد من هؤلاء بما سيجلبه عليه طبيعة الموقف الذي أراد فيه أن يعبر عما في نفسه، أكان مجلس أمير منتصر لا يقال فيه إلا ما يرضي نشوة الانتصار، أو منتدى أدب وشعر لا ضمان من نقل الرواة لما سيقول، أو ما سيثير قوله من حفيظة السلطان وغضب ذوي النفوذ، قال المسعودي: ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً، ورثاه القريب والبعيد، وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملئى والدنيء، وفي

(١). انظر: الفصل في الاهواء والملل والنحل ٥/٢٠٠.

(٢). تاريخ الطبري ٩/٢٦٩.

(٣). مقاتل الطالبيين ص ٦٤٤.

(٤). مقاتل الطالبيين ص ٦٤٥.

ذلك يقل بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده:

وبكاه المهند المصقول
وبكاه الكتاب والتنزيل
والحجر جميعاً لهم عليه عويل
يوم قالوا: أبو الحسين قتيل
موجعات دموعهن تسيل
فقده مفضع عزيز جليل
بأبي وجهه الوسيم الجميل
كيف يؤذي بالجسم ذاك الغليل
وحسين ويوم أودى الرسول
ما بكى موجع وحن تكول^(١)

بكت الخيل شجوها بعد يحيى
وبكته العراق شرقاً وغرباً
والمصلى والبيت والركن
كيف لم تسقط السماء علينا
وبنات النبي يندين شجواً
ويؤمن للرزينة بدرأ
قطعت وجهه سيوف الاعادي
وليحيى الفتى بقلبي غليل
قتله مذكر لقتل علي
فصلاة إله وقفا عليهم

وذكر أن محمد بن عبد الله بن طاهر جلس يستقبل المهثين، فدخل عليه أبو هاشم، داود بن القاسم الجعفري - من ولد جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) - وكان ذا عارضة ولسان، لا يبالي ما استقبل به الكبراء وأصحاب السلطان به، فقال: أيها الأمير: انك لتنهنا بقتل رجل لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيا لعزي به!.

ولم يستطع الأمير أن يرد عليه بشيء وقد فوجئ بجرأة لم تنظر إلى العواقب
وخرج أبو هاشم وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبيبا
إن لحم النبي غير مري
إن وترأ طالبه الله لو تر نجاحه بالحري^(٢).

ومثل موقف الجعفري هذا كان موقف علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني، الكوفي، قالوا: أن الحسين بن إسماعيل أرسل إليه إذ لم يره فيمن حضر

(١). مروج الذهب ٢ / ٤٣٦.

(٢). تاريخ الطبري ٩ / ٢٧٠ ومروج الذهب ٢ / ٤٣٥ وعمدة الطالب ٢٧٣ وابن الاثير ٣ / ٤١.

للسلام عليه حين دخل الكوفة ، وكان الحماني نقيب الطالبين بالكوفة وشاعرهم
ومدرسهم ولسانهم ، فلما دخل أنشد شعراً لا يقوم عن مثله من يرغب في الحياة ،
وهو :

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك استلينك في الكلام .
وعز علي أن ألقاك إلا وفيما ينتاحد الحسام .
ولكن الجناح إذا أهبطت قوادمه يرف على الأكام^(١) .

وقال الحماني أيضاً يرثى يحيى بن عمر :

تضوع مسكا جانب القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوه يتضوع .
مصارع أقوام كرام أعزة أبيع ليحيى الخير في القوم مصرع^(٢) .
وقال أيضاً يوثيه :

فإن يك يحيى أدرك الحنف يومه فما مات حتى مات وهو كريم .
وما مات حتى قال طلاب تغيبته : سقى الله يحيى إنه لصميم .
فتى أنست بالروع والباس نفسه وليس كمن لاقاه وهو سنوم .
فتى غرة لليوم وهو بهيم ووجه لوجه الجمع وهو عظيم^(٣) .
وله في رثائه فصائد أخرى منها :

بأبقايا السلف الصالح والتجر الريح .

نحن للأيام من بين قتيل وجريح .

خاب وجه الأرض كم غيب من وجه صبيح .

آه من يومك ما أوداه للقلب القريح^(٤) .

على أنني أرى من المناسب أن أطيل الوقوف في رثاء يحيى بن عمر إذ أرى في

(١) . مقاتل الطالبين ص ٦٦٣ ومروج الذهب ٢ / ٤٣٧ .

(٢) . مقاتل الطالبين ص ٦٦٣ ومروج الذهب ٤٣٧ .

(٣) . مقاتل الطالبين ص ٦٦٣ .

(٤) . مروج الذهب ٢ / ٤٣٧ .

ذلك معنى يتجاوز مشاعر الحزن إلى موقف عام يبدو انه استشرى بين طوائف كثيرة من الناس سيؤدي في القريب إلى قيام كيانات علوية في مناطق متفرقة من الدولة الإسلامية، إضافة إلى تعبير عام قد أوجده مصارع العلويين المتكررة حتى قال ابن الرومي:

أكل أوان للنبي محمد قتييل زكي بالدماء مخرج

فانقل قصيدة ابن الرومي على طولها كاملة، وهي قصيدة شجيرة اتسمت بالجرأة التي لم يتعودها حتى رواة الأشعار، حتى أن أبا الفرج الذي أشاد بها واعتبرها عين ما رثى به يحيى، قال (لولا انه أفسدها بأن جاوز الحد وأغرق في النزع، وتعدى المقدار بسب مواليه من بني العباس، وقوله فيهم من الباطل مالا يجوز لأحد أن يقوله: (١) وجاء بعد أبي الفرج بمئات السنين آخر فأشار إليها ولم يروها في كتابه لأنه (تداول فيها بني العباس، فتركها تخرجاً) (٢).

قال ابن الرومي:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج
ألا أي هذا الناس طال ضيركم
أكل أوان للنبي محمد
تبعون فيه الدين شر أئمة
لقد ألحجوكم في حياثل فتنة
بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم
أما فيهم راع لحق نيته
لقد عمهوا ما انزل الله فيكم
ألا خاب من أنساء منكم نصيبه
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم
لنا وعليها، لا عليه ولا له

طريقان شتى مستقيم وأعوج.
بأل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا.
قتييل زكي بالدماء مخرج.
فلله دين الله قد كاد يخرج.
وللملحجوكم في الحياثل الخج.
لبلواكم عما قليل مخرج.
ولا خائف من ربه يتخرج.
كان كتاب الله فيهم.
متاع من الدنيا قليل وزيرج.
تضياء مصاييح السماء فتسرج.
تسجع أسراب الدموع وتنشيج.

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٤٦.

(٢). الضخري، ص ١٨٠.

وكيف نبكي فائزاً عند ربه
 فإن لا يكن حباً لدينا فإنه
 وقد نال في الدنيا سناء وصيته
 شوى ما أصابت أسهم الدهر بعده
 وكننا نرجيه لكشف عماية
 فساهمنا ذو العرش في ابن نبيه
 مضى وقضى الفراط من أهل بيته
 فأصبحت لاهم أبستوني بذكره
 ولا هو نساني أساي عليهم
 أبيت إذا نام الخلي كأنما
 أحيى العلاء لهفي لذكراك لهفة
 أحين تراءتلك العيون جلاءها
 بنفسي وإن فات الفداء بك الردي
 لمن تستجد الأرض بعدك زينة
 سلام ربحان وروح ورحمه
 ولا برح القاع الذي أنت جاره
 وبأسفي ألا تسرد تحية
 إلا إننا نحاح الحمائم بعدما
 أذم إليك العين أن دموعها
 وأحمدها لو كففت من غروبها
 سفكها العوران والعرج منكم
 وما بكم أن تنصروا أولياءكم
 ولو امكنتكم في الفريقين فرصة
 إذن لا ستقدم منهما وتر فارس

له في جنان الخلد عيش مخرفج
 لدى الله حي في الجنان مزوج.
 وقام مقامالم يقمه مزلاج
 هوى ما هوى أو مات بالرمل يخرج.
 بأمثاله أمثالها تتبلاج.
 فجاز به والله أعلى وأفلج.
 يسؤم بهم ورد المنيّة منهج
 كما قال قبلي في البسوء مؤرج
 بلى هاجه والشجو للشجو أرهج
 تبطن أجفاني سيال وعوسج
 ياشسر مكواها الفؤاد فينضج
 وأقذاءها أضحت مرائك تسج
 محاسنك اللائي تُمنح فتهج
 فنصبح في أثوابها تتسبرج؟
 عليك وممدود من الظل سجسج
 يرفُ عليه الأقحوان المفلج
 سوى أرج من طيب رمسك يارج.
 ثوبت وكانت قبل ذلك تهزج.
 تداعى بنار الحزن حين توهج.
 عليك وخلت لا عج لحزن يلعج.
 وغوغاء كم جهلاً بذلك تبهج.
 ولكن هنات في الصدور تاجج.
 لقد أظهرت أشياء تلوى وتخنج^(١).
 وإن ولياكم فالوشائج أو شج.

(١). الفريقان: العلويون والعباسيون تلوى: تطوى، وتمنح تخفى.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٤٦. ٦٦٢.

أبي أن تجوهم يد الدهر ذكركم
وإني على الإسلام منكم لخائف
وفي الحزم أن يستدرك الناس امركم
نظار فإن الله طالب وتوره
لعل قلوبا قد أطلتكم غليلها

أثر حركة يحيى بن عمر.

ليالى لا ينفك منكم متوجج
بوائق شتى بابها الآن مرتجج
وجلسهم مستحکم العقد مدلج
بني مصعب لن يسبق الله مدلج
ستظفر منكم بالشفاء فتلج^(١)

كان مقتل يحيى بن عمر العلوي قد أهاج النفوس أهاجة عنيفة واستفز
مشاعراً مضطربة بين الأسي والسخط، واستهداف التغيير، وكان لوضع الخلافة
الذي آل إليه على يد المماليك الأتراك، واستحواذ هؤلاء على موارد الدولة، أثر
واضح في تحفيز ذوي الطموح إلى توظيف ما تركه مصرع يحيى بن عمر
لصالحهم، ولذلك فقد تحرك بالكوفة بعض الطالبين، إلا أن هذه الحركات
اعتورها عاملان للفشل، أولهما، إن الكوفة لم تشف بعد من الجراح التي
أصابتها بعد انهيار حركة يحيى بن عمر فهي لم تنزل تحت وطأة الاجراءات
الانتقامية التي اتخذها جند السلطة وثاني عوامل الفشل: أن هؤلاء العلويين لم
يكونوا ليمتلكوا ما كان للعلويين الثوار غير نسبهم العلوي، إذ لم تتمثل فيهم
مفاهيم العلويين في مبادئ العدل الاجتماعي في الإسلام، وإنما كانوا رجالاً
استحوذ عليهم طموح غلاب أراد لهم استغلال الظرف الذي تمخض عن مصارع
العلويين المتكررة ومن هؤلاء:

الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب، ويلقب بالحرون، قال أبو الفرج ذو التعاطف الواضح مع
العلويين:

(ولم يكن ممن يحمده مذهب في خروجه)^(١).

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٦٥.

خرج الحرون بالكوفة، بعد يحيى بن عمر، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان في عسكر عظيم، فلما قارب الكوفة، خرج الحسين عنها وخالفه الطريق حتى صار إلى سر من رأى، وقد بويع للمعتز، فبايع له، وانصرف مزاحم عن الكوفة^(١) هكذا اختصر أبو الفرج أحداث خروجه، ولم يشأ أن يسجل تفاصيلها لأنه لم يكن ممن يحمده مذهب، إلا أنه ذكر أنه ظهر مرات عديدة، فقد أراد الظهور أيام المعتز، فرد وحبس بضع عشرة سنة، فأطلقه المعتد بعد ذلك في سنة ثمان وستين ومائتين، فخرج بسواد الكوفة، فظفر به في آخر سنة تسع وستين ومائتين، فاخذ وحبس بواسطة، إلا أنه توفي سنة إحدى وسبعين فأمر الموفق بدفنه والصلاة عليه^(٢).

على أن الطبري، ذكر في أحداث سنة ٢٥١ هـ أن الحسين الحرون الذي استخلف على الكوفة علويًا آخر يقال له: محمد بن جعفر بن الحسين، وخرج هو إلى سواد الكوفة، في بضعة مئات من الزيدية وبني أسد، فناجز أمير الكوفة وهزمه، حتى إذا قدم عليه مزاحم بن خاقان، دفعه أهل الكوفة إلى قتاله إلا أن مزاحم الذي صاف أهل الكوفة، سرب فرقا من جيشه أتوهم من الخلف فأطبقوا عليهم، فلم يفلت منهم أحد، ثم دخل الكوفة فحرق أسواقها ودورها.^(٣)

أما الحسين الحرون فقد هرب، ثم ظهر بعد حين ببينوى فقاتله عاملها وقتل رجاله، فدخل الكوفة^(٤).

ولكن أهم ما تمخضت عنه حركة يحيى بن عمر العلوي، حركة علوي آخر حمل بين جنبيه أمثل ما حمله الثوار العلويون، ولكن هذه المرة طبرستان، ذلك هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن

(١). مقاتل الطالبين ص ٦٦٥.

(٢). مقاتل الطالبين ص ٦٦٥.

(٣). تاريخ الطبري ٩ / ٣٢٩.

(٤). تاريخ الطبري ٩ / ٣٣٢.

علي بن أبي طالب (عليهم السلام) الذي كان قد شارك في حرب يحيى بن عمر، ثم هرب إلى الري، إلا أن تعسف الولاة في طبرستان وسفه بعض متولي أعمالها دفع أهل بعض تلك النواحي إلى البحث عن علوي منقذ ينظوون تحت لواره فلم يلبثوا حتى التقوا بالحسن بن زيد الذي قادهم في حركات عنيفة ومستمرة انتهت بتأسيس الدولة العلوية بطبرستان سنة ٢٥٠ هـ.

وهي ثاني دولة علوية تتمخض عنها ثورات العلويين بعد تأسيس دولتهم الأولى في المغرب على يد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وأحسب أن البحث في ثورة الحسن بن زيد تتطلب التجرد لوضع بحث في كتاب عن دولة العلويين في تلك النواحي، أسأله تعالى أن ييسر علي إنجازَه.



مركز بحوث الكمبيوتر علوم رسي

المصادر

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.
- الاسفراييني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤١٧ هـ). التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٠ م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠ هـ). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مكتبة النهضة. ط ١ مصر ١٩٥٠.
- الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
- الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) الأغاني.
- مقاتل الطالبين.
- البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود (من أعلام القرن الرابع الهجري). سر السلسلة العلوية، النجف ١٩٦٣ م.
- البستي، محمد بن حبان البستي (٣٥٣ هـ). مشاهير علماء الأمصار، عني بتصحيحه فلا يشهر، القاهرة ١٩٥٩.
- البغدادي ن أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩). الفرق بين الفرق. نشره عزت العطار، القاهرة ١٩٤٨.
- البغدادي، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ). تاريخ بغداد، بيروت.
- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ). البدء والتاريخ، باعتناء كليمان هوار، باريس ١٨٩٩) وينسب إلى المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٨٧ هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى.

- انساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق د. محمد حميد اله، دار المعارف بمصر ١٩٥٩
- الجزء الثالث، تحقيق محمد باقر المحمودي.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).
- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٨.
- ثلاث رسائل للجاحظ، نشرها حسن السندولي، المطبعة / الرحمانية، القاهرة ١٩٣٣.
- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي (ت ٦٥٥ هـ).
- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (١٩٧٠ مصر).
- ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن حزم القرطبي (ت ٤٥٦ هـ).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل.
- جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الروي (ت ٦٢٦ هـ).
- معجم البلدان.
- الحميري، أبو سعيد، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ).
- الخور العين، مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨.
- الحنفي، أبو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن العراقي (ت ٥٠٠ هـ).
- الفرق المتفرقة بي أهل الزيغ والزندقة، تحقيق: بشار قوتلو آي انقره ١٩٦١.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ).
- مقدمة ابن خلدون طبعة كتاب التحرير بمصر ١٩٦٦.
- ابن فلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ).
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ٩٤٨.
- ابن خياط، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، النجف ١٩٦٧.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ).
- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦١.
- سير أعلام النبلاء، اشرف عن تحقيقه شعيب مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ (١٩٨٢).
- الرازي، أبو حاتم احمد بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ).

- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية، تحقيق: (د. عبد الله سلوم السامرئي).
 ونشره ضمن كتابه (الغلو والفرق الغالية) بغداد، ١٩٧٢.
- الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت ٥٧٣ هـ).
 الخرايج والجرايج، دار الطباعة (١٣٠٥).
- الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب.
 جمهرة نسب قريش واخبارها، تحقيق: محمد محمود شاكر، القاهرة ١٣٨١ هـ
 نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفيتسال، دار المعارف بمصر.
 زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢١ هـ).
 الصفوة، تحقيق: ناجي حسن، النجف.
 ابن سعد، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٣٠ هـ).
 الطبقات الكبرى، طبعة كتاب التحرير، القاهرة.
 السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١)
 تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بغداد ١٩٨٣.
 الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ).
 الملل والنحل.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن سلم (ت ٣١٠ هـ).
 تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٣.
 ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ).
 الفخري في الأحكام السلطانية والدول الإسلامية المطبعة الرحمانية بمصر
 ١٩٢٧.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ).
 العقد الفرید، تحقيق أحمد أمين، أحمد الدين، إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٦٢.
 ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ).
 تهذيب تاريخ ابن عساکر، المطبعة الأولى، دمشق ١٣٤٩ هـ.
 ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢١ هـ).
 عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦١.
 أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ).
 المختصر في تاريخ البشر.
- القالبي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ).

- أمالي القاضي، دار الكتب العصرية، بيروت.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم الدينوري.
- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة.
- عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة النشر.
- القمي، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ).
- عيون أخبار الرضا، مطبعة دار العلم، قم ١٣٧٧ هـ.
- القيرواني، أبو إسماعيل إبراهيم بن علي (ت ٤١٣ هـ).
- زهر الآداب وثمر الألباب.
- ابن الكازروني، ظهير الدين، علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧ هـ).
- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق د. مصطفى جواد بغداد، ١٩٧٠.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ).
- البداية والنهاية.
- المازندراني، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب الروي (ت ٥٨٨ هـ).
- مناقب آل أبي طالب، قم ١٣٧٩ هـ.
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ).
- الكامل في اللغة والنحو والتصريف، تحقيق أحمد محمود شاكر، بمصر، ١٩٣٧.
- مؤلف مجهول (من القرن الحادي عشر الميلادي).
- نبذة من كتاب التاريخ، نشرها: غرياز نيوييخ، معهد الدراسات الشرقية، موسكو ١٩٦١.
- مؤلف مجهول.
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ابريل ١٨٦١ م.
- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري).
- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده.
- تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، ود. عبد الجبار المطلبي، بيروت ١٩٧١.
- المحلي، حميد الدين بن أحمد المحلي (ت ٦٥٢ هـ).
- الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي (قم) ١٨٦٧ تاريخ.
- المرتضي، أحمد بن يحيى بن المهدي لدين الله.

- طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنه ويفلد فلزربيروت ١٩٦١.
- المرزباني: محمد بن عمران المرزباني (ت).
- معجم الشعراء، تحقيق عبد السلام فراج، القاهرة ١٩٦٠.
- أخبار السيد الحميري، تحقيق: محمد هادي الأميني، النجف.
- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣١٦ هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد كتاب التحرير ١٩٦٦.
- المقري، تقي الدين أحمد بن عبد القادر (ت ٨٤٠ هـ).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط. كتاب التحرير، القاهرة.
- ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ).
- لسان الميزان، دار صادر، بيروت.
- المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ).
- وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، القاهرة، ١٣٨٢ هـ.
- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن العباس (ت ٤٠٥ هـ).
- الرجال، مطبعة مصطفى.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٥ هـ).
- الفهرست، دار المعرفة، بيروت.
- النوبختي، أبو محمد، الحسن بن موسى (ت ٣١٠ هـ).
- فرق الشيعة، النجف ١٩٥٩.
- الواسطي، اسلم بن سهل الوزاز المعروف ببخشل (ت ٢٩٢ هـ).
- تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، بغداد، ١٩٦٧.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ).
- تاريخ اليعقوبي، النجف ١٩٧٤.
- المراجع الحديثة:
- أحمد أمين.
- فجر الإسلام.
- ضحى الإسلام.
- أحمد شبي.
- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٥٨.

احمد عباس صالح اليمين واليسار في الإسلام.

جورج جرداق.

علي وعصره.

حسن إبراهيم حسن.

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٤ القاهرة ١٩٥٨.

حسين قاسم عزيز.

موجز تاريخ العرب والإسلام، بغداد، ١٩٧١.

سيد أمير علي.

مختصر تاريخ العرب، ترجمة منير بعلبكي، بيروت.

شفيق جبيري.

العناصر النفسية في سياسة العرب، سلسلة اقرأ.

طه حسين:

حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر.

عثمان، دار المعارف بمصر ٩٥٩.

علي وبنوه، دار المعارف بمصر ١٩٦١.

عباس محمود العقاد:

عبقرية الإمام علي.

فاطمة الزهراء والفاطميون.

أبو الشهداء، الحسين بن علي.

عبد الجبار الجومرد:

هارون الرشيد، بيروت ١٩٥٦.

عبد الحسين طه حميد:

أدب الشيعة، القاهرة ن ١٩٥٦.

عبد الرزاق المرقم:

زيد الشهيد، النجف ١٩٥٣.

عبد الصاحب الدجيلي:

ديوان د. عبل بن علي الخزاعي.

عبد الله سلوم السامرائي:

القلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، بغداد ١٩٧٢.



مركز تحقيقات كويتية لدراسات إسلامية

- علي حسين الخريوطلي:
المختار الثقافي، مرآة عصره، القاهرة، سلسلة أعلام العرب.
- علي مصطفى الغرابي:
تاريخ الفرق الإسلامية ونشأه علم الكلام.
- علي الوردي:
مهزلة العقل البشري، بغداد ١٩٥٦.
- كارل برومكمان.
تاريخ الأدب العربي.
- محمد حسين آل كاشف الغطاء.
أصل الشيعة وأصولها.
- محمد أبو زهرة.
الإمام الصادق.
- زيد.
محمد شريف سليم.
- ديوان ابن الرومي.
محمد حسن آل ياسين.
- المهدي المنتظر بين التصور والتصديق، بغداد.
محمد الخضري.
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٢ هـ.
محمد الساعدي:
الحسينيون في التاريخ، النجف ١٩٥٦.
- محمود إسماعيل:
الحركات السرية في الإسلام.
- مرتضى العسكري.
عبد الله بن سبأ، وأساطير أخرى.
- ناجي حسن:
ثورة زيد بن علي، النجف ١٩٧٠.
- بوليوس فلهوزن.
الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٨.
- تاريخ الدولة العربية.



مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

الفهرس

٧	المقدمة
١١	الفصل الأول : تمهيد الأحداث
٢٧	علي خليفة
٥٣	الفصل الثاني : ثورة الحسين بن علي
٧٧	الفصل الثالث : صدى الحسين
٨٢	ثورة المدينة واضطراب الحجاز
٨٧	التوابون
٩٠	معركة عين الوردة
٩٧	الفصل الرابع : حركة المختار الثقفي
١١٣	العراق بعد المختار
١١٨	العلويون بعد الحسين
١٢٥	الفصل الخامس : ثورة زيد بن علي
١٢٩	ظهور زيد
١٣١	الدولة الأموية أثناء ظهور زيد
١٣٤	إعلان الثورة
١٤٥	الفصل السادس : المذهب الزيدي بين قوى المعارضة
١٤٧	بين الزيدية والإمامية
١٦٧	الفصل السابع : الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية
١٩٣	الفصل الثامن : ثورة محمد النفس الزكية
٢١٢	إعلان الثورة
٢٢٩	أنصار ثورة النفس الزكية

٢٤١	الفصل التاسع : ثورة ابراهيم بن عبد الله الحسيني
٢٤٦	اعلان الثورة في البصرة
٢٥٧	نهاية ابراهيم
٢٧٧	الزيدية بعد ابراهيم
٢٨٢	الفصل العاشر : ثورة الحسين بن علي الحسيني
٢٨٣	الخليفة المهدي والعلويون
٢٨٧	شخصية الحسين بن علي
٢٩٧	وقعة فخ ونهاية الثورة
٣٠٣	العلويون بعد فخ
٣٠٩	حركة يحيى بن عبد الله بن الحسن
٣١٥	ادريس بن عبد الله بن الحسن
٣١٧	الفصل الحادي عشر : حركة أبي السرايا في العراق (١٩٩هـ)
٣٣٤	نهاية حركة أبي السرايا
٣٤٠	العلويون بعد حركة أبي السرايا
٣٤١	مكة
٣٤٤	اليمن
٣٤٦	مصر
٣٥١	الفصل الثاني عشر : ثورة محمد بن القاسم بالطالقان (٢١٩هـ) ...
٣٥٣	ظهور محمد بن القاسم العلوي
٣٦٣	الفصل الثالث عشر : سياسة المتوكل مع العلويين
٣٧٥	الفصل الرابع عشر : ثورة يحيى بن عمر بالكوفة (٢٥٠هـ)
٣٧٨	ظهور يحيى بن عمر العلوي ومقتله
٣٩٣	المصادر